بسم الله الرحمن الرحيم ٢

الفن الثانى

فى الإنسان وما يتعلق به

وهذا الفن قد اشتمل على معانٍ مؤنسة للسامع، مشنِّفة للسامع؛ مرصِّعة لصدور الطروس والدفاتر، جاذبةٍ لنوافر القلوب والخواطر؛ واضحةِ البيان، معربة عن وصف الإنسان.

فمن تشبيهاتٍ فائقه، وغزَلِيَّات رائقه؛ وأنسابٍ طاهره، ووقائعَ ظاهره؛ وأمثالٍ امتدّت أطنابها، وتبينَتْ أسبابُها؛ وأوابِدَ جعلتها العرب لها عادةً ودليلا، واتخذتها ضَلَالة وتبديلا؛ ونصبتها أحكاما ونُسُكا، وصيرتها عبادة ومُدَاواة فتبوّأت بها من النار دَرَكا؛ وشيءٍ من أخبار الكُهَّان، وزَجْرِ عَبَدة الأوثان؛ وكاياتٍ نَقَلت الألفاظ إلى معانٍ أبهى من معانيها، وبلَغَت النفوسُ بعُذُوبتها غاية أمانيها؛ وألغازٍ غوّرَتْ بالمعانى وأَنْجَدَتْ، وأشارتْ إليها بالتأويل حتَّى إذا قربتها من الأفهام أبعدَتْ؛ ومدائحَ رفعتْ للممدوح من الفضل مَنَارا، وأهاجِىَ صيَّرت المهجُوَّ من القوم يتوارى؛ ومُجُون ترتاح إليها عند خلوتها النفوس، ويبتسم عند سماعها ذو الوجهِ العَبُوس؛ وشيءٍ مما قيل فى الخمر والمُعاقَره، وأربابِ الطَّرب وذوِى المسامره؛ وتَهَانٍ نَشَرتْ من البشائر مُلَاء، ورفعتْ من المَحَامد لِوَاء؛ وتعازٍ حسرَتْ نِقاب الحَسَرات، وأبرزتْ مَصُون العَبَرات.

ت فيه نبذةً من الزهد والإنابه، وجملةً من الدعوات المستجابه .

وطرزتُهُ بذكرِ ملكٍ ، مدّ رِواقَ العدل، ونشر لواء الفضل؛ وقام بفُروض الجهاد وسُنَنه، وأراع العدُوّ فى حالتى يقظته ووَسَنه؛ وعم الأولياء بمواصلة بِرّه وموالاة نَواله ، وقهر الأعداء بمراسلة سِهامه ومناضلة نِصاله؛ وشَمِل رعاياه بعدله وجُوده، واردف سَراياه بجيوشه وجُنُوده، فهو الملك الذى جَمَع بين شِدّة البأس، ولين النّدى، وأزال مَرارة الإياس، بحلاوة العطا .

وما يحتاج إليه لإقامة المملكة : من نائبٍ ناهيك به من نائب ! ، يكُفُّ بعزمه كَفّ الحوادث ويُقِلُّ بحَزْمه نائب النوائب؛ وينْصِف الضعيف من القوىّ، ويفرّق ببديهته بين المُرِيب والبرىّ؛ ويتفقد أحوال الجيوش ويصْرِف همته إليهم، ويجعل اهتمامه بهم وفكرتَهُ فيهم وتعويلَهُ عليهم؛ إلى غيرذلك من استكمال عَدَدها، والمطالبة بعَرْض خيولها وإصلاح عُدَدها ؛ وسَدّ ثغور الممالك ، وضبط الطرق وتسهيل المسالك؛ وقَمع المفسدين، وإرغام المُلْحدين؛ وبث السَّرايا، وتيسير الأرزاق والعطايا.

ووزيرٍ يشيّد قواعد ملكه بحسن تدبيره وجميل سَدَاده ، ويُعْمِل فكره فيما يستقر بسببه نِظامُ الملك على مِهاده ؛ ويأمر بتحصيل الأموال من جهات حِلّها ، ويقر مناصب الدولة الشريفة فى الكُفَاة من أهلها ؛ ويتصفّح الأقاليم والمعاملات والأعمال، ويستكفِى لمباشرتها أمناءَ النظّار ومحقّقى المستوفين وكُفَاةَ العمال .

وقائد جيوش إن انتدبه لقاء عدوّ بَدَر الكتائب، وأنهل من دمائهم السُّمْر العوالى وعلا هامهم بالبيض القواضب؛ تتبعه عساكر تتقِرُ قلوبهم عن الفرار، ويُحِلُّوا مَنْ قاتلهم من أعداء الله دارَ البَوار؛ يَدْرِعون السابِرِيَّة[1] الذوائل، ويستلئمون السَّمْهرية الذوابل؛

(١) هى دروع دقيقة النسج فى إحكام، والذوائل جمع ذائلة وهى الطويلة " قاموس " .

ويتقلدون المَشْرَفية البواتر، ويتنكّبون القِسِيّ النواتر[1]، ويمتطُون من كل جواد صَفَا منه أديمُه وعيناه وحوافره، وآتسع منه جوفُه وجبهته ومَنَاخره ؛ وطال منه أنفه وعنقه وذراعه، وقَصُر منه ظهره وساقه وعَسِيبه وآمتدّ عند الحُضْر باعه : فهو من أكرم الأصائل، والمعنىّ بقول القائل :

وَقَدْ أغْتدِى قَبْلَ ضَوْء الصَّباح * وورْدِ القَطَا فى الغُطَاطِ الحثَاث .

بصافِي الثَّلاث عريضِ الثلاث * قصيرِ الثلاث طويلِ الثَّلاث .

وذكرتُ ماورد فى فضل الرباط والجهاد، وما أعدّ اللهُ تعالى من الثواب لمن أنفق فيه الطَّوارف والتِّلاد، وبذل الكريمين : (النفسَ والمال) لحسن المآل ؛ وهجر الحبيبين : (الوطنَ والعيال) لبلوغ الآمال . (٣)

ومن قاضٍ يحكُم بين الناس بالعدل ، ويقدّم ذوى النباهة والفضل .

ومتولّى مظالمَ يردّها على أهلها بقهره وسلطانه، وسطوته وأعوانه .

وناظرِ حِسْبة يُجرِى الأمور على قواعدها الشرعية ، وأوضاعها العُرفية وقوانينها المَرْضية .

إلى غير ذلك :

من كاتب ، ذى رأى صائب ، وفهم ثاقب، آنقادت له المعانى بأسهل زمام، وأغنت صحائفه عن صفَحَات الحُسَام :

لَوْ لاحظَتْ عينُ آبن أوْسٍ كُتْبَهُ * ماقال : "إن السيف منها أصْدقُ".

(١) فى القاموس "قوس ناترة تقطع وترها لصلابتها" .

وكاتبِ خراج ضَبَط بقلمه الأموال، وحرّر بتَبَاهته الغلال؛ وبسط الموازين، ووضع القوانين؛ وفصل بين الخراجيّ والهلالى، وميز مابين الأعمال والتوالى .

وما لا بدّ للملك منه من خواصّ جُبلتْ على محبته قلوبُهم، وتجافت عن المضاجع فى خدمته جُنُوبُهم .

ومن معقِلٍ شَمخ على الجوزاء بأنفه ، واتخذ الثريّا وِشاحا لِعطْفه؛ تَوَارى فى قَرار التخوم أساسُه ، ولاح للسارى ككوكب الظلماء مِقْباسُه . فالأرض تدّعيه : لأنه ثبتَ على مناكبها، والسماء تنازعها فيه : لأنه تمَنْطَق بكواكبها؛ والجبال تقول منى اتّخذت أحجارُه، والمياه تقول علىّ استقرّ قرارُه؛ وجفن السحاب يَهْمَع لانحطاطه عن هذه الرتبة، والطير تقول إن لم أبلغه فقد اتّحَدَ به مَنْ بينى وبينه نِسْبَه .

وضمّنتُ هذا الفن من المنقول مايسهُل تعاطيه على الأفهام، ووضعتُه على خمسة أقسام .

القسم الأوّل

فى آشتقاقه، وتسميته، وتنقلاته، وطبائعه، ووصفه، وتشبيهه والغَزَل، والنَّسيب، والهوى، والمحبة، والعشق، والأسباب

وفيه أربعة أبواب

الباب الأوّل

من القسم الأوّل من الفن الثانى

(فى آشتقاقه، وتسميته، وتنقلاته، وطبائعه، وما يتصل بذلك)

فأما آشتقاقه وتسميته، فقد آختلف الناس فى ذلك: هل هو من الأُنس الذى هو نقيض الوحشة، أو النَّوْس الذى هو نقيض السكون، أوالإيناس الذى هو بمعنى الإبصار، أو النِّسيان الذى هو نقيض الذِّكْر.

قال الشريف السيد ضياء الدّين أبو السعادات هبة الله المعروف بابن الشجرى فى "أماليه" (فى المجلس التاسع عشر وهو يوم السبت سابعَ عشرَ رجب سنة أربع وعشرين وخمسمائة) فى شرح قول أعشى تَغْلِب:

وكانُوا أُناسًا يَنْفَحُون فأصبَحُوا، * وأكثرُ مايُعْطُونَك النظَرُ الشَّزْرُ.

قوله: "وكانوا أناسا ينفَحون" وزن أناس فُعال، وناس منقوص منه عند أكثر النحويين: فوزنه عالٌ. والنقص والإتمام فيه متساويان فى كثرة الآستعمال ما دام منكورا. فإذا دخلت عليه الألف واللام، آلتزموا فيه الحذفَ، فقالوا "الناس" ولا يكادون يقولون "الأُناس" إلا فى الشعر. كقوله:

إنَّ المَنَايَا يَطَّلِعْـــنَ على الأُنَاسِ الآمنينَا.

وحجة هـذا المذهب وقوع الأُنس على الناس . فاشتقاقه من الأُنس نقيض الوحشة : لأن بعضهم يأنس إلى بعض . [وبه(١) أخذ بعض الشعراء فى قوله :

وما سُمِّيَ الإنسانُ إلا لأُنْسِه * ولا القلبُ إلا أنه يتقلَّبُ] .

قال : وذهب الكسائىّ إلى أن "الناس" لغة مفردة، وهو اسم تام وألفه منقلبة عن واو، واستدلَّ بقول العرب فى تحقيره نُوَيْس .

قال : ولو كان منقوصا من أناس لردّه التحقير إلى أصله ، فقيل "أُنَيْس" .

وقال بعضُ مَنْ وافق الكسائىّ فى هذا القول : إنه مأخوذ من النَّوس، مصدر ناس يَنُوس إذا تحرّك . ومنه قيـل لملِك من ملوك حمير ذو نُوَاس : لضفيرتين كانتا تَنُوسان على عاتقه .

قال الفرّاء : والمذهب الأوّل أشبه، وهو مذهب المشيخة .

وقال أبو علىّ الفارسىّ : أصـل الناس الأناس . فحذفت الهمزة التى هى فاء ويدلك على ذلك الإنْسُ والأَنَاسِىّ . فأما قولهم فى تحقيره نُوَيس فإن الألف لما صارت ثانية وهى زائدة أشبهت ألف فاعل . يعنى أنها أشبهت بكونها ثانية وهى زائدة أَلِفَ "ضارِب" فقيل نويس، كما قيل ضويرب .

وقال سَلَمَة بن عاصم، وكان من أصحاب الفراء : الأشبه فى القياس أن يكون كلُّ واحد منهما أصـلا بنفسه فأناس من الأنس ، وناس من النوس لقولهم فى تحقـيره نويس كبويب فى تحقير باب .

هذا ما قاله ابن الشجرىّ فى أماليه .

(١) لم نجد هذه الزيادة فى أمالى ابن الشجرى الموجود منها نسخة مخطوطة "بدار الكتب المصرية" .

وذهب أبو عمرو الشَّيبانىّ : أنه مشتق من الإيناس، الذى هو بمعنى الإبصار؛ وحجته قوله تعالى : "إنِّى آنَسْتُ نارًا" أى أبصرت نارا .

وذهب الكوفيون إلى أنه مشتق من النِّسْيان، وحجتهم أن أصله إنسِيَان. فحذفت الياء تخفيفا وفتحت السين لأن الألف تطلب فتح ماقبلها. ولأن العرب حين صغرته قالت فيه أُنَيْسِيان، فزادت الياء . والتصغير يردّ الأشياء إلى أصولها، ولو لم تكن فى المكبر لما رُدَّت فى المصغَّر . و به أخذ أبو تمام فى قوله :

لا تَنْسَيَنْ تلك العُهودَ فإنما * سُمِّيتَ إنسانًا لأنك ناسِى .

وأنكر البصريون ذلك، وقالوا : لا حجة فيه، لأن العرب قد صغرت أشياء على غير قياس كما قالوا فى تصغير رجل بمعنى راجل رُوَيْجِل ، وفى تصغير ليلة لُيَيْلَة . وفى تصغير عَشِيّة عُشَيْشة .

وقال ابن عباس : إنما سمى الإنسان إنسانا لأنه عُهِد إليه فَنسِى .

وهذا هو الأرجح والله تعالى أعلم .

فصل

قال أحمد بن محمد بن عبد ربه صاحب العقد فى كتابه يرفعه إلى وهب بن منبِّه إنه قال : قرأت فى " التوراة " أن الله عز وجل حين خلق آدم ركَّب جسده من أربعة أشياء، ثم جعلها وِراثة فى ولده، تمى فى أجسادهم ويخون عليها إلى يوم القيامة . رَطْب، ويابس، وسُخْن، وبارد . قال : وذلك أن الله سبحانه وتعالى خلقه من تراب وماء، وجعل فيه يُبْسا ورطوبة، فيبوسة كل جسد من قِبَل التراب، ورطوبته

من قِبَل الماء، وحرارتُه من قِبَل النفس، و برودته من قِبَل الروح . ثم خلق للجسد بعد هذا الخلق الأوّل أربعةَ أنواع أُخَر وهى مِلاك الجسد وقِوَامه، لا يقوم الجسد إلا بهنّ، ولا تقوم واحدة منهنّ إلا بالأخرى : المِرّة السوداء، والمِرّة الصفراء، والدم الرطب الحارّ، والبلغم البارد . ثم أسكن بعضَ هـذا الخلق فى بعض، فجعل مَسْكن اليبوسة فى المِرّة السوداء، ومسكن الرطوبة فى الدّم، ومسكن البرودة فى البلغم، ومسكن الحرارة فى المِرّة الصفراء. فأيما جسدٍ اعتدلت فيه هـذه القُطَر الأربع وكانت كلُّ واحدة فيه وفقا لا تزيد ولا تنقص، كملت صحته واعتدل بناؤه. فإن زادت واحدة منهنّ عليهنّ وقهرتْهنّ ومالت بهنّ، دخل على أخواتها السُّقْم من ناحيتها بقدر ما زادت ؛ وإن كانت ناقصة عنهنّ، مِلْن بها وعلونها وأدخلن عليها السُّقْم من نواحيهنّ، لغلبتهنّ عليها حتّى تضعُف عن طاقتهنّ وتعجزَ عن مقاومتهنّ .

قال وهب : وجعل عقله فى دماغه، وشَرَهه فى كُلْيتيه، وغضبه فى كبده، وصَرَامته فى قلبه، ورغبته فى رئته، وضحكه فى طحاله، وحزنه وفرحه فى وجهه. وجعل فيه ثلثمائة وستين مَفْصِلا .

ويقال : إنما لُقِّب الإنسان بالعالم الصغير، لأنهم مَثّلُوا رأسه بالفلك، ووجهه بالشمس إذ لا قِوام للعالَم إلا بها كما لا قوام للجسد إلا بالرُّوح، وعقلَه بالقمر لأنه يزيد وينقص ويذهب ويعود، ومثلوا حواسَّه الخمسَ ببقية الكواكب السيَّارة، وآراءه بالنجوم الثابتة، ودمعه بالمطر، وصوته بالرعد، وضحكه بالبرق، وظهره بالبَرّ، وبطنه بالبحر، ولحمه بالأرض، وعظامه بالجبال، وشعره بالنبات، وأعضاءه بالأقاليم، وعروقه بالأنهار، ومغار عروقه بالعيون .

ومنها : أن فيه مايشاكل الجمعة، والشهر، والأيام، والسنة .

أما أيام الجمعة، فإن بدنه سبعة أجزاء، وهى اللحم، والعظام، والعروق، والأعصاب، والدَّمُ، والجلد، والشعر .

وأما الشهور، فإن لبدنه آثنى عشر جزءا مِدبرةً : ستة منها باطنة؛ وهى الدماغ، والقلب، والكَبِد، والطِّحال، والمعدة، والكُلْيتان؛ وستة ظاهرة، وهى العقل، والحواسُّ الخمس؛ فهذه الآثنا عشر مقابلة لشهور السنة .

وأما الأيام، فإن فيه ثلثمائة وستين عظما؛ منها ما هو لِبِنْية الجسد مائتان وثمانية وأربعون عظما . والإنسان ينقسم إلى أربعة أنواع : الرأْس، واليدان، والبدن، والرِّجلان؛ ففى الرأس آثنان وأربعون عظما؛ وفى اليدين آثنان وثمانون عظما؛ وفى البدن أربعون عظما؛ وفى الرجلين أربعة وثمانون عظما؛ والباقى سُمْسُمانية لسدّ الفروج التى تكون بين العظام . وفيه ثلثمائة وستون عِرْقا .

وأما فصول السنة : فإن فيه أربعة أخلاط طبْعُها طبعُ الفصول الأربعة، فالدم كالربيع فى حرارته ورطوبته، والمِرّة الصفراء كالصيف فى حرّه ويبسه، والمرّة السوداء كالخَرِيف فى برده ويبسه، والبلغم كالشتاء فى برده ورطوبته . وهذه الأخلاط من أوّل مزاج الأركان التى هى العناصر الأربعة، وهى : النار، والهواء، والماء، والأرض .

فصـــل

وأما ترتيب أحواله وتنقل السنّ به إلى أن يتناهى :

[(١) قال الله تبارك وتعالى : ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ .

وقال عز وجل : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ .

وفى الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، ثُمَّ يكون عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يبعثُ اللهُ تعالى مَلَكًا فيؤمَرُ بأربع : برزقه وأجله وشقيّ أو سعيد "، الحديث .

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : " وكَّلَ اللهُ بالرحم مَلَكا : فيقولُ أىْ رب نطفةٌ ! أى ربِّ علقةٌ ! أى ربِّ مضغةٌ ! فإذا أراد اللهُ أن يقْضِىَ خَلْقَها قال : أىْ ربِّ ذكرٌ

(١) هذه الزيادة المحصورة بين قوسين مربعين منقولة كما هى عن إحدى النسخ .

أم أنثى ؟ أشقيّ أم سعيد؟ فما الرزقُ؟ فما الأجلُ؟ فيُكتَبُ كذلك فى بطن أمِّه" .

خرّج ذلك البخاريّ فى "صحيحه" فى باب القَدَر .

وقال الثعلبيّ فى تفسير قوله تعالى ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ﴾ :

" قالت الحكماء : يشتمل الإنسانُ من كونه نطفة إلى أن يهرَمَ ويموت على سبعة وثلاثين حالا[1] ، وسبعة وثلاثين اسما[1] : نُطفة ، ثم عَلَقة ، ثم مُضْغة ، ثم عَظْما ، ثم خَلْقا آخر ، ثم جَنِينا ، ثم وَلِيدًا ، ثم رَضِيعا ، ثم فَطِيما ، ثم يافِعًا ، ثم ناشِئًا ، ثم مُتَرَعْرِعا ، ثم حَزَوَّرا ، ثم مُرَاهِقا . ثم مُحْتَلِما ، ثم بالِغًا ، ثم أمْرَدَ ، ثم طارًّا ، ثم باقِلًا ، ثم مُسَيْطِرا ، ثم مُصْرخا ، ثم مُخْتَطًّا ، ثم صُمُلًّا ، ثم مُلْحِيا ، ثم مستريما ، ثم مصعدا ، ثم مُجْتَمِعا .

وقال غيره] :

مادام الولد فى الرَّحِم . فهو جَنِين ؛ فإذا وُلِد ، فهو وَلِيد ، وما دام لم يَسْتَتِمَّ سبعةَ أيام ، فهو صَدِيغ : لأنه لم يشتدّ صُدْغُه إلى تمام السبعة ؛ ثم مادام يَرْضَع ، فهو رَضِيع ؛ فإذا قُطِع عنه اللبن ، فهو فَطِيم . ثم إذا غَلُظ وذهبت عنه تَرارة الرَّضاعة ، فهو جَحْوَش .

قال الهذلىّ :

قَتَلْنَا مَخْـلَدًا وابْنَىْ خُرَاق * وآخَرَ جَحْوَشًا فوقَ الفَطِيم .

ثم إذا دَبَّ ونما ، فهو دارِج .

فإذا بلغ طُولُه خمسةَ أشبار ، فهو خُمَاسىّ .

فإذا سقطت رواضعُه ، فهو مَثْغُور .

فإذا نبتت أسنانه بعد السُّقُوط ، فهو مُثَغِّر ومتَّغِر معا .

(١) البيانات التالية بعدد سبعة وعشرون فلعلها محرفة عنها .

فإذا تجاوز عشر سنين أو جاوزها، فهو مترعرِع وناشئ[1].

فإذا كاد أن يبلُغَ الحُلُم أو بلغه، فهو يافِعٌ ومراهِق.

فإذا احتلم واجتمعَتْ قوّتُه، فهو حَزَوَر، واسمه فى جميع هذه الأحوال التى تقدّم ذكرها غُلَام.

فإذا اخضرَّ شاربه وأخذ عِذارُه يَسِيل، قيل فيه قد بَقَل وجهُه.

فإذا صار ذا فَتَاءٍ، فهو فتًى وشارخ.

فإذا اجتمعت لحيته وبلغ غايةَ شبابه، فهو مجتمِع.

ثم مادام بين الثلاثين والأربعين، فهو شابٌّ، ثم هو كَهْل إلى أن يستوفِىَ الستين.

فصـــل

فى ظهـــور الشيب وعمومه

يقال للرجل أوّلَ مايظهر به الشيبُ، قد وَخَطَه الشيب.

فإذا زاد، قيل خَصَّفه وخَوَّصه.

فإذا ابيضَّ بعضُ رأسه، قيل قد أخْلَس رأسُه، فهو مُخْلِس.

فإذا غلب بياضُه سوادَه، فهو أغثَمُ.

فإذا شَمِطت مواضعُ من لحيته، قيل وخَزَه القَتِير ولَهَزه.

فإذا كثر فيه الشيبُ وانتشر، قيل فيه قد تقشَّع[2] فيه الشيبُ.

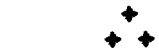
---

(١) وردت هذه الجملة هكذا بالأصل. وفى فقه الثعالبى (فاذا كاد يجاوز العشر السنين، أو جاوزها فهو مترعرع وناشئ) وهو الصواب.

(٢) كذا بالأصل وفقه اللغة وهو محرف عن "تَفَشَّغ" قال فى القاموس (وتفشَّغ فيه الشيب أو الدم: انتشر وكثر).

ويقال أيضا : شابَ الرجل، ثم شَمِط، ثم شاخَ، ثم كَبِر، ثم توجَّه، ثم دَلَف، ثم دَبَّ، ثم عَجَّ، ثم هَدَج، ثم تَلَّب، ثم الموت .

وقيل : ما السرور؟ قال : إدراك الحقيقه، واستنباط الدَّقيقه .



وأما النفس الغضبية، فهمُّ صاحبها منافَسَة الأكْفاء ومغالبة الأقْران ومكاثرة العشيرة .

ومن ذلك ما أجاب به حصين بن المنذر، وقد قيل له : ما السُّرور؟ قال: لواءٌ منشور، والجلوس على السرير، والسلام عليكَ أيها الأمير .

وقيل للحسن بن سهل : ما السرور؟ قال : توقيعٌ جائز، وأمرٌ نافذ .

وقيل لعبد الله بن الأهتم : ما السرو ؟ قال : رفْع الأولياء، ووَضْع الأعداء، وطول البقاء، مع الصحَّة والنماء .

وقيل لزياد : ما السرور؟ قال: من طال عُمُره، ورأى فى عدوّه ما يسُرُّه .

وقيل لأبى مسلم، صاحب الدعوة : ما السُّرور ؟ قال : ركوب الهَمَالجة، وقتل الجبابرة . وقيل له : ما اللذة ؟ قال : إقبال الزمان، وعِزُّ السلطان .



وأما النفس البهيمية، فهمُّ صاحبها طلبُ الراحة. وانهماك النفس على الشهوة من الطعام والشراب والنكاح .

وعلى هذه الطبيعة البهيمية قسمت الفُرْسُ دهرها كلَّه، فقالوا :

يوم المَطَر للشرب ؛ ويوم الريح للنوم ؛ ويوم الدَّجْن للصيد ؛ ويوم الصَّحْو للجلوس .

قيل : ولما بلغ ابن خالويه ما قسمته الفرس من أيامها قال : ما كان أعرَفَهم بسياسة دنياهم ! ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾.

ولكنَّ نبينا صلى الله عليه وسلم جَزَّأ نهارَه ثلاثةَ أجزاء : جزءا لله ، وجزءا لأهله ، وجزءا لنفسه ؛ ثم جَزَّأ جزأه بينه وبين الناس ، فكان يستعين بالخاصة على العامة ، ويقول : "أبلِغُوا حاجةَ مَنْ لا يَسْتطيعُ إبلاغي . فإنه مَنْ أبلغ حاجةَ مَنْ لا يستطيع ، آمنه الله يوم الفَزَع الأكبر" .

قالوا : والطبيعة البهيمية هي أغلبُ الطبائع على الإنسان : لأخذها بمجامع هواه ، وإيثار الراحة وقلة العمل .

ومن ذلك قولهم : الرأى نائم ، والهوى يقظانُ ؛ وقولهم : الهوى إلهٌ معبودٌ .

ومن ذلك ما أجاب به امرؤ القيس ، وقد قيل له : ما السرور ؟ فقال : بيضاء رُعْبوبة ، بالطيب مَشْبوبة ، باللحم مَكْروبة . "وكان مفتونا بالنساء" .

وقيل لأعشى بكر : ما السرور ؟ قال : صَهْباءُ صافيه ، تَمْزُجُها ساقيه ، من صَوْب غاديه . "وكان مغرما بالشراب" .

وقيل لطَرَفة بن العبد : ما السرور ؟ قال مَطْعَم هَنِيّ ، ومَشْرَب رَوِيّ ، ومَلْبَس دَفِيّ ، ومَرْكَب وَطِيّ . "وكان يؤثر الخفض والدَّعة" . وهو القائل :

فلولا ثَلاثٌ هنّ من عِيشةِ الفتى ، * وعَيْشك ! لم أحْفِلْ متى قام عُوَّدى .
فمنهنّ سبقى العاذلات بشَرْبة * كُمَيت متى ما تُعْلَ بالماء تزبد .

وكرّى إذا نادى المُضافُ مُحَنَّبا * كسيدِ الغضَا نبّهتَه المتورِّدِ.
وتقصيرُ يومِ الدَّجْنِ، والدَّجْنُ مُعْجِب، * بِبَهْكَنةٍ تحت الحِبَاءِ المُعَمَّدِ.

وسمع هذه الأبياتَ عمر بن عبد العزيز فقال : وأنا لولا ثلاث لم أحفل متى قام عُوَّدى : لولا أن أعدِل فى الرعيه، وأقسِم بالسويّه، وأتفرّغ فى السَّريّه .

وقال عبد الله بن نَهيك، عفا الله تعالى عنه : ٥

فلولا ثلاثٌ هنّ من عِيشة الفتى، * وعَيْشك، لم أحْفِل متى قام رامسُ.
فمنهن سَبْقُ العاذلات بشربة * كأنّ أخاها مطلعَ الشمس ناعسُ.
ومنهنّ تجريدُ الكواعب كالدُّمى * إذا ابتُزّ عن أكفالهنّ الملابسُ.
ومنهن تقريط الجَوَاد عِنانَه * إذا ابتدر الشخصَ الخفيَّ الفوارسُ.

وقيل ليزيد بن مزيد : ما السرور ؟ فقال : قُبلة على غفلة . ١٠

وقيل لحُرقة بنت النعمان : ما كانت لذةُ أبيك ؟ قالت : شربُ الحِرْيال، ومحادثة الرجال .

وقيل للحسن بن هانئ : ما السرور ؟ فقال : مجالسة الفِتْيان، فى بيوت القِيان، ومنادمة الإخوان، على قُضُب الرَّيْحان، ثم أنشد :

قلتُ بالقُفْص لموسى، * ونَدَامايَ نِيَامُ:
يا رضيعى ثدى أمٍّ * ليس لى عنه فِطَامُ!
إنما العَيْشُ سَمَاعٌ * ومُدَامٌ ونِدَامُ.
فإذا فَاتك هذا، * فعلى الدنيا السلامُ! ١٥

... ...

الباب الثانى

من القسم الأوّل من الفن الثانى

(فى وصف أعضاء الإنسان وتشبيهها)

وما وصف به طِيب الريق والنَّكهة، وحسن الحديث، والنَّغمة، واعتدال القدود، ووصف مشْى النساء. وهو مرتب على ترتيب بِنْية الإنسان فى المذكر والمؤنث .

❖

فأما الشَّعر وما قيل فيه، قال الثعالبىّ عن أئمة اللغة :

العَقِيقة ، الشعر الذى يولَد به الإنسان .

الفَرْوة ، شعر معظم الرأس .

الناصِيَة ، شعر مقدّم الرأس .

الذُّؤابة ، شعر مؤخّر الرأس .

الفَرْع ، شعر رأس المرأة .

الغَدِيرة ، شعر ذُؤابتها .

الغَفَر ، شعر ساقها .

الدَّبَب ، شعر وجهها .

الوَفْرة ، ما بلغ شحمَة الأذن من الشعر .

اللِّمّة ، ما ألَمّ بالمَنْكِب منه .

الطُّرّة ، ما غشّى الجَبهة منه .

الجُمّة والغَفْرة ، ما غطّى الرأس منه .

الهُدْب، شعر أشفار العين .

الشارب، شعر الشَّفَة العليا .

العَنْفَقَة، شعر الشفة السُّفلى .

المَسْرَبة، شعر الصدر. وفى الحديث أنه كان عليه الصلاة والسلام دقيق المَسْرَبة .

الشَّعْرة، العانة .

الإسْب، شعر الأست .

الزَّبَب، شعر بدن الرجل . ويقال بل هو كثرة الشعر فى الاذنين .

فصل
فى تفصيل أوصافه

يقال : شعر جُعْدٌ، إذا كان كثيرا .

ووَحْفٌ، إذا كان متصلا .

وكَثٌّ، إذا كان كثيرا كثيفا مجتمعا .

ومُعَلْنِكس، ومُعَلْنِكك، إذا زادت كثافتُه .

ومُنْسدِر، إذا كان منبسطا .

وسَبِط، إذا كان مسترسلا .

ورَجِل، إذا كان غير جَعْد ولا سبط .

وقَطَطٌ، إذا كان شديد الجُعُودة .

ومُقْلَعِطٌّ، إذا زاد على القَطَط .

ومُفَلْفَل، إذا كان نهايةً فى الجُعُودة كشعر الزِّنج .

وسُخَام، إذا كان حسنا لَيِّنا .

ومُغْدَوْدِن، إذا كان طويلا ناعما .

وقال الأصمعيّ : من لم يَخِفَّ شعره قبل الثلاثين لم يَصْلَع أبدا، ومن لم يحل اللحم قبل الثلاثين لم يحله أبدا .

ومما وُصف به الشَّعَرُ، قال نصر بن أحمد، عفا الله تعالى عنه :

سَلْسَل الشَّعْر فوقَ وجهٍ، فحاكى * ظُلْمَةَ الليل فوقَ ضَوْء الصَّباح .

وقال ابن الروميّ :

وفاحمٍ وارِدٍ يُقَبِّلُ مَمْشاه إذا اختالَ مُرْسِلا غُدُرَهْ.
أقْبَلَ كاللَّيْل من مَفَارِقه * منحدِرًا لا يَذُمُّ منحَدَرَهْ.
حتَّى تناهى إلى مَوَاطِنِه * يَلْثِمُ من كلِّ مَوْطِئٍ عَفَرَهْ.
كأنَّهُ عاشِقٌ دَنَا شَغَفًا * حتَّى قضى من حَبِيبه وَطَرَهْ.

وقال فتح الدين بن عبد الظاهر :

حَلَّ ثلاثًا يوم حَمَّامِه * ذوائبًا يَعْبَقُ منها الغَوالْ.
فقلتُ، والقَصْدُ ذُؤاباتُه : * ياسَهَرِى فى ذى اللَّيالِ الطِّوالْ!

وقال آخر :

قد عُلِّق القلب بذَبْوقةٍ * وجُنّ منها فهو مَفْتونْ
واعَجَبًا للعِشْق فى حُكْمِه * بشَعْرة قُبِّحَ مَجْنونْ.

وقال آخر:

رأيتُ على قَـدِّ الحَبِيبِ ذُؤابةً * فعَنِّى على تلك الذُّؤابة تَهْمَعُ.
يقول لِىَ الواشُونَ: مالك باكِيًا؟ * فقلت: بعْينى شَعْرةٌ فهى تَدْمَعُ.

وقال آخر:

وشَـعْرةٍ عاينَهَا ناظِرى * على قَوَامٍ مائِسِ الخَطْرَهْ.
فسالَ دَمْعًا وهَمى جَفْنُه، * والدَّمْعُ لا شَكَّ من الشَّعْرَهْ.

وقال آخر:

ولَرُبَّ مَمْشُوقِ القَوَامِ تَضُـمُّه * ممشوقةٌ، فتعانقَـا غُصْنَيْنِ.
أرْخَتْ ذوائبَها وأسبلَ شَعْرَه، * فتقابَلَا قمَرَيْـنِ فى لَيْلَتَيْنِ!

❖❖❖

ومِمـا وُصِفت به شعورُ النساء؛ قال بكر بن النطَّاح:

بَيْضاءُ تَسْحَبُ من قِيامٍ فَرْعَها * وتَغِيبُ فيه فهو جَثْلٌ أَسْحَمُ.
فكأنَّهـا فيـه نهـارٌ ساطِـعٌ، * وكأنَّه لَيْـلٌ عليهـا مُظْلِمُ.

وقال آخر:

نشرَتْ عَلَىَّ ذوائبًا من شَعْرِها * حذَرَ الكَواشِحِ والعَدُوِّ المُحْنَقِ.
فكأنَّنِى وكأنَّهـا وكأنَّه * صُبْحانِ باتَا تحت ليلٍ مُطْبِقِ.

وقال عمرُ بن أبى ربيعة:

سَبَتْهُ بوَحْفٍ فى العَقاصِ كأنَّهُ * عَنَاقِيدُ، دَلَّاها من الكَرْمِ قاطِفُ.
أَسِيلاتُ أبدانٍ، دقاقٌ خُصُورُها، * وَثِيراتُ ما الْتَفَّتْ عليه المَلَاحِفُ.

وقال المتنبي :

ومَنْ كُلَّما جَرَّدْتُها من ثيابِها ، * كَساها ثياباً غيرَها الشَّعرُ الوَحْفُ .

وقال أيضا :

دعَتْ خَلاخيلُها ذوائبَها ، * فِتْنَ مِن فَرْقِها إلى القَدَمِ .

وقال فى أخرى :

نشَرَتْ ثلاثَ ذوائبٍ من شَعْرِها * فى ليْلةٍ ، فأرَتْ لَيالِيَ أربَعا .

وٱستَقْبَلَتْ قَمَرَ السماءِ بوجْهِها ، * فأرَتْنِيَ القَمرَيْنِ فى وَقْتٍ مَعَا .

وقد ألَمَّ فى ذلك بقول ٱبن المعتزّ :

سَقَتْنِيَ فى لَيْلٍ شَبِيهٍ بشَعْرِها * شَبِيهةَ خَدَّيْها بغَيْرِ رَقِيبِ .

فأمْسَيْتُ فى لَيْلَيْنِ بالشَّعْرِ والدُّجى ، * وشَمْسَيْنِ من خَمْرٍ وخَدٍّ حَبِيبِ .

وقال ٱبن المعتزّ :

فلَمَّا أنْقَضتْ وَطَرا وهَمَّتْ * على عَجَلٍ بأخْذِ الرِّداءِ ،

رأَتْ شَخْصَ الرَّقِيبِ على تَدانٍ * فأسبَلَتِ الظَّلامَ على الضِّياءِ .

وغابَ الصبْحُ منها تحتَ لَيلٍ ، * وظَلَّ الماءُ يَقْطُر فوقَ ماءِ .

وقال ٱبن لَنْكَك :

هَلْ طالبٌ ثَأْرَ مَنْ قد أهدَرَتْ دَمَهُ * بِيضٌ ، عليهنّ نَذْرٌ قتلُ مَنْ عَشِقا ؟

من العَقائل ما يَخْطِرْنَ عن عُرُضٍ * إلّا أرَيْنَكَ فى قَدٍّ قَنًا ونَقَا .

رَوَاعِفٌ بخُدودٍ زانها سَبَجٌ * قد زَرْفَنَ[1] الحسنُ فى أصداغِها حَلَقا .

(١) زرفن صدغيه جعلهما كالزُّرْفين وهو حلقة الباب .

نَوَاشِرٌ فى الضُّحى من فَرْعِها غَسَقًا، * وفى ظَلام الدُّجى من وَجْهها فَلَقا.
أَعَرْنَ غِيدَ ظِباءٍ رُوِّعْنَ غَيْـدًا، * والوَرْدَ تَوْرِيدَ خدٍّ، والمَهَا حَدَقا.

وقال آبن دُريد الأزدىّ :

غَرَّاء لو جَلَتِ الخُـدودُ شُعاعَها * للشَّمْس عند طُلُوعها، لم تُشْرِقِ.
غُصْن على دِعْصٍ تألَّقَ فَوْقَـهُ * قمـرٌ تألَّقَ تحتَ ليْـل مُطْبِقِ.
لو قيل للحُسْن : آحتَكِمْ لم يَعْدُها. * أو قيل : خاطِبْ غيْرَها ! لم يَنْطِقِ.
فكأنَّنا مِن فرعِها فى مَغْرِبٍ، * وكأنَّنـا من وَجْهِها فى مَشْرِق.

وقال آخر :

جُعودةُ شعرها تَحْكِى غَدِيرا * يُصَفِّقه الجَنوبُ مع الشَّمالِ.

ذكر ما قيل فى الشيب والخضاب من المدح والذم

فأما مدح الشيب، فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مَنْ شابَ شَيْبةً فى الإسلام كانتْ له نُورا يومَ القِيامةِ" .

وقال آبن أبى شيبة : "نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نَتْف الشيب وقال : هو نور المؤمن" .

وفى الحديث عن النبىّ صلى الله عليه وسلم : "ان أوّلَ مَنْ رأى الشيب إبراهيمُ الخليل عليه السلام ، فقال : يا ربِّ ما هـذا ؟ فقال له : الوقارُ، فقال : رب زِدْنِي وقارا" .

وتأمل حكيمٌ شيبَه فقال : مرحبا بزَهْرة الحُنْكة ويُمْن الهدى ومقدِّمة العفّة ولباس التقوى .

وقيل : دخل أبو دُلَف على المأمون وعنده جارية له ، وكان أبو دُلَف قد ترك الخضاب ، فأشار المأمون إلى الجارية فقالت له : شِبْتَ ياأبا دُلَف . إنا لله وإنا اليه راجعون . فسكتَ عنها أبو دلف ، فقال له المأمون : أجبها ، فقال :

تَهزَّأتْ إذ رأتْ شَيْبِي فقلتُ لها : * لا تَهْزَئِي مَنْ يطُلْ عمرٌ به يَشِبِ !
شَيْبُ الرجالِ لهم زَيْنٌ ومَكْرُمةٌ . * وشَيْبُكن لكُنَّ الويلُ فاكتئبي !
فينا لكُنَّ — وإن شَيْب بَدَا — أَرَبٌ ، * وليس فيكُنَّ بعد الشَّيْب من أَرَب !

وقال آخر :

أهْلا وسَهْلا بالمشيب ومرحبا ، * أهْلًا به من وافدٍ ونَزِيلِ !
أهْدى الوقارَ وذادَ كلَّ جَهالة * كانتْ ، وساقَ إلىّ كلَّ جميلِ .
فصَحبتُ فى أهل التقى أهل النهى * ولُقِيتُ بالتعظيم والتبجيلِ .
ورأى لىَ الشُّبَّانُ فضلَ جلالةٍ * لما اكتَهَلْتُ ، وكنتُ غير جَلِيل .
فإذا رأَوْنى مقبلًا ، نهضُوا معًا : * فِعْلَ المقرِّ لهيبة التفضيلِ .
إن قلتُ ، كنتُ مصدَّقًا فى منطِقى ، * ماضى المَقَالة حاضرَ التعديل .

وقال مُسْلم بن الوليد :

الشَّيْبُ كُرْهٌ ، وكُرْهٌ أن يُفارقَنِي * إعجبْ لشىءٍ على البغضاءِ موْدُود .

وقال علىّ بن محمد الكوفىّ :

بكى للشَّيْب ، ثم بكى عليه * وكان أعزَّ من فقد الشَّبابِ .
فقُلْ للشَّيْب : لا تبرَحْ حَمِيدًا * إذا نادى شبابُكَ بالذَّهاب .

وقال العسكري :

يَودُّ أنَّ شَـيْبَهُ * إذ جاءَ لا يَنْصَرِفُ.

يَخْلُفُ رَيْعانَ الصِّبا * والمَوتُ منه خَلَفُ.

وقال ابن المعتز :

قد يَشِيبُ الفَتى ، وليس عَجِيباً * أن يُرى النَّوْرُ في القضيب الرَّطيب.

وقال أبو تمام :

ولا يُؤَرِّقْكَ إيماضُ القَتِيرِ به * فإنَّ ذاك ابتسامُ الرأيِ والأدَبِ.

وقال أبو الفتح البستي :

يا شَيْبَتي دُومي ولا تَتَرَحَّلي * وتيقَّني أنِّي بوصْلِكِ مُولَعُ!

قد كنتُ أجْزَعُ من حُلولكِ مرةً ، * فالآنَ من خوفِ ارْتِحالِكِ أجْزَعُ!

وقال آخر :

فأمَّا المَشِيبُ فصُبْحٌ بدا * وأما الشَّباب فليْل أفَلْ.

سَقى الله هـذا وهذا معًا * فنِعْمَ المُوَلِّي ونعم البَدَلْ!.

وقال أبو الفتح كشاجم :

تفكَّرتُ في شَيْبِ الفَتى وشبابِهِ * فأيقنتُ أن الحقَّ للشَّيْبِ واجبُ.

يصاحبُني شَرْخُ الشبابِ فينقَضِي ، * وشَيْبِيَ لي حتَّى المَمات مصاحبُ.

وقال أبو العلاء السروي ، شاعر اليتيمة :

حيِّ شَيْبا أتى لغير رحيل ، * وشبابًا مضى لغيرِ إياب!

أيُّ شيءٍ يكونُ أحسَنَ منعا * جِ مَشيبٍ في آبنوس شَبابِ؟

وقال أبو عوانة الكاتب :

هَزِئْتْ إذ رأتْ مَشيبي، وهل غَيْرُ المَصابيح زينةٌ للسماءِ؟
وتولَّتْ فقلتُ قولًا بإفصا * ح لها، لا بالرَّمْز والإيماءِ:
إنما الشيْبُ في المَفارِق كالنُّو * ر بَدَا والسَّوادُ كالظلماءِ.
لا مَحِيصٌ عن المَشيب أو المو * ت، فكُنْ للهَوْباء أو للنَّماءِ!
إن عُمْرا عُوِّضتَ فيه عن المو * ت بشَيْبٍ من أعظَم النَّعماءِ!

وقال ابن عبد ربه :

كأنَّ سوادَ لِمتِهِ ظلام * يُطِلُّ من المَشيب عليه نُورُ.

وقال أبو عبد الله الاسباطي :

لا يَرُعْكِ المَشيبُ، يا آبنة عبد الله، فالشيبُ زينةٌ ووَقارُ!
إنما تحسُنُ الرِّياضُ إذا ما * ضَحِكتْ في ظلالها الأنْوارُ.

❖

وأما ما ورد في ذم الشيب، قال قيس بن عاصم رحمة الله عليه: الشيبُ خِطامُ المنيَّة.

وقال غيره: الشيبُ نذير الموت.

وقد ورد في بعض التفاسير في قوله تبارك وتعالى ﴿وجاءكُمُ النَّذيرُ﴾. قيل: هو الشيب.

وقال أعرابيّ: كنتُ أُنكر البيضاء، فصرت أُنكر السوداء؛ فيا خَيْرَ مبدول ويا شرَّ بَذَل.

وقيل للنبيّ صلى الله عليه وسلم : عَجَّلَ عليك الشيبُ يا رسول الله، قال : "شيَّبتنى هودٌ وأخواتُها" . قيل : هى عَبَس، والمرسلات، والنازعات .

وقيل لعبد الملك بن مَرْوان : عَجَّلَ عليك الشيب يا أمير المؤمنين، قال : شيبنى ارتقاءُ المنابر وتوقُّع اللحن .

وقال بعضهم : خرجت إلى ناحية الطَّفَاوة، فإذا أنا بامرأة لم أر أجمل منها، فقلت : أيتها المرأةُ ، إن كان لك زوج فبارك الله له فيكِ ، وإلا فأعلمينى . قال فقالت : وما تصنعُ بى ؟ وفىّ شىء لا أراك ترتضيه . قلتُ : وما هو؟ قالت : شيبٌ فى رأسى . (١٠٠) قال : فثنيتُ عِنَان دابتى راجعا، فصاحتْ بى : على رِسْلك، أخبرك بشىء، فوقفتُ وقلت : وما هو، يرحمكِ الله ؟ قالت : والله مابلغت العشرين بعدُ، وهذا رأسى فكشفتْ عن عناقيد كالحُمَم ، وقالت : والله مارأيتُ برأسى بياضا قطُّ ، ولكن أحببت أن تعلم أنّا نكره منك ماتكره منا ، وأنشدت :

أرى شيبَ الرِّجال من الغَوَانِى * بموضع شيبهنّ من الرجال!

قال : فرجعتُ نَجِلا ، كاسف البال .

قال أبو تمام :

غَدَا الشيبُ مختطا بفَوْدَىّ خِطَّةً * سبيلُ الرَّدى منها إلى النفس مَهْيَعُ .
هو الزُّور يُخْفَى ، والمُعاشِر يُحْتوى ، * وذو الإلف يُقْلى ، والجديد يرقَّعُ .
له مَنظَرٌ فى العين أبيضُ ناصعٌ ، * ولكنه فى القلب أسودُ أسفَعُ .

وقال آخر :

تقول لَمَّا رأتْ مِشيبى * بدَا ، وعندى له انقباضُ :
لاترجُ عَطْفا عليكَ منِّى ، * سوَدَ ما بيننا البَياضُ !

وقال آخر :

وقالوا : مَشيبُ المرْءِ فيه وقارُه، * وما علموا أن المَشيب هو العيبُ.
وأيُّ وقارٍ لامرئٍ عُرِّى الصِّبا، * ومن خَلْفِه شيبٌ وقدَّامه شيبُ؟

وقال آخر :

مَنْ شابَ، قد مات وهْو حَيٌّ، * يمشي على الأرض مشى هالكْ!
لو كان عُمْرُ الفتى حسابًا * كان له شيبُه فذالكْ[1].

وقال محمود الورّاق :

بَكَيْتُ لقُرْب الأجَلْ، * وبُعْدِ فوات الأمَلْ!
ووافق شَيْبٌ طَرَا * بعَقْب شبابٍ رحَلْ.
شَبابٌ كأن لم يَكُنْ * وشيبٌ كأن لم يَزَلْ.
طوى صاحبٌ صاحبًا * كذاك اختلافُ الدُّوَلْ!

وقال عَبيد بن الأبرص :

والشيبُ شَيْنٌ لمن أمسى بساحته! * لله درُّ شَبَاب اللَّة الخالى.

وقال البحترى :

وددْتُ بياضَ السيف يوم لقيتنى * مكانَ بياض الشيب حلَّ بمَفْرِقى.

وقال أبو العتاهية :

عَرِيتُ عن الشباب، وكان غَضًّا، * كما يَعرى من الورق القَضيب.
ألا ليتَ الشبابَ يعودُ يومًا * فأُخْبِرَهُ بما فعل المَشيبُ!

(١) الفذالك جمع الفذلكة أى نتائج الحساب التى يقال عندها : فذلك يكون كذا. (أنظر : شفاء الغليل للخفاجى).

وقال آخر :

يَاحَسْرتَا أين الشبابُ الذى * على تَعدِّيه المشيبُ اعتدى؟
شِبْتُ، فما أنْفَكُّ من حسرةٍ * والشيبُ فى الرأس رسولُ الرَّدى!
إنَّ مدى العُمْر قريبٌ فما * بقاءُ نَفسى بعد قُرْب المَدَى؟

وقال آخر :

هذا عِذارُك بالمَشيبِ مُطرَّزٌ * فقبولُ عُذْرك فى التصابى مُعْوِزُ!
ولقد علمتُ ـ وما علمتُ توهُّماً ـ * أن المَشيبَ لهَدْم عمرك يَرْمُزُ.

وقال أيضا :

ألستَ ترى نُجومَ الشَّيْب لاحَتْ * وشَيْبُ المرْءِ عنوانُ الفساد!

وقال أيضا :

أبى جِدِيدَى هذان الجديدانِ * والشأن فى أن هذا الشَّيْبَ يَنْعانِى!
كأنما اعتَمَّ رأسِى منه بالجَبَلِ الر * اسى، فأوْهنى ثِقْلا وأوهانِى.

وقال آخر :

لما رأتْ وَضَح المَشيب بعارضى * صدَّتْ صُدودَ مُجانِب متحمِّل.
جعلتُ أطلُب وصلَها بتلطُّف، * والشيبُ يغمِزُها بأن لا تَفْعَلى!

وقال كُشاجم :

ضَحِكتْ! من شَيْبةٍ ضَحِكتْ * لسَواد اللِّمَّة الرجلَهْ
ثم قالتْ وهى هازئةٌ : * جاء هذا الشيبُ بالعَجَلَهْ!
قُلت: من حُبِّيك، لا كِبَرٌ، * شاب رأسى فانثنت نَجلَهْ.

وثَنَتْ جَفْنا على كَحَلٍ * هى منه الدَّهرَ مكتحلَهْ.
أكثرتْ منه تعجُّبَها! * فَهْى تَجْنِيه وتعجَبُ لَهْ.

وقال أبو تمام :

دقةٌ فى الحياة تُدْعى جَلَالا، * مثلَ ما سُمِّى الدِّيبَاج سليما.
غُرَّةٌ مُرَّة ألا إنَّما كنـ * ـتُ أغرًّا أيامَ كنت بَهِيما.

وقال ابن المعتز :

لقد أبغضتُ نفسى فى مَشيبى * فكيف تُحِبُّنى الخُودُ الكعَابُ؟

وقال أبو هلال العسكرى :

(١١) فلا تعجَبًا أن يَعِبْنَ المَشِيبا * فما عِبْنَ من ذاك إلا مَعِيبا!
إذا كان شَيْبِى بَغيضًا إلىّ * فكيف يكونُ إليها حَبِيبا؟

وقال محمد بن أُميّة :

رأينَ الغوانِى الشيبَ لاحَ بعارضِى، * فأعرَضْنَ عنِّى بالخُدود النَّواضر.
وكُنّ إذا أبصرنَنِى أو سمعْنَ بِى، * دَنَوْنَ فرَقَّمْنَ اللَّوَى بالمَحَاجِر.

وقال آخر :

قالت، وقد راعها مَشيبى : * كنتَ ابنَ عمّ فصرتَ عَمَّا.
واستهزأتْ بِى، فقلتُ أيضا : * قد كنتِ بنتًا فصرتِ أُمَّا.

وقال آخر :

تضاحكتْ لَمَّا رأتْ * شَيْبا تلألا غُرَرُهْ.
قلتُ لها : لا تعجبى * أنبيكِ، عندى خَبَرُهْ.
هذا غَمَامٌ للردَى، * ودمعُ عينى مَطَرُهْ.

❖

ومما قيل فى الخضاب من المدح، ما رُوِىَ عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قال : "غَيِّروا هذا الشيبَ، وجَنِّبُوه السوادَ" .

وكان أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه يَخْضِب بالحِناء وبالكَتَم .

وقد مدح الشعراء الخِضابَ .

فمن ذلك قول عبد الله بن المعتزّ :

وقالُوا : النُّصولُ مشيبٌ جَدِيدْ! * فقلتُ : الخضاب شباب جَدِيدْ!

إساءةُ هـذا بإحسان ذَا * فإن عاد هـذا فهـذا يَعودْ.

وقال أبو الطيب المتنبي :

وما خَضَب الناسُ البياضَ لأنَّهُ * قَبِيحٌ ، ولكن أحسنُ الشَّعْرِ فاحِمُه .

وقال محمود الورّاق :

لِلضَّيْف أن يُقْرى ويُعْرَفَ حقُّه! * والشيبُ ضيفُك، فأَقْرِهِ بِخضابِ.

وقال عبدان الأصبهانىّ :

فى مَشيبى شَمَاتَةٌ لِعداتِي ، * وهو ناعٍ منغِّصٌ لحياتِي .

ويعيبُ الخِضابَ قومٌ، وفيه * أىّ أُنْسٍ إلى حُضُور وفاتى .

لا ومَنْ يعلَمُ السرائرَ منِّى * ما به رُمْتُ خُلَّةَ الغانياتِ .

إنما رمتُ أن يُغيِّبَ عنى * ما تُرينِيهِ كلَّ يومٍ مراتِي .

وهو ناعٍ إلىّ نفسِي، ومنْ ذا * سَرَّه أن يرى وجوهَ النُّعَاتِ ؟

وقال ابن الرومى :

يا بياضَ المَشيبِ سوّدتَ وجْهى ، * عند بيض الوجوه سُودِ القرون!
فلعَمْرى ، لأُخفينَّكَ جُهْدى * عن عِيانى وعن عِيان العُيُون!
ولعمْرى ، لأمْنعنَّكَ أن تضـ * ـحك فى رأسِ آسِفٍ محزونِ!
بخضابٍ فيه آبيضاضُ لوَجْهى * وسوادٌ لوجهك الملْعون!

وقال آخر :

نَهى الشيبُ الغوانِىَ عن وَصالِى * وأوْقع بين أحبابى وبيْنِى.
فلستُ بتاركٍ تدبيرَ ذَقْنِى * إلى أن ينقضى أمدى لحَيْنِى.
أُدَبِّر لِحْيتى ما دمتُ حيًّا * وأعتقُها ولكن بَعْدَ عَيْنِى.

وقال آخر :

قالوا : فلانٌ لم يَشِبْ ، * وأرى المَشيبَ عليه أبْطا.
فأجبتُهُمْ : لولا حديـ * ـثُ الصَّبْغِ لانكشَفَ المُغَطَّى.

* * *

ومما قيل فى ذم الخضاب : قال محمود الورّاق ، رحمه الله :

ياخاضِبَ الشيبِ الذى * فى كُلِّ ثالثةٍ يَعُودْ.
إن النُّصُولَ إذا بدَا * فكأنه شَيْبٌ جَدِيدْ.
وله بَدِيهةُ رَوْعةٍ * مكروهُها أبدا عَتِيدْ.
فدَعِ المَشيبَ لِمَا أرا * د فلنْ يعودَ لما تُرِيدْ.

وقال آخر:

تَسَتَّرَ بالخِضاب ، وأىّ شىءٍ * أدلُّ على المشيب من الخِضَابِ؟

وقال ابن الرومى :

قُلْ للسوَّدِ حينَ سوَّدَ : هكذا * غِشُّ الغوانى فى الهـوى إيَّاكا!
كذَّبَ الغوانِىَ فى سَوادِ عِذارِه، * فكذبْنَه فى وُدِّهـنَّ كذاكا!

وقال المتنبى :

ومِنْ هوى كلِّ مَنْ ليست مموِّهـة * تركتُ لونَ مشيبِى غيرَ مخضـوب.
ومِنْ هوى الصدقِ فى قولى وعادتِه * رغِبتُ عن شَعَرٍ فى الوجه مكذوبِ.

وقال الأمير شهاب الدين بن يغمور عفا الله عنه : (١٢)

ياصابغَ الشَّيبِ، والأيامُ تُظْهِره: * هذا الشبابُ، وحَقِّ الله مصنوعُ!
إن الجديد إذا ما كان فى خَلَقٍ * يَبِينُ للناس أن الثوبَ مرقوعُ.

١٠

* * *

وأما ما وصف به الوجه، فمن ذلك ما قيل فى المذكر

قال الوجيهى :

مستقبَلٌ بالذى يهوى، وإن كثرت * منه الإساءة، معـذورٌ بما صَنَعا.
فى وجهـه شافعٌ يمحو إساءتَهُ * من القلوب، وجيها حيثما شَـفَعا.

١٥ وقال الآخر :

رأيتُ الهلالَ على وجْهِهِ * فلم أدْرِ أيُّهما أنـورُ؟
سوى أنَّ ذاكَ قريبُ المَزارِ * وهـذا بعيـد لمن يَنْظُر.
وذاك يَغيبُ وذا حاضِرٌ * فما مَنْ يغيبُ كمن يَحْضُر.
ونَفْع الهـلالِ كثيرٌ لنا * ونَفْع الحبيبِ لنا أكْثَرُ.

وقال آبن لنكك :

البَدْرُ والشمس المُنيرةُ والدُّمى والكَوْكَبُ :
أضحتْ ضرائرَ وجهه * من حيثُ يَطْلُعُ تَغْرُبُ.
وكأنّ جَمْرَ جوانحي * في خَدّه يتلهّب.
وكأنّ غُصْنَ قَوامِه * من ماءِ دمعي يشرَبُ.
وصَوالجٍ في صُدْغه * بسواد قلبي تَلْعَبُ.

وقال آبن المعتز :

نَظرتُ إلى مَنْ زيّن الله وجْهَه، * فيا نظرةً كادتْ على عاشقٍ تقضي!
وكبّرتُ عشرا، ثم قلتُ لصاحبي: * متى نَزَل البدرُ المنيرُ إلى الأرض؟

وقال الخُبْزُ أَرْزِيّ :

رأيتُ الهلالَ ووجهَ الحبيبْ * فكانا هلالَيْنِ عند النَّظَرْ.
فلَمْ أدرِ من حَيْرَتي فيهما * هلالَ الدُّجى من هلال البشَرْ!
فلولا التوردُ في الوجنتَيْنِ * وما راعني من سَواد الشَّعَرْ،
لكنتُ أظنُّ الهلالَ الحبيبْ * وكنتُ أظنُّ الحبيبَ القمَرْ!

وقال أبو الشيص :

تَخْشَعُ شمسُ النهارِ طالعةً * حينَ تراه، ويخشع القَمَرُ.
تَعْرِفُه أنه يفوقُهما * بالحسن، في عينِ مَنْ له بَصَر.

وقال أبو هلال العسكري :

ووَجْه تَشرَب ماء النعيمْ، * فلو عُصِرَ الحسنُ منه انعصَر.

يمُـرّ فأمنحُه ناظـرِى * فينثُرُ وردًا عليـه الخفَرْ.
تمتّعت العينُ فى حُسْنه، * فـا حَفَلَتْ بطلوع القَمَرْ.

وقال ابن المعتز :

يامُفـرَدًا بالحسن والشَّكْلِ، * مَنْ دلّ عينيـك على قتْـلِى؟
البدرُ من شمس الضُّحى نُورُهُ، * والشمسُ من وجهك تستَمْلِى.

وقال ابن المعدّل يصف عُتْبةَ :

لعُتبـةَ صفحتاَ قمـرٍ * يفوق سَناهما القَمَرا.
يَزيدُكَ وجهُه حسنا * إذا ما زدتَهُ نَظَـرا.

وقال السرىّ الرفاء :

قمـرٌ تفـرّد بالمحـاسن كلّهـا، * فإليه يُنْسَب كلُّ حسنٍ يوصَف.
بجبينـه صُبْحٌ، وطُرّته دُجًى، * وقَـوامُه غصنٌ رطيب أهيفُ.
لله ذاك الوجهُ! كيف تألّفتْ * فيـه محاسنٌ لم تكن تتألّفُ؟

وقال آخر :

وفى أربع منّى حلَلْتَ منـك أربعٌ، * فـا أنا أدرى أيُّهـا هـاجَ لى كَرْبِى؟
أوَجْهُك فى عينى، أم الرِّيقُ فى فَمى، * أم النطقُ فى سمعى، أم الحُبُّ فى قلبى؟

ومثله قول يعقوب الكندىّ :

وفى خمسةٍ منّى حلَلْتَ منك خمسةٌ: * فريقُك منها فى فَمِى طيّبُ الرَّشْفِ،
ووجهُك فى عينى، ولَمْسُك فى يدى، * ونُطْقُك فى سمعى، وعَرْفُك فى أنفى.

وقال أبو نُوَاس :

كأنما الوجهُ إذ بَدَا قمرٌ * مُرَكَّب فوق قامة الغُصُن.

ياذا الذى أصبح العِبادُ به * فى فتنةٍ من عظائم الفِتَن !

أقْبِلْ بوجه الهَوى إلىّ، فقد * أطلْتَ بالصدّ مُعرضًا حَزَنِى !

وقال محمد بن وهب :

نَمْ فقد وَكَّلْتَ بى الأرَقَا * لاهَنَا بَعْدُ لمن عَشِقا.

إنما أبقيتَ من جَسَدِى * شَبَحا غير الذى خُلِقَا.

ما لمن تَمَّتْ محاسِنهُ * أن يُعادِى طَرْفَ مَن رَمَقا.

لك أن تُبْدِى لنا حَسَنا * ولنا أن نُعْمِل الحَدَقا.

❖

(١٣) ومن ذلك ماقيل فى المؤنث، قال ابن سكرة :

فى وجْه إنسانةٍ كَلِفتُ بها * أربعةٌ ما اجتمعْنَ فى أحد.

فالخدُّ وَرْدٌ والصُّدغ غاليةٌ * والرِّيق خمرٌ والثغرُ من بَرَدِ.

لكلِّ جُزْء من حُسنِها بِدَعٌ * تُودِعُ قلبى ودائِعَ الكَمَد !

وكان مكتوبا على عِصابةِ وَرْد جارية الماهانىّ :

تَمَّتْ بوتَمِّ الحسنُ فى وجهها ! * فكلُّ شىءٍ ما سواها مُحالْ.

للناس فى الشهر هِلالٌ، ولى * فى وجْهها كلَّ صباحٍ هلالْ !

وقال آخر :

وإذا الدُّرّ زانَ حُسْنَ وجُوهٍ، * كان للدُّرّ حسنُ وجهكِ زَيْنا.

وتَزِيدين طَيِّبَ الطيب طِيباً * إن تَمَسَّيه ! أينَ مثلُك أينا ؟

وقال آخر :

ليس فيها أن يُقال لها : * كَمُلَتْ، لو أن ذا كَمُلا.
كلُّ جزءٍ من محاسنها * صائرٌ من حسنِها مَثَلا.

وقال عمر بن أبى ربيعة :

وفتاةٍ إن يغِبْ بدرالدُّجى، * فلنا فى وجْهها عنه خَلَفْ.
أجمع الناسُ على تفضيلها، * وهواهُمْ فى سواها مختلِفْ.

وقال الجمانىّ من أبيات :

نرى الشمسَ والبدرَ معناهما * بها واحدًا، وهما مَعْنيانْ.
إذا طلَعتْ وجهها، أشرقا * بطلعتها، وهما آفلانْ.

❖

ومما وُصِف به صفاء الوجه ورقّة البشرة، فمن ذلك ماقيل مذ كرا .

قال أبو نُوَاس :

نظرتُ إلى وجهه نظرةً * فأبصرتُ وجهِىَ فى وجهه.

وقال آخر .

أعِدْ نظَرًا! فما فى الخدِّ نبتٌ، * حماهُ الله من رَيْب المَنُونِ!
ولكنْ رَقَّ ماءُ الوجه حتّى * أراك مثالَ أهداب الجُفُونِ!

ومثله قول الآخر :

فلما استدارتْ أعينُ الناسِ حولَهُ * تُلاحِظُه كيف استقلَّ وسارا،
تمثّلتِ الأهدابُ فى ماء وجهه، * فظَنُّوا خيالَ الشَّعْر فيه عِذارا.

وقال الأرّجانيّ

ما أنْسَ، لا أنْسَى له مَوْقفًا، * والعِيسُ قد تَوْرَهُنَّ الحُـدَاهْ.
لَمَّا تجـلَّى وجهُـه طالعًا، * وقـد ترامَتْ نَظَراتُ الوُشاهْ.
قابلَنِي حين بدتْ أدمُعِي * فى خَدِّه المصقولِ مثل المِراهْ.
يُوهِم صَحْبِي أنه مُسْعِدِى * بأدمعٍ لم تُدْرِها مقلتـاهْ.
وإنما قـلَّدنِي مِنَّـةً * بدمْع عينٍ من جُفونِى آمتَراهْ.
ولم تقعْ فى خـدِّه قطـرةٌ * إلا خَيـالاتِ دمُوع البُكَاهْ.

وقال أيضا :

وأغْيـدَ رقَّ ماءُ الوجه منه، * فلو أرخى لِثَّـاما عنـه، سالا.
تُبِين سوادَها الأبصارُ فيه، * فحيثُ لحظتَ منه، حَسِبْتَ خالا.

* * *

ومن ذلك ما قيل فى المؤنث، قال نشار

وما ظَفِرتْ عيني غداةَ لقيتُها * بشيءٍ، سوى أطرافها والمَحَاجِرِ.
بحَوْراءَ من حُور الجنانِ عزيزةٍ، * يَرى وجهَهُ فى وجهها كلُّ ناظِرِ.

وقال السريّ الرفاء

بيضاءُ تنظُر من طَرْفٍ تقلِّبُهُ * معذَّبٍ بين أجسادٍ وأرواحِ.
ماءُ النعيمِ على دِيباجِ وجنتِها * يجولُ بين حَيِيٍّ وَرْدٍ وتُفَّاحِ.
رَقَّتْ فلو مُزِجَ الماءُ القَراحُ بها * والراحُ، لامتزجتْ بالماء والراحِ

وقال الأرّجانىّ من أبيات :

ولمّا تلاقَيْنا، وللعين عادةٌ * تُثير وُشاةً عند كلّ لِقاء،
بدتْ أدمُعى فى خدّها من صقالِه، * فغارُوا وظنوا أن بكَتْ لبُكائى!

❖

ومما قيل فى صفرة الوجه، فمن ذلك ما قيل مذكرا .

قال أبو عبادة البحترىّ :

بَدَتْ صُفرةٌ فى وجهه، إنّ حَدْسَهُمْ * من الدُّرّ ما اصفرّت نواحيه فى العِقْدِ.

وقال آخر :

لم تَشِنْ وجهَه المليحَ، ولكن * جعلَتْ وَرْد وجنتيه بَهارا.

وقال الأرّجانىّ وأجاد :

راقَ ماءُ الحياةِ من وجنتيه، * فهو مِرْآةُ أوجُهِ العُشّاقِ!

❖

ومن ذلك ما قيل فى المؤنث، قال سَلْم الخاسر : (١٤)

تبدّتْ فقلتُ : الشمسُ عند طلوعها * بوجهٍ غنىٍّ اللون عن أثَرِ الوَرْسِ!
فقلتُ لأصحابى، وبى مثلُ ما بهم، * على مُرْيةٍ : ها هاهنا مطلَعُ الشمس!

وقال أبو تمام :

صفراءُ — صفرةَ صحة — قد رُكّبتْ * جُثمانُها فى ثوب سُقم أصفَر.

وقال مسعود الأصبهانىّ، شاعر الخريدة :

وقَينةٍ قال لها ناقضٌ : * كُلْتِ، لولا صُفرة اللونِ.
قلتُ : آتّئِد! فالشمسُ مصفَرّةٌ، * وهْىَ صلاحُ الأرض فى الكَوْن!

❖

ومما قيل فى السُّمْرة، قال شاعر :

كيفَ لا أعْشَقُ ظَبْيا * سارحًا فى ظِلِّ ملك.
إنما السُّمْرة فيه * مَزْجُ كافور بمِسْكِ.

وقال آخر :

ياذا الذى يُذْهِبُ أموالَهُ * فى حُبِّ هذا الأسمر الفائق!
ماالذهبُ الصامتُ مستكثَرًا * إذهابُهُ فى الذهَب الناطق!

وقال آخر :

ذَهبيُّ اللون! تحسَبُ مِن * وجنتيه النارَ تُقْتَدَحُ.
خوّفُونى مِن فضيحتِه! * ليتَهُ وافى، وافتضحُ!

❖

ومما قيل فى السَّواد (وهو يختص بالمؤنث) :

قال الزركشىّ فى "دنانيرَ" البرمكية :

أشْبَهَكِ المسكُ، وأشبهتِه: * قائمةً فى لونه قاعدَهْ.
لا شكَّ، إذ لونُكما واحدٌ، * أنكما من طينةٍ واحده.

وقال آبن الرومىّ :

أكْسَبها الحُبُّ أنها صُبِغتْ * صبغةَ حَبِّ القلوب والحَدَقِ.
فأقبلتْ نحوها الضمائرُ والأبصارُ، يعبَقْن أيَّما عَبَقِ!
يفترُّ ذاكَ السوادُ عن يَقَقٍ * فى ثغرها كاللآلئ النَّسَقِ.
كأنّها، والمِزاحُ يُضْحِكها، * ليلٌ تفرّى دُجاه عن غَسَق.

وقال الصنوبرى:

يا غُصْنا من سَبَج رَطْبٍ، * أصبح منكِ الدرّ فى كَرْبِ!
حُبُّكِ من قلبى مكانَ الذى * أشبهتِه من حَبّة القلْب.

وقال محمد بن عبد الله السلامى، شاعر اليتيمة عفا الله عنه:

يارُبَّ غانيةٍ بيضاءَ تَصْبَحُنى * من العتاب كُؤوسا ليس تَنْساغُ.
أشتاقُ طُرّتَها أو صُدْغَها ومعى * من كلّها طررٌ سُود وأصداغ!
كأننا، لا أتاح الله فُرْقتَنا! * يا كعبةَ المِسْك، يازَنْجيّةً، زاغُ.

وقال آخر:

أُحِبُّ النساءَ السُّودَ من أجل تُكْتَمٍ، * ومن أجْلِها أحببتُ مَنْ كان أسودَا!
يُغنّى بمثل المسك أطيبَ نغمةً! * وجسّى بمثل الليل أطيبَ مَرْقَدا!

وقال العسكرى:

صرفتُ وُدّى إلى السُّودان من هَجَرٍ، * ولا التفتُّ إلى رُومٍ ولا خَزَرِ!
أصبحتُ أعشقُ من وجْهٍ ومن بدَنٍ * مايعشقُ الناسُ من عينٍ ومن شَعَرِ.
فإن حسبْتَ سَوادَ الخدّ منقصةً، * فانظرْ إلى سُفْعة فى وجْنة القَمَرِ!

وقال بشار وأجاد:

يكونُ الخالُ فى خدٍّ نقىٍّ * فيُكسِبُه المَلاحة والجَمالَا،
ويُوثِقُه لأعيُنِ مُبْصِريه، * فكيف إذا رأيتَ اللون خالا؟

وقال أبو علىّ بن رشيق:

دعا بكِ الحسنُ فاستجيبى * باسمكِ فى صِبغة وطِيب.
يبهى على البِيض والأسطيلِ، * نبهَ شبابٍ على مَشيب!

ولا يَرُعْكِ أسودادُ لوبٍ * كُقْلة الشادِن الرَّبيب.
فإنما النُّور عن سَوَاد * فى أعيُن الناس والقُلُوب!

وقال آخر :

إن أزهَرَتْ لَيْلًا نجومُ السما * بيضًا على أسودَ مُرْخى الإزارْ.
وأوجب العكسُ مثالًا لها، * فالسُّود فى الأرض نجومُ النهارْ.

❖

ومما وصف به أثر الجُدَرىّ فى الوجه، فمن ذلك قول الناجم :

يا قمرًا جَدَر لما استوى * وآكتسب الملحَ بتلك الكُلُومْ!
أظنُّه غنّى لشمس الضُّحى * فنقّطته فَرَحا بالنُّجومْ.

وقال آخر :

وقالوا: شانَهُ الجُدَرِىُّ، فانظُرْ * إلى وجهٍ به أثرُ الكُلومِ!
فقلتُ: ملاحةٌ نُثِرت عليه! * وما حُسْنُ السماء بلا نُجُوم؟

ومثله قول الآخر :

(١٥) أيُّها العائبونَ وجهًا مَليحا * نَثَرَ الحُسْنُ فيه نَبْذَ خُدُوشِ!
أىُّ أُفْقٍ بَهَا بغير نُجوم؟ * أىُّ ثوب زَهَا بغير نُقُوشِ؟

وقال أبو زيد القاضى :

غايةُ الحاسدِ الذى لامَ فيه * أنْ رأى فوقَ خدِّه جُدَرِيًّا.
إنما وجهُه هلالُ تَمامٍ، * جعلُوا بُرْقُعا عليه الثريّا!

وقال أبو تمام بن رباح

خَذْكِ مرآةُ كلِّ حُسْنٍ، * تحسُنُ من حُسْنِها الصِّفاتُ!
مالي أرى فوقَهُ نُجُوما، * قد كُسِفَتْ وهي نيِّراتُ؟

❖

ومما قيل في الحواجب، فمن محاسنها: الزَّجَجُ، والبَلَج.

فأما الزَّجج، فدقة الحاجبين وامتدادُهما.

وأما البَلَج، فهو أن يكون بينهما فُرجة. والعرب تستحب ذلك.

ومن معايبها: القَرَن، والزَّبَب، والمَعَط.

فالقرن، اتصال الحاجبين. والعرب تكرهه.

والزَّبب، كثرة شعرهما.

والمَعَط، تساقط الشعر عن بعض أجزائهما.

❖

ومما وُصفت به الحواجب، قال الزاهي:

وأغيدَ مجدولِ القَوامِ جبينُه * سَنا القمرِ البدريِّ في الغُصُنِ الرَّطْبِ.
تنكَّبَ قوسَ الحاجبَينِ فسهمه * لواحظُه المَرْضِيُّ، ورِجاسُه قلبي!

وقال عبد الله بن أبي الشيص:

حَذِرتُ الهوى حتَّى رُميتُ من الهوى * بأصْرَدِ سهمٍ من قِسِيِّ الحواجبِ.

وقال محمد بن عبد الرحمن الكوفيّ:

ومستلِبٍ عينَ الغزال وقد تُرى * بجبهته عينُ الغزالة ماثلا.
تناول قوس الحاجبين مُفَوَّقا * بأسهم ألحاظٍ تشُكُّ المَقاتلا.

وقال آخر :

غَزَانِي الهوى فى جيشه وجُنوده * وعبّى علىّ الخيلَ من كلّ جانبِ.

بميمنـــةٍ أعلامُها أعينُ المَهَـا * وميسرةٍ تقضى بِزُجّ الحـواجبِ.

وقال آخر :

لها حاجبان، الحُسْن والغُنْج منهما * كأنهـما نونان من خطّ ماشق.

❖

ومما قيل فى العيون ووصفها، فمن محاسنها :

الدَّعَج، وهو شدّة السّواد مع سَعَة المُقْلة .

البَرَج، وهو شدّة سوادها وشدّة بياضها .

النَّجَل، سَعَتها .

الكَحَل، سواد جُفُونها من غير كُحْل .

الحَوَر، اتساع سوادها كأعيُنِ الظباء . وقيل: هو سواد العين وشدّةُ بياضها .

الوطَف، طول أشفارها؛ وفى الحديث أنه كان عليه الصلاة والسلام فى أشفاره وَطَفٌ .

الشُّهْلة، حمرة فى سوادها .

ومن معايبها :

الحَوَص، ضيق العين .

الخَوَص، غُؤُورها مع الضيق .

الشَّتَر، انقلاب الجفن .

العَمَش، هو أن العين لاتزال سائلةً رامصةً .

الكَمَش ، أن لاتكاد تبصر .

الغَطَش ، شبه العَمَش .

الجَهَـر ، أن لاتبصر نهارا .

العَشَـا ، أن لاتبصر ليلا .

الحَـزَر ، أن ينظر بمؤخر عينه .

الغَضَنُ ، أن يكسر عينه حتَّى تَتَغَضَّنَ جُفونُه .

القَبَـل ، أن يكون كأنه ينظر إلى أنفه . وهو أهون من الحول .

الشُّطور ، أن تراه يَنظرُ إليك وهو ينظر إلى غيرك . وهو قريب من صفة الأحول . وفيه يقول الشاعر :

حَـدْتُ إلهِى إذ بَلانِى بحُبِّـه * وبى حَولٌ أغنى عن النظَر الشَّزْرِ

نظـرتُ إليـه — والرقيبُ يظُنُّنى * نظرت إليه — فاسترحتُ من العذرِ

الشَّوَص ، أن ينظر بإحدى عينيه ويُميلَ وجهه فى شق العين التى ينظر بها .

الخَفَش ، صِغَر العين وضَعْف البصر . ويقال إنه نساد فى العين يضيق له الجَفنُ من غير وجع .

الدَّوَش ، ضيق العين وفساد البصر .

الإطْراق ، آسترخاءُ الجفن .

الجُحُـوظ ، خروج المُقْلة وظهورها من الحِجَاج .

البَخَـق ، أن يذهب البصر ، والعين منفتحةٌ .

الكَمَـه ، أن يولد الإنسان وهو أعمى .

البَخَص ، أن يكون فوق العين أو تحتها لحم ناتئ .

فصل
فى عوارض العين

يقال :

حَسِرتْ عينُه ، إذا اعتراها كَلَال من طول النظر .

زَرَّتْ عينُه ، إذا توقّدت من خوف .

مَدِرتْ عينه ، إذا لم تكد تبصر .

اِسْمَدَرّت عينه ، إذا لاحت لها سماديرُ ، وهى مايتراءى لها من أشباه الذُّباب وغيره .

قَدِعت عينُه ، إذا ضعُفتْ من الإكباب على النظر .

حَرِجتْ عينه ، إذا حارت .

قال ذو الرمّة :

* وتَحْرَجُ العينُ فيها حِينَ تَنْتقِبُ *

هَجَمتْ ، إذا غارت .

ونقْنقَتْ ، إذا زاد غؤورها ، وكذلك حَجَلتْ وهَجّجتْ .

ذَهِبت ، إذا رأتْ ذَهَبا كثيرا فحارتْ فيه .

شَخَصت ، إذا لم تكد تَطْرف من الحَيْرة .

فصل
فى كيفية النظر وهيئته

إذا نظر الإنسانُ إلى الشىء بمجامع عينيه ، قيل : قد رَمَقه .

فإذا نظر من جانب أذنه ، قيل : لَحَظه .

فإذا نظر إليه بعَجَلة، قيل : لَمَحه .

فإذا رماه ببصره مع حِدَّة، قيل : حَدَجه بطَرْفه .

(وفى حديث ابن مسعود «حَدَّث القومَ ما حَدَجُوك بأبصارهم») .

فإن نظر إليه بشدّة وحِدّة، قيل: أرْشَقَه وأسَفَّ النظرَ إليه .

(وفى حديث الشعبيّ أنه كَرِه أن يُسِفَّ الرجلُ إلى أمّه وأخته وابنته) .

فإن نظَر إليه نظر المتعجِّب أوالكاره المبغِض، قيل: شَفَنه وشَفَن إليه شُفُونا وشَفْنا .

فإن أعاره لَحْظَ العداوة، قيل : نظر إليه شَزْرا .

فإن نظر إليه بعينِ المَحبة، قيل : نظر إليه نَظْرةَ ذى عَلَق .

فإن نظر إليه نظرة المستَثْبت، قيل : تَوَضَّحه .

فإن نظر إليه واضعًا يده على حاجبه مستظلًّا بها من الشمس ليستبين المنظورَ إليه . قيل اسْتَكَفَّه واسْتَوْضَحه واسْتَشْرفَه .

فإن نشر الثوبَ ورفعه لينظر إلى صَفَاقته : قيل اسْتَشَفَّه .

فإن نظر إلى الشىء كاللَّمْحة ثم خفِىَ عنه، قيل : لاحه لوحةً . قال الشاعر :

* وهَلْ تَنْفَعَنِّى لوحةٌ لو ألُوحُها *

فإن نظر إلى جميع ما فى المكان حتَّى يعرفه، قيل : نَفَضه نَفْضا .

فإن نظر فى كتاب أو حساب، قيل : تَصَفَّحه .

فإن فتح عينيه لشدّة النظر، قيل : حَدَق .

فإن لَأْلَأهما، قيل بَرَّقَ .

فإن انقلب حُمْلاقُ عينيه، قيل : حَمْلَق .

فإن غاب سواد عينيه من الفزع، قيل بَرِقَ بصرُه .

فإن فتح عين مُفَزَّع أومهدَّد، قيل : حَمَّج .

فإن بالغ فى فتحها وأحدَّ النظرَ عند الخوف، قيل : حَدَّج .

فإن كسر عينه عند النظر، قيل : دَنْقَش وطَرْفَش .

فإن فتح عينه وجعل لايَطْرف، قيل : شَخَص . وفى القرآن العزيز: ﴿شَاخِصَةٌ أَبْصَارُهُمْ﴾ .

فإن أدام النظر مع سكون، قيل : أَنْجَدَ .

فإن نظر إلى أُفُق الهلال ليراه، قيل : تَبَصَّره .

فإن أتبع الشيءَ بصرَه ، قيل : أَثَرَه بَصَرَه .

وقد أوسع الشعراء فى وصف العيون ووصفوها بالمَرَض والسُّقْم، وإن كانت صحيحةً . فمن ذلك قول الشاعر :

بَرَّحَ السُّقْمُ بى وليس صَحِيحًا * مَنْ رأَتْ عينُه عُيونًا مِرَاضًا.
إنَّ للأَعْيُنِ المِرَاضِ سِهامًا * صيَّرتْ أنفُسَ الورَى أغْرَاضًا.
جَوْهرُ الحُسْنِ منذُ أعرضَ للقَلْـ * ـبِ ثَنَى الجسمَ كلَّه أعْرَاضًا.

وقال جرير :

إنَّ العيونَ التى فى طَرْفها مَرَضٌ * قتلْننا ثُمَّ لم يُحْيِينَ قَتْلانَا.
يَصْرَعْن ذا اللُّبِّ حتَّى لَاحِراكَ به * وهُنَّ أضعفُ خَلْقِ اللهِ أركانَا.

وقال ذو الرمة :

وعينانِ قال اللهُ كُونَا فكانَتَا * فَعُولَانِ[1] بالألباب ماتَفْعَل الخمرُ.

(١) المشهور فعولان . بالرفع وصف لعينين .

ومما وصفت به العيون على لفظ التذكير، فمن ذلك قول عبد الله بن المعتز:

عليمٌ بما تحتَ الصُّدورِ من الهَوى * سريعٌ بكَرِّ اللَّحظِ والقلبُ جازعُ.
ويجْرَح أحشائِى بعينٍ مَريضةٍ * كما لانَ مسُّ السيفِ والسيفُ قاطعُ.

وقال خالد:

عينُه سَفَّاكةُ المُهَج * من دَمِى فى أعظم الحَرَج.
أسْهرَتْنِى وهى لاهيةٌ * باحْورار العين والدَّعَج.

وقال الهَمْدانىّ:

تَعْمَل الأجفانُ بالدَّعَج * عملَ الصَّهباءِ بالمُهَج.
قُلْ لظَبْيٍ تُسْترقُّ له * مُهَجُ الأحرار بالدَّعَج:
أنتَ والأجفانُ ما لَحَظَتْ * من فُتور العينِ فى حَرَج.
كيفَ أدْعُو اللهَ أسألُهُ * فَرَجا ممَّنْ به فَرَجِى؟

وقال خالد:

ومَريضِ طَرْفٍ ليس يَصْرِف طَرْفَه * نحوَ امْرِئٍ، إلا رماه بحَتْفِهِ.
قد قلتُ إذ أبصَرْته متمايِلًا، * والرِّدفُ يجْذب خصْرَه من خَلْفه:
يا مَنْ يُسَلِّم خصْرَه من رِدْفه، * سَلِّمْ فُؤادَ محبِّهِ مِنْ طَرْفه!

وقال أبو هفّان:

أخُو دَنَفٍ رمَتْه فاقصَدَتْهُ * سِهامٌ من جُفُونك لاتَطِيشُ.
قواتِلُ لاقِداحَ سِوى أحْوارٍ * بهنَّ، ولاسِوى الأهداب رِيشُ.

وقال أبو تمام :

يا سَقَمَ الجفنِ من حَبِيبي، * ألبستني حُلَّةَ السُّقَامِ!
كَمْ قتلتْ مُقْلتاكَ ظُلْما * مِنْ عاشقِ القلب مُسْتهامِ.
يامَنْ بعينيه لى غَرامٌ * قَرِّبْ من مُهْجتى حمامى!
قدرَوَيْتَ من دمى، فحسبي * صوائبُ النَّبْلِ والسِّهامِ!

وقال العسكرى :

فأرْعى تحتَ حاشيةِ الدِّيَاجى * شَقائقَ وَجْنةٍ سُقيتْ مُداما.
إذا كَرَّتْ لواحظُ مقلتيْه، * حَسبْتَ قُلوبَنا مُطرت سِهاما.

وقال ابن المعلم :

سَلْ مَنْ بعينَيْه يَصُولْ: * أهِيَ اللَّحاظُ أم النُّصُولْ؟
ما جُرِّدت يَوْمَ النَّوى، * إلا لتختَلِسَ العُقُولْ!
شَهَرت عيونُهم سُيُو * فا، ما بمَضْربها فُلُولْ.
تُصْمِى بغيرِ جِراحةٍ، * تَفْرِى بغير دمٍ يَسِيلْ.
ولَهَا بأفئدةِ الهَوى * فَتْكٌ، وليس لها صَلِيلْ.

وقال آخر:

رُوحى الفداءُ لمَنْ أدار بلَحْظه * صهباءَ فى عَقْلِي لها تأثيرُ!
ومن العَجائب أن يُديرَ بلحْظه * مشمولَةً، وإناؤها مَكْسُورُ!

وقال آخر :

القَلْب بك المَلُوب والملسوب * والصب بك المَعْتُوب والمتعُوب.
يامَنْ طَلَبَتْ لحاظُه سفْكَ دمى: * مهْلا، ضعُف الطالبُ والمَطْلوب!

وقال أبو تمام :

مُتَطَلِّبٌ بصُدُوده قَتْلى * فردُ المَحاسن وجْهُه شُغْلى.
ألحاظُه فى الخَلْقِ مُسْرِعةٌ * فيما تُرِيدُ كسُرْعة النَّبْل.

وقال آخر :

ألحاظُكُمْ تجرَحُنا فى ألْحَشاء * ولحظنا يجرحكم فى الخُدُودْ.
جَرْح يجرْح، فاجعلُوا ذابِذَا! * فما الَّذى أوجبَ هذا الصُّدُودْ؟

وقال آخر :

ومُقْلةِ شادِنٍ أودتْ بقلبى، * كأنَّ السُّقْمَ لى ولها لِباسُ.
يَسُلُّ اللحظُ منها مَشْرَفِيًّا * لقَتْلى، ثم يُغْمِدُه النُّعاسُ.

وقال ابن الرومى :

ياعَلِيلًا، جعلَ العِلَّةَ مِفْتاحا لظُلْمِى!
ليس فى الأرضِ عَلِيلٌ * غيرَ جَفْنَيْكَ وجِسْمِى.
لك سُقْمٌ فى جُفُونٍ، * سُقْمُها أكَّد سُقْمى.

وقال تاج الدين بن أيوب :

أسْقَمَنِى طَرْفُك السَّقِيمُ، وقد * حكاه منِّى فى سُقْمِه الجَسَدُ!
هَبَّ نسيمٌ من نحوِ أرضك لِى * فزادنى فى هَواكَ ما أجِدُ.
وهاج شَوْقى، والنارُ ما بَرِحتْ * عندهُبُوب الرِّياح تتَّقِدُ.

وقال ابن المعتز :

ضعيفةٌ أجفانُهُ، * والقَلْبُ منه حَجَرُ!
كأنما ألحاظُه * من فعْله تَعْتَذِرُ.

❖

ومما وصفت به العيون على لفظ التأنيث، فمن ذلك ما قاله عدىّ بن الرقاع :

وكأنّها بينَ النِّساءِ أعارَها * عينيه أحْورُ من جآذرِ جاسِم.
وَسْنانُ أقْصدهُ النُّعاسُ فرنَّقَتْ * فى عينـه سِـنَةٌ وليس بنائم.

وقال الناجم :

كادالغزالُ يَكُونُها، * لكنَّما هـو دُونَهـا.
والنَّرجِسُ الغَضُّ الجـنىّ أغضُّ منـه جُفُونُهـا.
مَنْ كان يعرف فضلَها * فعن القياس يَصُونُها.

وقال أبو دلف :

نَقْتنِصُ الآسادَ مِنْ غِيلِها، * وأعيُنُ العِـينِ لنـا صائدَهْ!
يَنْبُو الحُسامُ العَضْبُ عنا وقد * تَكْلِمُ فينـا النظرةُ القاصِـدَهْ!
تهـابُنا الأُسْدُ، ونَخْشى المَهَا: * آبِـدةٌ ما مِثْـلُها آبِـدهْ!

وقال آخر :

لله ما صـنَعَتْ بنـا * تلك المَحَاجِرُ فى المَعَـاجِرْ!
أمضى وأنفـذُ فى القلو * ب من الخَناجر فى الحَنَاجِرْ!

وقال آخر :

يَنْظُرْنَ من خَلَلِ السُّجُوف كأنَّما * يُمْطِرنَ أحشاءَ الكريم نِبَالا!

وقال أبو فراس الحمدانىّ عفا الله تعالى عنه ورحمه :

وبِيضٍ بألحاظ العُيونِ كأنَّمـا * هَزَزْنَ سُـيوفًا أوسَلَلْنَ خَناجِرا.
تَصَدَّيْنَ لى يومًا بمُنعَرَج اللِّوى * فغـادَرْنَ قلبى بالتصـبُّرِ غادرا.

سَفَرْن بُدورا، وٱنتقبْنَ أهلَّةً، * ومِسْن غصُونا، وٱلْتفتْنَ جآذِرا.
وأطْلَعْنَ فى الأجياد للدُّرّ أنجُمًا * جُعِلْن لحَبّات القلوب ضَرائِرَا.

وقال ٱبن الرومىّ :

نظَرَتْ، فأقصدتِ الفُؤادَ بطَرْفِها. * ثم ٱنثنَتْ عنّى، فكِدتُ أَهِيمُ!
وَيْلاىَ! إن نظَرَتْ وإن هى أعرضَتْ: * وقعُ السِّهامِ ونزعُهنّ أَلِيمُ!

وقال أيضا :

لطَرْفُها وهو مصروفٌ كموْقعِه * فى القلب حين يروعُ القلبَ مَوْقعُه.
تصُدّ بالطَّرْف لا كالسَّهم تَصْرِفُهُ * عنّى. ولكنّه كالسَّهم تَنْزِعُه.

وقال الأرّجانى :

نَقَبُوهُنَّ خَشْيةَ العُشّاق! * أوَ لم تَكْفِ فتنةُ الأحْداق؟
إنّ فى الأعينِ المِراضِ لَشُغْلا * للمُعَنَّى عن الخُدود الرِّقاق!
كلُّ ما فاتَ فى اللياليِ المواضى * فهو فى ذمّة اللّيالى البَواقى.

وقال أيضا :

سَتَرْنَ المَحاسنَ إلا العيُونَا * كما يَشْهد المَعْرَكَ الدَّارِعُونا.
سَلَمْنَ سُيُوفا ولا قَيْنَنَا! * فلا تَسْأل اليومَ ماذا لَقِينا.
كَسَرْنَ الجُفُونَ ولولا الرِّضا، * بحُكْمِ الغَرامِ كَسَرْنا الجُفُونا.
وحَسْبُ الشهيدِ سُرورًا بأن * يُعايِنَ حُورًا مع القَتْل عينَا.

وقال أبو نُوَاس :

ضعيفةُ كَرِّ الطَّرْف تَحْسَبُ أنها * قريبةُ عَهْدٍ بالإفاقةِ من سُقم.

وقال آخر :

يامَنْ تَكَحَّلَ طَرْفُها * بالسِّحْرِ لا بالإثْمِد!
نَفْسى كما عَـذَّبتِها * وقتَلْتِها بالإثْم، دِى!(١)

* * *

ومما قيل فى أدواء العين، فمن ذلك :

الغَمَص، أن لا تزال العين تَرْمَص .

اللَّحَـص، أسوأ الغَمَص .

اللَّخَص، التصاق الجُفُون .

العائر، الرَّمَد الشديدُ . وفيه يقول النابغة :

وباتَ وباتَتْ له ليلةٌ .. كليلة ذى العائرِ الأرْمَد .

وكذلك الساهِكُ .

الغَـرْب، ورَم فى المآق .

السَّـبَل، أن يكون على بياضها وسوادها شِبْه غِشَاء .

السُّـجَا(٢)، أن يعسُر على الإنسان فتحُ عينيه إذا انتبه من النوم .

الظَّفَـر، ظهور ظَفَرة (وهى جُلَيدة تغشى العين من تلقاء المآق) .

الطَّـرْفة، أن يحدُث فى العين نقطةٌ حمراء .

الانتشار، أن يتسع ثقب الناظر حتَّى يلحق البياضَ من كل جانب .

الحَـبَر، أن يخرُج فى العين حَبٌّ وهو الجَرَب .

القَـمَر، أن يعرض للعين فَتْرة وفساد . يقال : قَمِرت عينه .

(١) فعل أمر للمؤنث من "ودى" بمعنى دفع الدية بسبب الإثم الذى وقع منها .
(٢) فى "فقه اللغة" الجساة [بتقديم الجيم على السين ولعله الصواب] .

* * *

ومما قيل فى أرمد، فمن ذلك قول عبد الله بن المعتز (وقيل إنها لابن الرومى، وقيل للناجم) :

قالوا: اشتكت عينه! فقلت لهم: * من كثرة الفتك نالها الوصب!
حمرتها من دماء من قتلت، * والدم فى النصل شاهد عجب.

وقال ابن منير الطرابلسى :

رنا وفى طرفه احمرار، * يفض من سحر مقلتيه.
وفاض من نرجسيه ماء، * ضرجه ورد وجنتيه.
فقلت يا مرضى بوجهه، * أظن دائى سرى إليه!
هيهات، لا تجحدن قتلى! * هذا دمى شاهد عليه!

وقال الواثق بالله :

لى حبيب قد طال شوقى إليه، * لا أسميه من حذارى عليه.
لم تكن عينه لتجحد قتلى، * ودمى شاهد على وجنتيه!

وقال الصولى :

يكسر لى طرفا به حمرة، * قد خلط النرجس فى وردة.
ما احمرت العين، ولكنه * يكحلها من وردتى خده!

وقال آخر :

قالوا: بدت فى عينه حمرة * قد حازها من وردة الخد.
قلت لم يرمد ولكنه * يصابغ النرجس بالورد!

وقال أبو عبد الله بن الحدّاد الوزير :

يا شاكى الرَّمَدِ الذى بشكاته، * قد صار دهرى فيه ليلةَ أرمدَا!
اللهُ والإشفاق يعلم أنّنى * لو أستطيعُ فِدًا، لكنتُ لك الفِدَا!
كَمْ من دمٍ سفكتْ جُفونُكَ لم تَزلْ * تُخْفِى وتكتُمُ سَفْكَه حتّى بدا.
لم يَشْتَمِلْ بدمٍ غِرارُ مهنّدٍ * إلا وقد أهْدى النفوسَ إلى الرَّدى.

وقال أبو الفرج الببغاء :

بنفسِىَ مايشكوه مَنْ راحَ طَرْفُهُ * ونَرْجسُه مما دهى حسنَهُ وَرْدُ!
أراقتْ دمى ظُلْما محاسنُ وجهه، * فأضحتْ وفى عينيه آثارُه تبدُو!
غدَتْ عينُه كالجَمْر حتّى كأنما * سقى عينَهُ من ماء تَوْرِيده الخدُّ.
لئن أصبحتْ رمداءَ مُقْلةُ مالكى، * لقد طال ما آستَشْفتْ به مُقْلَ رُمْدُ!

وقال آخر :

قُضُب الهندِ والقَنَا أخدانُكْ! * والمَقاديرُ فى الورى أعوانُكْ!
أيُّها ذا الأميرُ مارَمدت عَيْـ * ـنك! حاشَا لها، ولا أجفانُكْ!
بل حكَتْ فعلَكَ الكريمَ ليضحى * شانُها فى العُلى سواءً وشانُك.
فهى تَحْمَرُّ مثل سيفك فى الرَّو * ع، وتصفُو كما صَفَا إحسانُك.

وقال آخر وأجاد :

لقد جارَ ماتشكوه فى الحُكْم وآعتدى * وأسْرفَ فى أفعاله وتَمَرّدا!
فَمَنْ لى بأنْ لو كنتُ أعرِفُ حِيلةً * تُصَيِّرُ أجفانِى لأجفانِكَ الفِدا؟
دهَتْ عينَك العينُ التى قدقضى القَضا * بأنك فيها سوفَ تُصْبِح أرمدا.

فمذ بُدِّلَتْ من نرجسٍ بشقائقٍ ، * أعادَتْ لُجَيْنَ الدمعِ مِنِّيَ عَسْجدا.
سَلَلْتَ حُسامَ اللحظ منها على الورى ، * وقد كان أحرى أن يُصانَ ويُغْمَدا!
فأنتَ الذى أبليْتَها بالذى بها ، * إذا السيفُ لم يُغْمَدْ تراكبه الصَّدا.

✦ ✦ ✦

ومما قيل فى أرمد غطى عينيه بشَعْرية[1]، قول السراج الورّاق :

شَعْريَّتِي ، مُذْ رَمِدتُ قد حجبتْ * طرْفِي عَنكمْ ، فصِرْتُ محبوسا.
الحمدُ لله! زادنِي شَرَفا : * كنتُ سِراجا فصِرْتُ فانوسا.

وقال آخر :

غَطَّى على عينيه شَعْرِيَّةٌ ، * تُشْعِل فى القلب لَهِيبَ الغَرامْ.
كأنَّه البدرُ بدا نِصْفُه ، * ونصفُه الآخَرُ تحتَ الغَمامْ!

وقال آخر :

لا تَحْسَبُوا شَعْرِيَّةً أصبحَتْ * من رَمَدٍ فى وجهه مُرْسَلَهْ.
وإنما وجنتُه كعبةٌ ، * أستارها من فَوقها مُسْبَلَهْ.

ومن رقعة كتبها أرمد (وهو عبد الله بن عثمان الواثقى) عفا الله عنه . قال :

صادف وُرُودُ كتابه رمدا فى عينى قد حصرنى فى الظُّلمه ، وحبسنى بين الغم والغُمَّه ، وتركنى أُدرِك بيدى ما كنت أدرك بعينى : كليلَ سِلاح البصر ، قصير خَطْو النظر ، قد ثَكِلْتُ مِصباح وجهى ، وعَدِمت بعضى ، الذى هو آثَرُ عندى

(١) لم نعثر على هذه الكلمة فى اللسان ولا فى القاموس . وفى شفاء الغليل للخفاجى : أن "شعريّة نسبة الى الشعر : غشاء أسود رقيق يكون على وجه النساء والأرمد ، وأصله أنه ينسج من الشعر ثم يطلق على كل ما شابهه ، وهى مولّدة" .

من كُلِّى . فالبِيض عندى سُود، والقريب منِّى بعيد! قد أحاط الوجعُ أجفانى، وقبض عن التصرُّف بَنانى، ففراغى شُغْل، ونهارى ليل، وطوال الخُطا قصار، وقِصار أوقاتى طِوال . وأنا ضرير وإن عُددتُ فى البصراء، وأمّى وإن كنت من جملة الكُتَّاب والقرّاء. قد قصرت العلة خطوتَىْ قلمى وبَنانى، وقامت بين يدى ولسانى .

وقد كانت العرب تزاوج بين كلمات، فيقولون :

القِلَّة ذِلَّة، والوَحْدة وَحْشة، والهَوى هَوان، والأقارب عَقارب، والمَرَض حَرَض، والرَّمد كمد، والعلة قِلَّة، والقاعد مُقْعد .

والله تعالى أعلم .

فصل

(٢٠)

فى ترتيب البكاء

إذا تَهيأ الرجل للبكاء، قيل : أَجْهَش .

فإذا آمتلأتْ عينه دُموعًا، قيل : آغرَوْرَقت عينه، وترَقْرقتْ .

فإذا سالَتْ، قيل : دَمَعَتْ، وهَمَعت .

فإذا كثُرتْ دموعه، قيل : هَمَتْ .

فإن كان لبكائه صوت، قيل نَحَب ونَشَج .

فإذا صاح مع بكائه، قيل : أعول .

قال سَلْم الخاسر :

أَنَتْنِى تُؤَنِّبُنى فى البُكاء ... فأَهْلًا بها، وبتَأْنِيبِها!

تقول، وفى قولها حشْمةٌ : أتَبْكى بعين تَرَانى بها؟

فقلتُ : إذا آستحسنتْ غيرَكُم، أمرتُ الدُّموعَ بتأديبها .

فصـــل
فيما قيـــل فى الأنف

الشَّمَم، ٱرتفاعُ قصبة الأنف مع ٱستواء أعلاها .

القَنَـا، طُول الأنف، ودِقَّة أرنبته، وحَدَبٌ فى وَسَطه .

الفَطَس، تطامُن قصبتِه مع ضخَم الأرنبة .

الخَنَس، تأخُّر الأنف عن الوجه .

الذَّلَف، شُخوص طَرَفه مع صغر أرنبته .

الخَشَم، فقْدان حاسَّة الشمّ .

الخَرَم، شَقٌّ فى المَنْخرين .

الخَثَم، عِرَض الأنف . (يقال ثور أخْثَمُ) .

القَعَم، ٱعوجاج فى الأنف . (قال الشاعر :

لَيِّن المَنْخرين معتدلُ المـا * رن لاسائلٌ ولا جَعْـدُ .)

* * *

ومما قيل فى الشِّفاه والفَم، الشَّدَق، سَعة الشِّدقين .

الضَّجَم، مَيَل فى الفم وفيما يليه .

الضَّزَز، لُصوق الحنَك الأعلى بالأسفل .

الهَدَل، ٱسترخاء الشفتين وغلظُهما .

اللَّطَـع، بياضٌ يعتريهما .

القَلَب، ٱنقلابهما .

الجَلَـع، قصرهما عن الٱنضمام .

فصل

فى تقسيم ماء الفم

ما دام فيه، فهو رِيق، ورُضَاب .

فإذا علك ، فهو عَصيب .

فإذا سال ، فهو لُعَاب .

فإذا رمى به ، فهو بُزَاق ، وبُصَاق .

فصل

فى ترتيب الضحك[1]

التبسم أول مراتبه ، ثم الإهْلاس وهو إخفاؤه ، ثم الاقْتِرار ، ثم الانْكلال وهما الضحك الحَسَن ، ثم الكَتْكتة أشد منهما ، ثم القَهْقَهة والقَرْقرة والكَرْكرة ، ثم الاسْتِغراب ، ثم الطَّخْطَخَة . ثم الإهْزاق والزَّهْزقة ، وهو أن يذهب الضحك به كلَّ مذهب .

قال كُشاجم :

عَذُبتْ فى الرِّشْفِ منه شَفَةٌ * مَصُّها أطيبُ من نَيْل الأمَلْ !

وعليها حُمْرةٌ فى لَعَسٍ * تستعيرُ اللونَ من صِبْغ المجَلْ !

هِيَ فيما خِلْتُ آثارُ دَمٍ * من فؤادى ، عَلَّ فيه ونَهَلْ !

---

(١) فى الأصل : فى تقسيم ماء الوجه وترتيب الضحك . ولعدم وجود كلام على تقسيم ماء الوجه حذفناه من العنوان .

وقال ابن سُكَّرة الهاشمى :

ياضاحكًا، يستهِلُّ مَضْحَكُه ❊ عن بَرَد واضح وعَنْ شَنَب!
أعطيتَنِي قُبْلة رشفْتُ بها الشَّهدَ مَشُوبا بعَبْرة العنَب.
كأنَّنى إذ لثمتُ فاكَ بها ❊ لثمتُ تُفَّاحةً من الذهَب.

وقال كشاجم :

كأنَّ الشفاه اللعْسَ منها خَواتِمٌ ❊ من التِّبْر مختومٌ بهنَّ على دُرّ.

وقال سيف الدولة بن حمدان ، فى صباه :

أُقَبِّلُه على عَجَلٍ كشُرْب الطائر الفَزِع.
رأى ماءً فأطْمَعه فخاف عَواقِبَ الطَّمَع.
فصادف فُرْصة فدَنَا ولم يلْتَدَّ بالجَزَع.

❖

ومما قيل فى طيب الريق والنَّكْهة على لفظ التذكير، فمن ذلك قول ابن الرومى :

أَهيفُ الغُصْن، أهيلُ الدَّعْص لما يَقْتسِمْ قدٌّ وشاحٌ ومِرْطُ.
طَيِّب طعمُه إذا ذُقتَ فاه، والثُّريَّا فى جانب الغَرْب قُرْطُ.

وقال آخر :

يا مانِعِى طِيبَ المَنامِ، ومانِحِى ثَوْبَ السَّقامِ، وتارِكِى كالآل!
عمَّن أخذتَ جوازَ منعِى ريقَكَ المعسول، يا ذا المَعْطف العَسَّال؟
عن ثغْرك النظَّام، أم عن شعرك الفحَّام، أم عن طَرْفك الغزَّال؟

وقال آخر

أتَدْرون شَمْعتنا لِمْ هَوَتْ؟ * لتقبيلِ ذا الرِّشإ الأكحلِ!
درَتْ أن ريقتَه شُهْدةٌ * فحنَّتْ إلى إلفها الأوّل.

وقال بشار بن بُرْد :

يا أطيبَ الناس ثَغْرًا غير مختَبَر * إلّا شهادة أطرافِ المَسَاويكِ!

وقال ابن وكيع البستيّ :

ريقٌ إذا ما ازْددْتُ من شُرْبه * ريًّا، ثنانِي الرِّيُّ ظمآنا.
كالخمر أروى ما يكون الفتى * من شُرْبها أعطَشُ ما كانا.

وقال ابن الروميّ :

يارُبَّ ريقٍ باتَ بدرُ الدجى * يمُجُّه بين ثَنايَاكا.
يُرْوى ولا ينهاك عن شُرْبه * والماءُ يُرويكَ وينْهاكا.

وقال أبو الفتح كشاجم :

بَلَغَتْهُ الكأسُ فارتعدَتْ * طَرَبًا منها إلى فَمِهِ.
منَعتْه أن يؤخّرها * فى يديه من تحشُّمِه.
فحَساها ثم أعقبَها * أرَجًا من طِيبِ مَبْسِمِه.

وقال آخر :

بقَدْر الصَّبابة عند المَغِيبِ، * تكونُ المَسرّةُ عند الحُضُورِ.
وأطيبُ ما كان ردُّ الشُّعُورِ * إذا هُوَ صادفَ حَرَّ الصُّدورِ.

❖

ومما وصف به على لفظ التأنيث، فمن ذلك قول ابن ميّادة :

كأنّ على أنيابها المِسْكَ شابَهُ * بُعَيْدَ الكَرى من آخر الليل عابِقُ.
وما ذُقْتُه إلا بعيني تَفَرّسا * كما شِيمَ في أعلى السحابة بارِقُ.
يضم إلىّ الليلُ أذيالَ حُبِّها * كما ضمّ أردانَ القميص البنائقُ.

وقال البحترىّ :

كأنّ على أنيابها بعد هَجْعةٍ، * إذا ما نُجومُ الليل حانَ انْحدارُها،
مُجاجةَ مِسْكٍ صُفِّقَتْ بمُدامةٍ * معتّقة صَهباءَ، حان اعْتِصارُها.

وقال ذو الرمة :

أَسِيلةُ مَجْرى الدمع هَيفاءُ طَفْلة * عَرُوبٌ، كإيماض الغمام ابتسامُها.
كأنّ على فيها، وما ذُقْتَ طَعْمَه، * زُجاجةَ خمر طابَ فيها مُدامُها.

وقال كشاجم :

البدرُ لا يُغْنيكَ عنها إذا * غابَتْ وتُغْنيك عنِ البَدْر.
في فَمِها مِسْكٌ ومشمولةٌ * صِرْفٌ ومنظومٌ من الدُّرّ.
فالمِسْكُ للنَّكْهة، والخمرُ للرِّيقة، واللُّؤلؤُ للثَّغْر.

وقال الهذلىّ :

وما صَهباءُ صافيةٌ شمولٌ، * كعين الديك مُنجابٌ قَذاها،
تُشَجُّ بماءِ سارِيةٍ عَرِيضٍ * على ظمإٍ به رصف صَفاها،
بأطيبَ نَكْهةً من طَعْمِ فيها * إذا ما طار عن سِنَةٍ كَراها.

وقال ابن الرومى :

وما تعترى بها آفةٌ بشريةٌ * من النوم إلا أنها تتخثرُ.
كذلك أنفاسُ الرياض بسحرةٍ * تطيبُ وأنفاسُ الأنامِ تغيرُ.
وما ذُقتُه إلا بثغر ابتسامها * وكم مُخبرٍ يُدنيه للعين منظرُ.
وغيرُ عجيبٍ طيبُ أنفاسِ روضة * مُنوَّرة باتت تُراح وتُمطرُ.

وقال جميل :

وكأنَّ طارقَها على علِلِ الكرى، * والنجمُ وَهْنًا قد دنا لتغوُّرِ،
يستافُ ريحَ مُدامةٍ معلُولة * بذكيِّ مِسْكٍ أو سحيقِ العنبرِ.

وقال الشريف الموسوى، شاعر اليتيمة :

يا عذبةَ المبسمِ! بُلِّى الجوى * بنهلةٍ من ريقكِ البارِدِ!
أرى غديرا سيحا ماؤه، * فهلْ لذاكَ الماء من وارد؟
مَنْ لى بذاك العسلِ الذائب الـ * ـجارى خلال البَرَد الجامد؟

* * *

ومما قيل فى طيب عَرْف النساء، قالوا : من أجود ما قيل فى ذلك من قديم الشعر قول الاعشى :

مارَوضةٌ من رياض الحَزْن معشبةٌ * خضراءُ جاد عليها مُسبِلٌ هَطِلُ،
يُضاحك الشمسَ منها كوكبٌ شَرِقٌ * مؤزَّرٌ بعميم النبت مكتَهِلُ،
يومًا بأطيبَ منها نَشْرَ رائحةٍ * ولا بأحسنَ منها إذ دنا الأُصُلُ.

وقول القطامى :

ومارِيحُ قاعٍ ذى خُزامى وحــوْلَهُ * شَذَا أَرَجٍ من طيِّب النَّبْت غارِبِ،
بأطْيَبَ من مَىٍّ إذا ما تقلَّبَتْ * من الليل وَسْنى جانبًا بعد جانبِ.

أخذه ابن المعتز ببعض لفظه وزاد زيادة حسنة، فقال :

وما رِيحُ قاعٍ زاهرٍ مَسَّت النَّدى * وروضٍ من الرَّيحان سَحَّت سحائبُه،
بأطيَبَ من أنيابِ سَرَّةَ مَوْهِنًا * إذا الليلُ أدجى وارتجَنَّت كتائبُه.
إذا رَغِبتْ عن جانبٍ من فِراشِها * تَضوَّعَ مِسْكًا أين مالَتْ جوانبُه.

وقال ابن الرومى :

والعَرْفُ نَدٌ ذكىٌّ، وهى ذاكِيَةٌ * إذا أساء جِوارَ العِطْـر أبدانُ.
نعــيمُ كلِّ بهارٍ من مَجامِرِها * ويُشْمِسُ الليلُ منها فهو ضَحْيانُ.
كأنها، وعُثانُ النَّـدِ يشمَلُها، * شمسٌ عليها ضَبابَاتٌ وأدْجانُ.

وقال ابن الأحنف :

ذَكَرْتُكِ بالرَّيحان لَمَّا شَمِمْتُــه * وبالراح لما قابلَتْ أوجُهَ الشَّرْب.
تذكَّرتُ بالريحانِ منـكِ روائحا * وبالراح طَعْما من مُقَبَّلِكِ العَذْبِ.

ومن البليغ قول سحيم :

فما زالَ بُرْدِى طَيِّبًا من ثيابها * إلى الحول، حتَّى أنْهجَ البُرْدُ باليا.

وأبلغ منه قول الأحنف :

وجَدَ الناسُ ساطِعَ المِسْك من دِجْـلَةَ قد أوسع المَشَارِعَ طيبا.
فهُمُ يُنكِرُون ذَاك وما يَدْ * رونَ أن قد حَلَلْتِ منها قريبا.

(٢٢) وقال آخر، وأحسَنَ :

جاريةٌ أطيبُ من طِيبها * والطِّيبُ فيها المِسْكُ والعنبَرُ.
ووجْهُها أحسنُ من حَلْيِها * والحَلْيُ فيها الدّرّ والجوهَرُ.

وقال امرؤ القيس :

ألم تَرَ أنى كُلَّما جئتُ طارقًا، * وجدْتُ بها طيبًا، وإن لم تَطيَّب.

وقال آخر :

أتاها بعِطْـر أهلُهـا فتضاحَكَتْ * وقالت: وهل يَحتاجُ عِطْر إلى عِطْر؟

وقد بالغوا حتّى وصفوا طيب المواضع التى وَطِئها المحبوبُ .

وأوّل من قال ذلك النميرى الشاعر فى زينبَ بنت يوسف أخت الحجاج فقال :

تَضوّعَ مِسْكا بطنُ نَعْمانَ أن مشَتْ * به زينبٌ فى نِسْـوة خَفِرات.

وقال جميل :

ألَا أيُّهـا الربعُ الذى غيَّر البِـلى! * عَفَا وخَلَا، من بعدما كانَ لايخلُو.
تَداعبَ ريحُ المِســك فيه وإنما * به المسكُ أن جَرّتْ به ذيلَها جُمْلُ.

وقول الآخر :

أرى كلَّ أرض دُستِ فيها، وإن مضت * لهـا حِجَجٌ، يزدادُ طيبـا تُرابُهـا!

* * *

ومما قيل فى الأسنان، فمن محاسنها :

الشَّنَب، وهو رِقّة الأسنان وآستواؤها وحُسْنها .

الرَّتَـل، حُسْن تنضيدها وآتساقها .

التَّفْلِيج، تفرُّج ما بينها .

الشَّتَت، تفرقها من غير تباعد بل فى آستواء وحسن . (يقال : ثغر شَتِيت، إذا كان مُفَلَّجا حسنا أبيضَ) .

الأشَرُ، تحزيز فى أطراف الثنايا يدل على حَدَاثة السن .

الظَّلْم، الماء الذى يجرى على الأسنان من البَرِيق لا من الرِّيق .

فصل
فى مقابحها

الرَّوَق، طولها .

الكَسَسُ، صِغَرها .

الثَّعَلُ، تراكُبها وزيادة سِنٍّ فيها .

الشَّغَا، آختلاف منابتها .

اللَّصَصُ، شدة تقاربها وآنضمامها .

اليَلَلُ، إقبالها على باطن الفم .

الدَّفَقُ، آنصبابها إلى قدام .

القَقَمُ، تقدم سُفْلاها على العليا .

القَلَحُ، صُفْرتها .

الطَّرَامَةُ، خُضْرتها .

الحَفَرُ، مايلزق بها .

الدَّرَدُ، ذَهَابها .

الهَتَمُ، آنكسارها .

اللَّطَطُ، سقوطها .

فصل

فى ترتيب الأسنان

وهى : أربعُ ثَنايَا ، وأربعُ رَبَاعِيَات ، وأربعُ أنياب ، وأربعُ ضَوَاحِك ، وثِنْتا عَشْرَةَ رَحًا ، وأربعةُ نواجذَ .

قال أبو الفتح كُشاجم :

عَرَضْنَ ! فعرَّضْنَ القُلوبَ من الجوى * لأسْرَع فى كَيِّ القُلوبِ من الجَمْر !
كأن الشِّفاهَ اللُّعْسَ فيها خواتِمٌ * من المِسْك ، مختومٌ بهنَّ على دُرّ .

وقال أيضا :

كالغُصْن فى روضة تميسُ : * تَصْبُو إلى حسنها النُّفُوسُ .
ماشَهِدَتْ والنِّساءَ عُرْسا ، * فشُكَّ فى أنها عَرُوسُ !
تَبْسِمُ عن باسِم بَرُودٍ * تَعْبَقُ من طِيبه الكُؤوسُ .
يَجْمَعُ فيه لمجتنيه : * مسكٌ ، ووَرْد ، وخَنْدريسُ .

وقال المتنبي :

ويَبْسِمْنَ عن دُرٍّ تقلَّدْنَ مثلَهُ * كأنَّ التَّرَاقِى وُشِّحَتْ بالمَبَاسم .

وقال الصنوبرىّ :

تلك الثَّنايَا من عقْدها نُظمتْ ، * بل نُظِم العِقدُ من ثَنَايَاها .

وقال البحترىّ :

ويَرْجِعُ الليلُ مُبْيِضًّا إذا ضَحِكتْ * عن أبيضِ خَصِلِ السِّمْطَيْنِ وَضَّاحِ .

وقال ابن الرومىّ :

كأنِّى لم أبِتْ أُسْقَى رُضابًا : * يموتُ به ويحيَا المُسْتَهامُ !

تُعَلِّلُنيه واضحةُ الثَّنايَا، * كأنّ لِقاءَها حَوْلًا لَمَامُ.
تَنَفَّسُ كالشَّمُول ضُحًى شَمالٌ * إذا ما فُضَّ عن فَمِها الخِتامُ.

وقال النابغة :

تجلو بقادمتَىْ حمامةِ أيكةٍ * بَرَدًا. أُسِفَّ لِثاتُه بالإثْمِدِ.
كالأُقْحُوان غداةَ غِبَّ سَمائِه * جُنَّتْ أعالِيه، وأسفَلُه نَدِى.

وقال شقيق بن سليل :

وتَبْسِم عن ألمى اللَّثاتِ، مفلَّج: * خَلِيقِ الثَّنايا بالعُذوبة والبَرْدِ.

وقال جميل :

بِذى أُشُرٍ كالأُقْحُوان يَزِينُه * نَدَى الطَّلِّ، إلا أنه هو أمْلَحُ.

وقال السمهرىّ :

كأنَّ وميضَ البرق بيني و بينها، * إذا حانَ من بعض البُيوت، ابتسامُها.

وقال آخر :

أُحاذِرُ فى الظلماء أن تستَشِفَّنِي * عيونُ العَبارَى فى وميضِ المَصَابِحِ!

* * *

ومما قيل فى السِّواك، قول بعض الشعراء : (٢٣)

أقولُ لِمِسْواكِ الحبيبِ: لكَ الهَنا، * بِلَثْمِ فَمٍ ما ناله ثَغْرُ عاشِقِ!
فقال، وفى أحشائه حُرَقُ الجوى * مقالَةَ صبٍّ للديار مُفارِقِ:
تذكَّرتُ أوطانى فقلبى كما ترى، * أُعَلِّلُه بين العُذَيْبِ وبارِقِ!

وقال آخر :

نقـلَ الأراكُ بأنـ ـريقـةَ ثَغْرِه * من قهوةٍ، مُزِجت بماءِ الكَوْثَرِ.

قـد صحَّ ما نقـل الأراكُ لأنه * قدجاء يروى عن "صحاح الجوهرى".

وقال آخر :

باللهِ، إن جُزتَ بوادِى الأراكْ * وقَبَلَتْ أغصانُه اللُّدْنُ فاكْ،

فابعث إلى المملوكِ من بعضِها * فإنَّنى واللهِ مالِى سِـوَاكْ!

❖

ومما قيل فى اللسان، فمن محاسنه :

إذا كان الرجلُ حادّ اللسان قادرا على الكلام، فهو ذَرِب اللسان، وفَتِيقُ اللسان .

فإذا كان جَيِّده، فهو لَسِن .

فإذا كان يضعه حيثُ أراد، فهو ذليق .

فإذا كان فصيحا بَيِّن اللَّهْجة، فهو حُذَاقِىّ .

فإذا كان مع حِدّة اللسان بليغا، فهو مِسْلاق .

فإذا كان لا يعترضُ لسانَه عُقْدة، ولا يتعيَّفُ بيانَهُ عُجْمة، فهو مِصْقَع .

فإذا كان المتكلمَ عن القوم، فهو مِدْرَهٌ .

فصـــل

فى عيوبه

الرُّتَّة، حُبْسةٌ فى لسان الرجل، وعَجَلة فى كلامه .

اللُّكْنة والحُكْلة، عُقْدة فى اللسان وعُجْمة فى البيان .

الهُتْهتة (بالتاء والثاء)، حكايةُ ألتواء اللسان عند الكلام .

التَّعتعة (بالتاء والثاء). حكايةُ صوت الألَكنِ والعَىّ .

اللُّثْغــة . أن يُصيِّر الراءَ لامًا من كلامه .

الفَأْفاة . أن يتردّد فى الفاء .

التَّمتمة ، أن يتردّد فى التاء .

اللَّفَف . أن يكون فى اللسان ثِقَل وانعقاد .

اللَّيَغ ، أن لا يُبَيِّن الكلام .

اللَّجْلجةُ . أن يكون فيه عِىّ وإدخال بعض كلامه فى بعض .

الخَنْخَنة ، أن يتكلم من لَدُنْ أنفه . ويقال : هى أن لا يُبَيِّن الرجل كلامه فيُخَنْخِن فى خياشيمه .

المَقْمَقة ، أن يتكلم من أقصى حلقه .

فصـــل

فى ترتيب العِىّ

يقال : رجل عَيٌّ . ثم حَصِر ، ثم فَهٌّ ، ثم مُفْحَم ، ثم لَجْلاج ، ثم أبْكَمُ .

قال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه : المرءُ مخبوءٌ تحت لسانه .

وقال شاعر :

وما المَرْء إلَّا الأصغَرانِ : لسانُه * ومعقولهُ . والجسم خَلْقٌ مصوَّرُ .

وقال امرؤ القيس :

وذلكَ من نَبَإٍ جاءنى ، * وخُبِّرْتُه عن أبى الأسْوَدِ .

ولو عن نَثًا غيره جاءنى . وجُرح اللسان كجُرح اليَد .

(النَّثا القبيح من الكلام) .

وقال جرير :

لسانى وسيفى : صارمانِ كلاهُما ! * وللسَّيفُ أشوى وقعةً من لسانيا !

(قوله أشوى إذا أخطأ المَقْتَل) .

وقال آخر :

وجُرْحُ السيفِ تَدْمُله فيَبْرى ، * وجُرْحُ الدهرِ ما جَرح اللسانُ !

❖

ومما وصف به حسن الحديث والنغمة ، فمن ذلك قول ذى الرمة :

ولَمَّا تلاقَيْنا ، جَرَتْ من عُيونِنا * دموعٌ كَفَفْنا غَرْبها بالأصابِع .

ونِلْنا سُقاطا من حديثٍ كأنهُ * جَنى النحلِ ممزوجًا بماء الوقائع .

وقال أيضا :

وإنا ليَجرى بيننَا حينَ نَلْتقى * حديثٌ له وَشْىٌ كوشْيِ المَطارِف !

حديثٌ كوَقْع القَطْر فى المَحْلِ يُشْتفَى * به من جَوًى فى داخلِ القَلب ، لاطف .

وقال ابن الرومىّ :

ولقد سمعْتُ مآربِى ، * فكأنَّ طَيِّبَها خَبِيثْ .

إلَّا الحديثَ فإنَّهُ * مثلُ اسمِه أبدًا حَدِيثْ .

وقال بشّار :

وكأنَّ رجْع حديثِها * قِطَعُ الرياض كُسِينَ زَهْرا .

وكأنَّ تحتَ لسانِها * هارُوتَ يَنْفُثُ فيه سِحْرا .

وتَخالُ ما اشتملَتْ عليـ * ـه ثيابُها : ذَهَبا وعِطْرا .

وقال البحترى :

فلمَّا ٱلتقينَا — وٱلتقا موعدٌ لنا — * تعجَّب رائى الدُّرّ حُسْنا ولاقطُه.

فمن لُؤْلؤٍ تجلُوه عند ٱبتسامِها، * ومن لُؤْلؤ عند الحديث تُساقطُهْ!

وقال آخر :

ظَلِلْنا نَشَاوى عنـد أمِّ محمـدٍ * بنَوْمٍ، ولم نشربْ شرابا ولا خَمْـرا!

إذا صمتتْ عنَّا، صَحَوْنا بصَمْتها، * وإن نَطقتْ، هاجتْ لألبابنا سُكْرا.

وقال ٱبن الرومى عفا الله عنه :

وحديثُها السِّحرُ الحلالُ، لوٱنَّه * لم يَجْنِ قتـلَ العاشق المتحرِّزِ.

إنْ طال لم يُمَلَلْ، وإن هى أوجزَتْ * ودّ المحـدِّثُ أنها لم تُوجِزِ.

شَرَكُ القلوب، وفتنـةٌ ما مثلُها * للمطمئِنِّ، وعُقْلةُ المسـتوفِزِ.

وقال القطامى :

فهنَّ يَنْبُذْن من قولٍ يُصِبْنَ به * مواقعَ المـاءِ من ذى الغُلَّة الصادى.

وقال علىّ بن عطية البلنسى : (٢٤)

كلَّمتنِى فخِلْتُ دُرًّا نثيرا، * وتأمَّلتُ عِقْدها هل تَناثَر.

فازْدهاها جمالُها، فأرَتْنِى * عِقْدَ دُرٍّ من التبسُّم آخَرا!

وقال الوأواء الدمشقى :

وحـديثٍ كأنَّه * أوبةٌ من مُسافِرِ.

كانَ أحْلى من الرِّقا * د لدى طَرْف ساهِرِ.

بِتُّ ألهـو بِطِينِـــه * فى رِياضٍ زَواهِرِ:
بَيْنَ ساقٍ وسامِرٍ * ومُغَـــنٍّ وزَامِرِ.

وقال الطـائىّ :

مَدَّتْ إليـكَ بنـانةٌ أَسْرُوعَا، * تَشْـكُو الفِراقَ، ومُقْلةٌ يَنْبُوعا.
كادَتْ لِعِرْفانِ النَّوى ألفـاظُها * من رِقَّةِ الشَّكْوى تكون دُمُوعا.

وقال ٱبن المعتزّ :

وسِرّ أحاديثٍ عِـــذَابٍ لَوَ ٱنَّهـا * جَنى النحل، لم تَمْجُجْ حلاوتَها النحلُ.

* * *

ومما قيل فى الأذن، الصَّمَعُ، صِغرها .

السَّكَكُ، كونها فى نِهَايَة الصِّغَر .

القَنَفُ ، ٱسترخاؤهما وإقبالهما إلى الوجه .

الخَطَلُ ، غلظهما .

فصـــل
فى ترتيب الصِّـــمَم

يقـال :

بأذُنه وَقْرٌ .

فإذا زاد ، فهو صَمَمٌ .

فإذا زاد ، فهو طَرَشٌ .

فإذا زاد حتَّى لايسمع الرعدَ ، فهو صَلَخٌ .

* * *

ومما وصف به الصُّدْغ، فمن ذلك قول عبد الله بن المعتز :

رِيمٌ ! يَتِيهُ بِحُسْنِ صُورتِهِ، * عبَثَ الفتورُ بلحظ مُقْلتِهِ.

فكأن عَقْرَبَ صُدْغه وقفَتْ، * لما دَنَتْ من نارِ وجْنَتِهِ.

وقال ابن الرومى :

أبدًا نحنُ فى خِلاف : فمِنِّى * فرطُ حُبٍّ ومنك لى فرط بُغْض.

فبصُدْغَيْكَ فوقَ خطِّ عذارٍ * ظُلُماتٌ، وبعضُها فوقَ بعض.

وقال الصاحب بن عبّاد :

وعهدى بالعَقارِب حينَ تَشْتُو * تُخَفِّف لَدْغها وتقِلُّ ضُرّا.

فما بالُ الشتاء أتَى، وهذا * عقاربُ صُدْغِه يزددْنَ شَرًّا؟

وقال ابن المعتز :

أمن سَبَجٍ فى عارِضَيْهِ صَوالِجُ * مُعطَّفةٌ تُفَّاحَ خدّيه تضربُ؟

وما ضرَّه نارٌ بخدَّيه أُلْهِبتْ، * ولكنْ بها قلب المُحِبِّ يُعَذَّبُ؟

عناقيدُ صُدْغَيْه بخدَّيْه تلتوى * وأمواجُ ردْفَيْه بخصْرَيْه تَقْلِبُ.

شَرِبْتُ الهوى صِرْفا زُلالا، وإنما * لواحظُه تَسْقِى وقلبِى يَشْرَبُ.

وقال الثعالبى :

وصَوْلجانٍ فى يَدَىْ شادِنٍ * لا يسمَحُ العاشقُ أن يذْكُرَهْ.

وصولجانُ المِسْك فى خدِّه * متَّخِذٌ حبَّةَ قلبى كُرَهْ.

وقال الناشئ الأصغر :

لك صُدْغٌ كأنما * نُونُه نونُ كاتِبْ.
يلْدَغُ الناسَ إذْ تَعَقْـــرَبَ لَدْغَ العقاربْ.

وقال الصاحب بن عبّاد :

ياشادناً فى وجْهــه عَقْربٌ * ما يَسـتجيبُ الدهرَ للراقِى.
يَسْــلَمُ خدّاه على لدغها، * ولَدْغُها فى كَبِدى باقى!

وقال عمر المطوعىّ :

بنفسِىَ مَن تَمّتْ محاسِنُ وجهه! * فما هُو إلا البدرُ عند تَمامِ.
وأرسـلَ صُدْغا فوقَ خدٍّ كأنه * جَناحُ غرابٍ فوق طوقِ حَمامِ.

وقال آخر :

حَلَّتْ عقاربُ صُدغه فى خَدِّه * قَمَـرا، فجَـلَّ بها عن التشبيهِ!
ولقــد عَهِدناهُ يحـلُّ ببُرْجِها * فمن العجائب كيفَ حَلَّتْ فيهِ؟

وقال العماد الأصبهانىّ :

وإذا بَدَا لك صُدْغُه فى وجهه، * أبصرتَه قمـراً بدَا فى العَقْرب!

وقال ابو الفتح كُشاجم :

ومَنعْنَ وَرْدَ خدودهنَّ فلم نُطِقْ * قَطْفًا لهـا لعَقارب الأصْداغِ!

* * *

ومما وصفت به الخدود والوجَنات، فمن ذلك ماورد على لفظ التذكير .

قال أبو الفتح كُشاجم :

غَدَا، وغَدَا تورْدُ وجنتَيْـه * لعينِ محبه يصف الرِّياضَا.

على خدّيه ماءٌ عَسْجَدِىٌّ ؛ * فلو نظر الرقيبُ إليه، غاضَا.

وقال آخر :

دعوتُ بماء فى زُجاج، فجاءنى * حبيبى به خمرًا نَظَرْتُ له شَزْرا.

فقال : هو الماء القَراح وإنما * تجلّى له خدّى فأوهمكَ الخمرَا!

وقال أبو القاسم عبد الغفار المصرىّ، شاعر اليتيمة :

وَرْدُ الخدودِ أرقُّ من * وَرْد الرِّياض وأنْعَمُ.

هـذا تَنَشَّقُهُ الأنُو * فُ، وذا يقبِّلُهُ الفَمُ. (٢٥)

فإذا عَدَلْتَ، فأفضلُ الـ * ـوَرْدَيْنِ وَرْدٌ يُلْثَمُ.

وقال أيضا (ويروى للوأواء الدمشقى) :

لاتظلِمُوا الناسَ ولا تطْلبُوا * بثارِىَ اليوم أذَى مُسْلِمِ!

ويا لَقَوْمى دونَكُم شادناً * معتدِلَ القامة والمَبْسِمِ!

فإنْ أبى إلا جحودَ الهوى * وآكتتم الأمرَ ولم يُعْلِمِ،

قولوا له يكشِفُ عن خدِّه، * فإن فيه نُقَطًا من دمِى.

وقال آبن الرومىّ :

وغزالٍ ترى على وجنتيه * قَطْرَ سهميه من دماء القُلوبِ.

لَهْفَ نفسى لتلْكَ من وجَناتٍ * وَرْدُها وَرْدُ شارقٍ مهضُوبِ!

أنْهلَتْ صِبْغَ نفسها ثم عُلَّتْ * من دماء القَتْلى بغير ذُنُوبِ.

جرحتْه العيونُ فآقتصَّ منها * بجوًى فى القلوب دامِى النُّدوبِ.

وقال أيضا :

يا وجنتَيْهِ اللتينِ من بَهَجٍ * فى صُدْغَيْه اللذين من دَعَجِ!
ما حُمرةٌ فيكما : أمن خَجَلٍ، * أم صِبْغةُ الله، أم دَمُ المُهَجِ؟

وقال أبو الفتح البستىّ :

ومُهْفَهَفٍ غَنِجِ الشمائلِ أَزْعَجَتْ * قلبى محاسن وجهه إزعاجا.
دَرَتِ الطبيعةُ أن فاحمَ شَعْرِه * ليلٌ فأذْكَتْ وجنتَيْه سِراجا.

وقال عبد الله بن المعتزّ :

يا مَنْ يجودُ بموعِدٍ من لحظه * ويصُدّ حينَ أقولُ : أين المَوْعِدُ؟
ويظَلُّ صَبَّاغُ الحياء بخدّه * تَعِبًا : يُعَصْفِر تارة ويُوَرِّدُ.

وقال الراضى بالله :

يَصْفَرُّ وجهى إذا تأمَّلَنى * خوفًا، ويحمرُّ خدُّه خَجَلا.
حتَّى كأنَّ الذى بوَجْنتِه * من ماء وجْهى إليه قد نُقِلا.

وقال الخُبْزَأرُزّى :

صِلْ بخدَّى خَدَّيْكَ، تلْقَ عجيبًا * من معانٍ يَحارُ فيها الضميرُ.
فبخَدَّيْكَ للرَّبيع رياضٌ، * وبخدَّى للدُّموع غَدِيرُ.

وقال أيضا :

أظْهرَ الكِبْرياءَ من فَرْطِ زَهْوٍ، * فتلقَّيْتُهُ بذُلِّ الخُضوعِ.
وحَبانى ربيعُ خدَّيْه بالوَرْ * دِ فأمطَرْتُه سَحابَ الدُّموعِ.

وقال الصنوبرىّ :

رَقَّ، فلو كلَّفتُهُ أعيُنُنا * أن يرتَع الخمرَ خدُّهُ، رَتَعا.

وقال المفجّع :

ظَبْيٌ إذا عقْربَ أصداغه ، * رأيتَ مالا يُحسن العقربُ.
تُفّاح خدّيْهِ له نَضْرةٌ * كأنّه من دَمْعتى يَشْرَبُ.

وقال آخر :

ومُبيحُ أسرارِ القُلو * ب بوجنتَيْه وحاجبَيْه.
جمع الإلهُ له المحا * سنَ ثم أفرغها عليه.
وكأنّ مِرْآتين عُلّقتا بصفحة عارضَيْه.
وكأنّ وَرْدَ الجُلّنار مُضعّف فى وجنتَيْه.

وقال علىّ بن عطيّة البلنسىّ فى غلام جُرح خدّه :

وأحْوَى رَمَى عن قِسىّ الحَوَرْ * سهامًا يُفوّقهنّ النظرْ.
يقولون : وجنتُه قُسّمتْ * ورسمُ محاسنه قد دَثَرْ.
وما شَقّ وجنتَه عابثًا * ولكنّها آيةٌ للبَشَرْ.
جَلاّها لنا اللهُ كيما نَرى * بها كيفَ كان انْشقاقُ القمرْ.

* * *

ومما وصفت به على لفظ التأنيث، فمن ذلك قول عبد الله بن المعتزّ :

نُجُلُ العُيون ، سواحرُ اللحظاتِ * هيّجْنَ منك سواكنَ الحَرَكاتِ.
أقبلْنَ يرمين الجمار تنسّكًا، * فجعلْن قلبَك موضعَ الجَمَراتِ.
فكأنهنّ غُصونُ بانٍ ناعمٍ * يحملْنَ تُفّاحا على الوَجَناتِ.

وقال ابن الرومى :

تَشْرَعُ الألحاظ فى وجْنتها * فتلاقى الرِّىّ من مَشْرَبها.
فهى حسْبُ العينِ من نُزْهتها * وهى حَسْبُ الأذن من مَطْرَبها.

وقال ديك الجن :

بأبى الثلاثُ الآنسا * تُ الرائقاتُ الغانِيَاتْ!
أقبلْن ، والأصداغُ فى * وجَناتهنَّ مُعَقْرَبَاتْ!
ألفاظُهنَّ مؤنّثا * تٌ والحُفُون مُذَكَّراتْ!
حتَّى إذا عاينتهنَّ وللأمُور مسبِّبَاتْ،
جَمَّشتَهنَّ ، وقلتَ : طيـ * ـبُ عِنَاقكُنَّ هو الحياةْ!
فجلْنَ حتَّى خلتُ أنَّ خدودَهنَّ معصْفَراتْ.

❖ ❖ ❖

(٢٦) ومما وصفت به الخيلان ، فمن ذلك ما ورد على لفظ التذكير .

قال بعض الشعراء :

فى الساعدِ الأيمنِ خالٌ له * مثلُ السُّويْداءِ على القَلْبِ.
كأنه من سَبَجٍ فاحِمٍ * مُرَكَّبٍ من لُؤْلؤ رَطْبِ.

وقال ابن منير الطرابلسى :

لاحَ لنا عاطِلًا ، فَصِيغ له * مَناطِقٌ من مَراشِقِ المُقَلِ.
حياةُ رُوحى وفى لواحِظِه * حَتْفِى بين النَّشاطِ والكَسَلِ.
ما خالُهُ مِنْ فَتيتِ عَنْبرِ صُدْ * غَيْهِ ولا قَطْرِ صبغة الكَحَلِ.
لكنْ سُوَيداءُ قلبِ عَاشِقِهِ * طفَتْ على نارِ وَرْدَةِ الخَجَلِ.

وقال أيضا :

أنكرتْ مُقلتُه سَفْكَ دمى، * وعلى وجْنتِه فاعترفتْ.
لا تخالُوا خالَهُ فى خدِّه * قطرةً من صِبْغ جَفْنٍ نطفتْ.
تلكَ من نار فُؤادى جَذْوةٌ * فيه ساخَتْ وانطفتْ ثم طفتْ!

وقال آخر :

لاتخالُ الخالَ يعلُو خدَّهُ * نَقْطَ مِسْك ذاب من طُرَّتِه.
ذاك قلبى سُلِبتْ حبَّتُهُ * فاستوتْ خالًا على وجْنتِه.

وقال ابن منير :

كأنَّ خدَّيْهِ دينارانِ قد وُزِنا * وحَرَّرَ الصَّيْرَفىُّ الوزْنَ واحتاطا.
خفَّ إحداهما عن وَزْنِ صاحبه، * فحطَّ فوقَ الذى قد خَفَّ قيراطا.

وقال آخر :

أضحى ليوسُفَ فى الجمالِ خَليفةً، * يخشاهُ كلُّ العالمين إذا بدَا.
عَرِّجْ معى وانظرْ إليه لِكَىْ ترى * فى خدِّه عَلَمَ الخلافةِ أسودَا.

وقال آخر :

كم قلتُ للنفس : إليه اذهَبِى، * فحُبُّه المشهورُ من مَذْهَبى!
مُهفهفُ القدِّ له شامَةٌ * من عَنْبرٍ فى خدِّه المُذْهَبِ.
آيَسنِى التوبةَ من حُبِّه * طلوعُه شمسًا من المَغْرِبِ!

وقال آخر :

ومُهفْهَفٍ من شعره وجبينِه * يغدُو الورَى فى ظُلمةٍ وضِيَاءِ.
لاتنكروا الخالَ الذى فى خدِّه * كلُّ الشقيق بنُقْطةٍ سوداءِ.

وقال آخر :

لَهيبُ الخدِّ حينَ رأتْه عيني * هوى قلبي عليه كالفَراشِ.
فأحرقَهُ فصار عليه خالًا * وها أثرُ الدُّخانِ على الحَواشي!

وقال آخر :

بَدَا على خدِّهِ خالٌ يزيِّنُه، * فزادني شغفًا منه إلى شَغَفي.
كأنَّ حبَّةَ قلبي عند رُؤيته * طارتْ فقلتُ لها: في الخدِّ منه قِفي!

وقال آخر :

خِيلانُ خدِّك ردَّتْ * صحيحَ قلبي مَريضا.
في العين سُودٌ، ولكنْ * مازِلْنَ في القلب بيضا.

وقال آخر :

خدُّك مِرآةُ كلِّ حُسنٍ * يحسُنُ من حسنها الصِّفاتُ.
مالي أرى فوقَهُ نُجومًا * قد كسفَتْ وهي نيِّراتُ؟

وقال آخر :

حجَّتْ إلى وجْهك أبصارُنا * طائفةً، يا كعبةَ الحسْنِ!
تمسحُ خالًا منك في وجْنةٍ * كالحجَرِ الأسود في الرُّكْنِ.

وقال الأسعد بن بليطة :

سكرانُ لا أدْرِي ـ وقد وافى بنا ـ * أمِنَ المَلاحةِ أم من الخِرْيالِ.
تتنفَّسُ الصَّهباءُ في لَهَواتِه * كتنفُّسِ الرَّيْحانِ في الآصالِ.
وكأنما الخِيلانُ في وجَناتِه * ساعاتُ هَجْرٍ في لَيالِ وصالِ.

❖

ومما وصفت به على لفظ التأنيث ، فمن ذلك قول أبى الفتح كشاجم :

فديتُ زائرةً فى العيد واصلةً * لمستهامٍ بها للوصل منتظر.
فلم يزل خدُّها رُكنًا ألوذُ به، * والخالُ فى صحنه يُغنى عن الحجر.

وقال العباس بن الأحنف :

ومحجوبةٍ فى الخِدْر عن كلِّ ناظر، * ولو برزَتْ ماضلَّ بالليل مَنْ يَسْرى.
بخالٍ بذاك الخدِّ أحسنَ منظرا * من النُّقطة السَّوداء فى وَضَح البدْر.

❖

ومما قيل فى العِذار، فمن ذلك ماورد فيه على سبيل المدح .

قال مانى الموسوس عفا الله عنه ورحمه :

وماغاضتْ محاسنُه، ولكنْ * بماء الحُسْن أورَقَ عارضاهُ. (٢٧)
سمعتَ به فهِمتَ إليه شوقًا! * فكيف لك التصبُّر لو رآه؟

وقال أبو فِراس :

مِن أينَ للرشإ الغريرِ الأحْوَرِ * فى الخد مثلُ عِذاره المتحدِّرِ؟
يامَنْ يلومُ على هواه سَفاهةً! * أنظُرْ إلى تلك السوالف، تَعْذُرِ.
قمرٌ كأنَّ بعارضيه كليهما * مسكٌ تساقط فوق وردٍ أحمرِ.

وقال ابن المعتز :

سالتْ مسايلُ عارضَيْـــه بنَفْسجا فى وَرْده.
فكأنَّهُ من حُسْـــنِه * عَبَثَ الربيعُ بخدِّه.

وقال الخبّاز البلدى :

وعارضٍ مثل دارة البَدْرِ * دارَ بوجهٍ كليلةِ القَدْر.
فلَوْ تراهُ وحسنَ منظَرِه، * شهدْتَ أنّ الجمال للشَّعْر.

وقال ابن المعتزّ :

وتكادُ الشمسُ تُشْبِهُهُ * ويكادُ البدرُ يَحْكِيه.
كيف لا يخضَرُّ عارضُه، * ومياه الحُسْن تسقيه؟

وقال محمد بن وهب :

صُدُودُكَ فى الورى حَتْكَ استتارى، * وساعده البكاءُ على انتشارى.
ولم أخْلَعْ عِذَارِى فيك إلّا * لمّا عاينتُ من حُسْن العِذارِ.
وكم أبصرتُ من حُسْنٍ، ولكنْ * عليك من الورى وقَعَ اختيارى.

وقال أبو الفرج الوأواء :

وشمسٌ بأعلاه ولْبانِ أسْبِلا * بخدّيْه، إلا أنّها ليس تَغْرُبُ.
ولمّا حوى نصفَ الدجى نصفُ خدّه * تحيّرتُ حتّى مادرى أين يَذْهَبُ.

وقال الخُبْزَأرُزّى :

أُنظر إلى الغُنْج يجرى فى لَواحِظِه، * وانظرْ إلى دَعَجٍ فى طَرْفه الساجى!
وانظُر إلى شَعَراتٍ فوق عارِضِه * كأنهنّ نِمالٌ سِرْنَ فى العاج!

وقال أيضا :

وجهٌ تكاملَ حُسْنُه * لما تَطَرَّفه عِذارُهْ.
والسيفُ أحسنُ ما ترَى * ما كان مُخْضَرًّا غِرارُهْ.

(١) فى الأصل : "لين" . والتصويب عن اليتيمة .

وقال الأمير سيف الدين المشد :

ولائمٍ فى عِـذار بَـدْرٍ * لم أستطِعْ عن هواه مَيْلا.
فقلتُ، والدمعُ فى جُفونى * لفرط وجدى تسيل سَيْلا :
ضَلَلْتُ فى خَـدِّه نهارا ! * كيف رشادى، وصار ليلا؟

وقال أيضا :

ولَمَّا أن بدا فى الخد شَـعْرٌ * توقّف عند منتصَف العِـذارِ.
فقلتُ للائمى فيـه : تعجَّبْ * لنصف الليل فى نِصْف النهار!

وقال أيضا :

ومُهفهفٍ يَحْمى وُرُودَ رُضابِه * بصوارمٍ سُلَّتْ من الأجفانِ.
كتب العِـذارُ بليقةٍ مِسْكيَّةٍ * فى خدّه سَطْرا من الرَّيْحان.

وقال أيضا :

يقـولُ العَـواذلُ لَمَّا بدا * على خـدِّه شـعَرٌ زائرُ:
ذَوَى وَرْدُ خدّيه، قلت : اقْصروا * فنرجِسُ ألحاظِـهِ وافِـرُ!

وقال آخر :

وقالوا : تسلَّ فقد شانَهُ * عِذارٌ أراحك من صَدِّه.
فقلت : وهِمْتم، ولٰكنَّنِي * خلَعْتُ العِذارَ على خدِّه.

وقال آخر :

بروحى وقلبى ذلك العارضُ الذى * غدا مسْكُه فوق السَّوالف سائلا.
درَى خدُّه أنّى أُجَنُّ من الهوَى، * فأظهر لى قبل الجُنون سَـلَاسلا!

وقال آخر :

أصبحتُ مأسورًا بفُنْج لِحاظه * ومقيَّدًا من صُدْغه بسلاسِل.
حتَّى بدا سيفُ العذار مجرَّدا * فخشيتُ منه ، فقلتُ هذا قاتِلي!

وقال آخر :

قالت : أسودَّ عارضاكَ بشَعْرٍ ، * وبه تقبُح الوجوهُ الحِسانُ!
قلتُ : أشعلْت في فؤادي نارًا ، * فعلى عارضَيَّ منه دُخَانُ!

وقال آخر :

قلتُ ، وقد أبصرتُه مُقْبِلًا * وقد بدا الشَّعْر على الخدِّ :
صُعودُ ذا النملِ على خدِّه * يشهد أن الرِّيق من شَهْدِ.

ومثله قول الآخر :

قالوا : ألْتحى ، فاصبُ إلى غيره! * قلتُ لهم : لستُ إذًا أسْلُو!
لو لم يكُنْ من عسلٍ رِيقُه ، * ما دَبَّ في عارضه النملُ.

وقال آخر :

عِذَارُه أحسنُ ما فيه ، * وتيهُهُ من أحسنِ التِّيهِ.
في فِيه الشَّهد ، فلا تعجَبُوا * إن دَبَّ نملٌ بعذاريهِ.

وقال آخر :

أصلَى بنار الخدِّ عنبر خاله * فغدا العذارُ دُخانَ ذاك العنبرِ.

وقال آخر (وقد تقدم بزياده في صفاء الخد)

أعِدْ نظرًا ، فما في الخدِّ نبتٌ * حماه اللهُ من رَيْب المَنُونِ!
ولكن رقَّ ماءُ الوجه حتَّى * أراكَ مثالَ أهدابِ الجُفُونِ.

ومثله قول الآخر (وقد تقدم إيراده) :

ولَمَّا ٱستدارَتْ أعينُ الناس حوْلَهُ * تُلاحظُه كيف ٱستقَلَّ وسارا،
تمثَّلت الأهدابُ فى ماءِ وجهِه * فظنُّوا خيال الشَّعْر فيه عِذارا.

وقال الحاجرىّ :

وما ٱخضَرَّ ذاكَ الخدُّ نَبْتاً، وإنما * لكثرة ما شُقَّت عليه المَرائرُ.

وقال آخر :

يالائمِى فى حُبِّ ذى عارِض، * ما البَلَدُ المُخصِبُ كالماحِلِ!
يَموجُ ماء الحسنِ فى وجهِهِ * فيَقْذِفُ العنبَرَ فى الساحلِ.

وقال آخر :

ولَمَّا بدَا خطُّ العِذار بوجهِهِ * كظُلْمةِ ليل فى ضِياء نهار،
تغَلْغَلَ فى قلبى هواه فلم أَزَلْ * خليعَ عِذارٍ فى جَديدِ عِذار.

وقال آخر :

قالوا: ٱلتحَى، فامتحَتْ بالشَّعر بهجَتُه! * فقلت: لولا الدُّجَى لم يحسُنِ القمرُ.
مَن كان منتظِرا للصبر عنه به، * فإنَّنى لغَرامى كنتُ أنتَظِرُ.
خَطَّتْ يدُ الحسنِ منه فوق وجنَتِه: * هذى محاسنُ، يا أهلَ الهوَى، أُخَرُ!

وقال آخر :

وقلتُ: الشَّعْر يُسْلِينى هواه! * ولم اعلم بأنَّ الشَّعْر حَيْنِى.
فظَلْتُ لشِقْوتى أفْدِى وأحمِى * سوادَ عِذاره بسَوادِ عينى.

وقال محمد بن عبد الله السلامى، شاعر اليتيمة :

عذارُكَ جادتْ عليه الرِّيا * ضُ بأجْفانها وبأمَاقِها.

وطال غرامُ الغَـوانِي به * فقـد طَرَزَتْهُ بأحداقها.

وقال ٱبن سُكَّرَةَ الهاشميّ :

وغزالٍ لولا نميمةُ شَعْر * ذكَّرتْه، لقلتُ: إحدى الجَوَارى.
شاربٌ أشْرَبَ الصَّبابةَ قَلبي، * وعذارٌ خلعْتُ فيه عِذارى.

وقال آخر :

قالوا: ٱلتحَى وستَسْلُوعنه، قلتُ لهم: * هل يحسُن الروضُ مالم يطْلُعِ الزَّهَرُ؟
هَـلِ ٱلتحَى طَرْفُهُ الساجى، فأهْجُرَه؟ * وهـل تَزحْزَح عن ألحاظه الحَوَرُ؟

وقال أبو الفتح كُشاجم :

مَنْ عَذِيرى من عِذارَىْ قمرٍ، * عرض القلْبَ لأسبابِ التلَفْ؟
زِيدَ حُسْنًا وضياءً بهما، * فهُو الآنَ كبَدْرٍ فى سَدَفْ.
خَمَّشَا خـدَّيْه ثم ٱنعطَفَا، * آه ما أحسنَ ذاك المنعطَفْ!
عَلِمَ الشَّعْرُ الذى عاجَلَهُ * أنه جارَ عليه، فَوقَفْ.
فهو فى وقْفته معترِفٌ * بالتناهِى فى التعدِّى والسَّرَفْ.

وقال آخر :

لاتعتقِدُوا ما لاح فى وجْنَتِه * شَعرا، غَلَطًا! ماذاك من شِيَمِه!
بل ساكنُ ماءِ الحسن قد حرَّكه * مَوْجٌ قذف العنبرَ فى حافَتِه.

وقال عبد الله بن سارة الإشبيلىّ :

ومُعذِّرٍ رقَّت حواشى حُسنِه، * فقلوبُنا حَذَرًا عليه رِقاقُ.
لم يُكسَ عارضُه السوادَ، وإنما * نفضَتْ عليه صباغَها الأحداقُ.

وقال أبو بكر الدانىّ، شاعر الذخيرة :

بدا على خدّه عِـــذارٌ * فى مثله يُعذَر الكَئيبُ.
وليس ذاك العِذارُ شَعْرًا، * لكنّما سِـــرُّه غَريبُ.
لَمّا أراق الدماء ظُلْمًا، * بدتْ على خدّه الذُّنوبُ.

وقال عبد الجليل الأندلسىّ :

ومُعذَّرين كأنما بخُدودِهِمْ * طُرُقُ العيون ومَنْهَجُ الأوداجِ.
وكأنما صقَلُوا الجمالَ فأظهرُوا * مَشْىَ النِّمال على مُتُون العاجِ.

* * *

ومما وصف به العِذار على طريق الذمّ، فمن ذلك ما قاله الوزير أبو المغيرة ابن حَزْم، عند ما عُرِضت عليه رسالة بديع الزمان فى الغلام الذى خطب إليه وُدّه بعد أن عَذَّر، قال :

« ورد كتابك يَنْشُد ضالّةَ وُدّنا . ويَرْقَع خَلَقَ عهدنا ؛ ويطلُب ما أفاءتْه جريرتك « إلينا، وذهبتْ به جنايتُك علينا ؛ أيامَ غصنُك ناضر، وبدرُك زاهر ؛ لانجد رسولا « إليك، غير لحظة تَخْرِق حجاب الدموع، أو زفرة تُقيم مُنْآدَ الضُّلوع ؛ فإن رُمْنا شكوى « يَنْفُث بها مَصْدُورنا ، ويستريح إليها مَهْجورنا ؛ لقينا دُونَها أمنع سدّ ، وأقبح كفّ « وصدّ، وأقدح ردّ .

وفى فصل منها :

« حتّى إذا طَفِئتْ تلك النِّيران ، وآنتصف لنا منك الزمان ؛ بشَـــعَراتٍ أغشَتْ « هلالَك كُسوفا، وقلبَتْ ديباجكَ صُوفا ؛ وأعادت نهارَك ليلا ، وناحتْ عليك تلهُّفا

«ووَيْلا ؛ وأطار حَمامَك غرابُك ، وحجب ضِياءَك ضَبابُك ؛ فصار عُرْسك مأتَما ،
«وعاد وصفُك محرما ، قال القائل :

«وبتَّ مُداما تُسِرُّ الرَّيف * فأصبحتَ تُجْرَع خَلًّا ثَقيفا .
«وصرتَ حِجازًا جديبَ المَحَلّ ، * وقد كنتَ للطالب الخِصْبَ رِيفا .

«أقبلتَ تَسأل إلينا لِواذا ، وتطلُب منا عِياذا ؛ قد أنساك ذُلُّ العزل عِزَّ الولايه ، ٥
«وأولاك طَعما نِسيانُنا تلك الجنايه ؛ أيَّامَ ترشُقنا سِهامُ ألحاظك رَشْقا ، وتقتُلنا سيوفُ
«ألفاظك عِشْقا ؛ وتَميس غصنا ، فتثير حُزْنا ؛ وتطلعُ شمسا ، فتفتِّت نفسا .

«فالآن نلقاك بدمع قد جَفّ ، ووجْد قد كَفّ ؛ وعزاء قد أبَّد ، وصبر قد أغار
«وأنجد ؛ وننظر منك إلى روض قد صَوّح ، وسارٍ قد أصبح ؛ وأعجَم قد أفصح ،
«ومُبهَم قد صرّح . فلا شكَّ قد رُفع الغطاء ، ولا إفكَ قد بَرِح الخفاء ، ولا لومَ قد وقع ١٠
«الجزاء . وهلَّا ذكرت المَثَل الممتهَن " الصَّيْف ضَيَّعت اللبن ! " ونسيتَ من أحرقتَ
«قلبه صدّا ، وأقلقت جنبه رَدّا ؛ وملأت جوانحه نارا ، وتركتَ نومه غِرارا ؛
«أن يُوفيَك قَرْضا ، ويجازيَك حتَّى ترضى ؛ حين نُكِّس علَمُك ، وعثَرت قدمُك ؛
«وضاقت طُرُقك ، وأظلم أُفُقك ؛ وهوى نجمُك ، وخاب قِدْحُك ؛ وفُلَّ سيفُك ، وحُطّ
«رُمْحُك ؛ فأطْوِ ثوبَ وصلك فلا حاجة لنا إلى لباسه ، وأزوِ طارقَ شخصك فلا رغبةَ ١٥
«لنا في إيناسه ؛ فما يشتهي اليومَ زيارةَ رمْس ، مَنْ زَهِد فيه أمس . قال :

«حانتْ منيتُه فاسودَّ عارضُهُ ، * كما تُسوَدُّ بعد الميِّت الدارُ .
«يامن نَعَتْه إلى الإخوان لحيتُه ، * أدبرتَ ، والناسُ إقبال وإدبارُ !
«فيالدهرِ مضى ما كان أحسنَهُ ! * إذ أنت ممتنعٌ والشَّرْطُ دينار .
«ايَّامَ وجهُك مصقولٌ عوارضه ، * وللرياض على خدَّيْكَ أنوارُ !

وقال علىّ بن نصر الكاتب تعزيةً لمن طلعت لحيته :

«لكل حادثة يفجع بها الدهر — أحسن الله معونتك — حدّ من القلق والألتياع، «ومَبْلغ من التحرّق والارتياع؛ تستوجب فنًّا من التعزيه، وتستحق نصيبا من العظة «والتسليه؛ والاختصار فيها لما قرب خطبه وشانه، والإكثار لما جلّ محلّه «ومكانه .

«ومُصابُك هذا — أعانك الله — فى بياض شيبك لما أسود، كمُصابك فى سواده «إذا أبيضّ؛ والألم بياض رَوْضه جميا، نظير الألَم به يوم يعود هشيما .

«فليس أحد يدفع عظيمَ النازل بك، ولا يستصغر جسيمَ الطارق لك؛ وإن كان «ما يتعقبه من المشيب أقذى للعيون .

«التفتتْ عنك النواظر، وكانت ملتفتة إليك، ووقفت عنك الخواطر، وكانت (٣٠) «موقوفة عليك؛ وصيّرك قَذى الأجفان وكنت جلاها، وجعلك كُرْبة النفوس «وكنت هواها؛ وأبدلك من أنس التقبل، وحشة التنقل؛ وعوّضك من رقة الترفرف، «كلفة التأفف؛ فتبارك الله الذى صرف عنك الابصار، وثقّل فيك الأطوار! ... ...

... ...

«فعويلًا دائما وبكاءً! وعزاء عن الذكر الجميل عزاء! فلكل أجل كتاب، وعلى كل «جائحة ثواب .

«ولقد استوفيت أمد الصبا والصبابه، واستنبْت الحسرة عليها والكآبه. فرزيّتُك «راسية والرزايا سوائر، ومصيبتُك ثابتة والمصائب عوائر. " إنا لله وإنا إليه «راجعون" .

«ثم لاحيلة، فإنها الأيام التى لا تثبت على حاله، ولا تعرف غيرَ التنقل والاستحاله!
«فآجرك الله فى وجه نَضَب ماؤه، وذهب رُوَاؤه ومات حَياؤه! وفى ضيعة آستأجم
«بُرُّها، وآستدغل نَوْرها، وأسبع طريقُها، وآنسعت تَنُوفتُها! وفى جاه كان عامرا
«فخَرب، ودَخْل كان وافرا فذهب، وتَذْكار كان واصلا إلى القلوب فحُجب!
«فأصبحتَ مسبوق السكّيت، وظِلْت حيا وأنت الميْت؛ فلا حول ولا قوّة إلا بالله
«من مِحَنٍ دُفعتَ إليها، ولم تُعَنْ بحال عليها.

«وقد يشغل الإنسانَ عن نوائبه المشاركون فيها، ويسلّيه عنها المساهمون فى مَعْنَى
«معانيها؛ وأنت من بين هذه المنزلة لا شريك لك، فإنهم يعتاضون عنها ولستَ
«بمعتاض، ويركُضُون للعيش ولست بركّاض. والدهر يطوِى محاسنَكَ طىَّ السجلّ
«كتابه، وينشر مَقابحك نشر اليمانى أثوابه. ويَمَلُّ الطرف رؤيتك فلا يُفيق عليك
«جفنا، ويمجُّ السمع ذكرَك فلا يجد عنده أذنا.

ومنها:

وقد جعلتُ رُقعتى هذه جامعةً بين البكاء عليك والأنين، وناظمةً بين العزاء والتأبين. لها حلاوةُ النثر، وعليها طَلاوة الشعر. تعجّبُها قريحةٌ عليك، ونسجتها خواطر خاطرت إليك؛ تخفّف غرامك والناس مشاغيلُ بثقيله، وتكرم مكانك والإجماع واقع على تهوينه. فإن عرفتَ لى ذاك، وإلا عرفه الصّدق؛ وإن شكرته، وإلا شكره الحق.

والسلام عليك من أسير لايخلص بالفدية، وقتيل بسيف السِّبال واللحية.»

وقال الصنوبرىّ:

ما بدَتْ شَعْرةٌ بخَدّك إلّا ... قلتُ فى ناظرَىَّ أو فى فؤادى.

أنت بدرٌ جَنَى الخسوفُ عليه * ظلمةً، لا أرى لها من نَفاد.
فاسوداد العِذارِ بعدَ ٱبيضاضٍ * كٱبيضاضِ العِذار بعد ٱسْوِدادِ.

وقال آخر :

أصبحَ نَحْسًا ـ وكان سَعْدا ـ * مَنْ كان مَوْلًى فصار عَبْدا.
بكى على حُسْنِهِ زمانا، * لما رأى الشَّعْرَ قد تَبَدّى.
لو نَبت الشَّعْرُ فى وِصالٍ، * لعادَ ذاكَ الوِصالُ صَدّا!

وقال الخبزأرزى :

بَدا الشَّعرُ فى وَجْهه، فٱنتقَمْ * لعاشِقِه منه لَمّا ظَلَمْ.
وما سلَّطَ اللهُ نَبْتَ اللِّحى * على المُرْدِ إلّا زَوالَ النِّعَمْ.
تَوَحَّشتِ العينُ فى وجْهِه، * وحَقّ لها وحشةٌ فى الظُّلَمْ.
إذا ٱسْودّ فاضلُ قِرْطاسِه، * فما ظَنُّه بمَجارِى القَلَمْ؟
ولم يَعْلُ فى خَدِّه كالدُّخا * ن إلّا وأسْفَلُه كالحِمَمْ.

وقال التَّنُوخىّ :

قلْتُ لأصحابى، وقد مَرّ بى * مُنْتقِبًا بعدَ الضِّيا بالظُّلَمِ:
بالله، يا أهْلَ وِدادِى! قِفُوا * كَىْ نُبْصِرُوا كيْفَ زَوالُ النِّعَمِ!

وقال إبراهيم بن خَفاجة الأندلسىّ فى ملتحٍ :

ما للعِذارِ، وكانَ وَجْهُكَ قِبلةً، * قد خَطَّ فيه من الدُّجَى مِحْرابا.
وإذا الشَّبابُ ـ وكان ليس بخاشِعٍ ـ * قد خَرّ فيه رَاكعا، وأنَابا.

وقال أيضا :

وافى بأوله صحيفةُ صَفْحةٍ * جعل العِذارُ بها يَسِيل مِدادَا.
متَجَهِّما نُكْلَ الشَّبابِ كأنما * لَبِس العِذارَ على الشَّباب حِدَادا.

وقال عمر المطوعىّ، من شعراء اليتيمة :

غَدَا — منذُ ٱلتحى — لَيْلًا بهيما، * وكان كأنَّه القَمَرُ المُنِيرُ.
فقد كتَبَ السَّوادُ بعارِضَيْهِ * لمن يقرا : "وجاءَكُمُ النَّذِير".

وقال عبد الجليل الأندلسىّ، من شعراء الذخيرة :

(٣١) وأمْرَدَ يَسْتَهِيمُ بكل وادٍ * ويَنْصِب للحَشا خدًا صَلِيبا.
دعوتُ دُعاءَ مظلومٍ عليه، * وكان اللهُ مستمعًا مُجِيبا.
فَطَوَّقه الزمانُ بما جَناه * وعلَّق من عِذارِيه ذُنُوبا.

وممـا قيل فى العُنُق، يقـال :

الجِيـد، طولهـا — التَّلَع، إشرافها — الهَنَع، نطامُنُها — الغَلَب، غِلَظُها — البَتَع، شِدَّتُها — الصَّعَر، ميلُها — الوَقَص، قِصَرها — الخَضَع، خُضُوعها — الحَدَل، عوجها.

وقال دِعْبِل :

أتاحَ لكَ الهـوى بيض حِسَانٌ * سـلَبْنكَ بالعُيونِ وبالنُّحُـورِ.
نَظَرْتَ إلى النُّحور فكِدْتَ تَقْضِى * فأوْلى لو نظَـرتْ إلى الخُصُور.

وقال قيس بن الخطيم :

وجيدٍ كجيد الرِّيم صافٍ يزينُه * توقُّدُ ياقوتٍ وفَصْلُ زَبَرْجَد.

كأنَّ الثريَّا فوقَ ثُغْرة نَحْرها * تَوَقَّدُ فى الظَّلْماء أىَّ تَوَقُّـد.

❖ ❖ ❖

ومما قيل فى اليد إذا باشرتْ ما يَعْلَق بها، يقال :

من اللحم غَمِرة، ومن الشحم زَهِمة، ومن السمن نَسِمة، ومن الزُّبد وَضِرة، ومن الجُبن نَشِمة، ومن اللبن مَذِقة، ومن البَيْض زَهِكة، ومن السمك صَمِرة، ومن الزيت قَنِمة، ومن الخمر عَتِكة، ومن الخل خَمِطة، ومن العسل ونحوه لَزِجة، ومن الطِّيب عَطِرة، ومن الغالية عَبِقة، ومن الزعفران رَدِعة، ومن العنبر لَطِخة، ومن الحَلُوق ضَمِخة، ومن الحنَّاء قَنِئة، ومن الدم ضَرِجة، ومن الماء بَلِلَة، ومن الطين لَثِقة ورَدِغة، ومن البرد صَرِدة، ومن التراب كَثِبة رغَضِرة، ومن القار حَلِكة، ومن الفحم حَمِمة، ومن المداد طَرِسة، ومن الحديد سَهِكة، ومن الفضة سَبِكة، ومن الذهب نَضِرة، ومن النار شَعِلة، ومن الرياحين فَوِحة، ومن البقل زَهِرة، ومن الفاكهة الرطبة لَزِقة، ومن اليابسة فَكِهة، ومن العمل مَجِلة رنَفِطة، ومن الخُشُونة شَثِنة رثَفِنة، ومن الشوك مَشِطة رشَظِية، ومن الحطب حزِمة، ومن الرمح كَبِبة، ومن الصولجان لَعِبة، ومن الجود سَبِطة، ومن العطية مَنِحة، ومن البخل جَعِدة، ومن المنع لَجِزة، ومن العدم تَرِبة، ومن الرزّ زَنِخة، ومن الصابون حَفِرة، ومن الفرصاد قانِية، ومن الرجيع قَشِمة، ومن كل القاذورات قَذِرة، ومن الوسخ دَرِنة . اهـ

❖

ومما مُدِحت به اليدُ، قال مؤيد الدين الطُّغْرائى :

ويدٍ تُمِدُّ المالَ راحتُها * أبدًا، ويغمُرظهرَها القُبَلُ.
إن ضَنَّ غيثٌ أوخَبَا قمرٌ، * فبِبِينُه ويمينُه البَدَلُ.

وقال عبد المؤمن بن هبة الله الأصبهانىّ

قالوا: بدَتْ عارِضةٌ لابدَتْ! * فى كفِّ ذاكَ السيِّدِ الأوحدِ.
راحتُه راحةُ من يَجْتدِى، * وكفُّه كفُّ الذى يَعتدِى.
فلا أصابتْ يَدَه آفةٌ! * فكم يدٍ عندى لتلك اليدِ!

وقال ابن دُرَيد :

يامَنْ يقبِّلُ كفَّ كلِّ مُمَخْرِقٍ، * هذا ابن يحيى ليس بالمِخْراقِ!
قَبِّلْ أنامِلَهُ، فلسْنَ أنامِلًا، * لكنهنَّ مَفاتحُ الأرْزاقِ!

وقال إبراهيم بن العباس بن محمد :

لفضلِ بنِ سَهْلٍ يدٌ * تقاصَرَ عنها المَثَلْ.
فباطنُها للنَّدَى، * وظاهِرُها للقُبَلْ.
وبَسْطتُها للغنَى، * وسَطْوتُها للأجَلْ.

وقال ابن الرومىّ :

فامْدُدْ إلىّ يدا تَعَوَّدَ بطْنُها * بذلَ النَّوالِ، وظَهْرُها التقبيلا.

وقال أبو نُواس :

يا قَمَرًا، أبرزَهُ مأتَمٌ * يَنْدُبُ شَجْوا بين أتْراب!
يَبْكى فيُذْرِى الدُّرَّ من نَرْجس، * ويَلْطِمُ الوَرْدَ بعُنَّاب.

وقال الناشئ :

من كفِّ جاريةٍ كأنَّ بَنانَها * من فِضَّةٍ قد طُرِّفت عُنَّابا.
وكأنَّ مُنْاها إذا نَطَقَتْ بها * تُلْقى على يدها الشِّمالِ حِسَابَا.

وقال الراضي بالله :

قالوا: الرَّحيلَ! فأنْشبت أظفارَها * في خَدِّها، وقد اعتلقْنَ خِضَابا.
فاخضَرَّ تحتَ بَنانِها فكأنَّها * غرسَتْ بأرضٍ بنَفْسَجٍ عُنَّابا.

وقال ابن كيغلغ :

لمَّا اعتنقْنا للوَداع وأعربتْ * عبَراتُنا عنَّا بدَمْعٍ ناطقِ، (٣٣)
فرَّقْن بينَ مَعاجرٍ ومحاجرٍ، * وجمعْن بين بَنَفْسَجٍ وشَقائقِ.

وقال كُشاجِمُ :

فما أنسَها، لا أنسَ منها إشارةً * بسَبَّابةٍ اليُمنى إلى خاتَمِ الفَمِ!
وأعلنتُ بالشكوى إليها فأومأَتْ * حِذارًا من الواشينَ أنْ لا تكلَّمي.
فلم أرَ شَكْلًا واقعًا فوقَ شَكْلِه * كعُنَّابةٍ تُومِي بها فوقَ عَنْدَمِ.

❖ ❖ ❖

ومما قيل في النهود، يُقال :

ثُنْدُوة الرَّجُل، نَدْى المرأة، خِلْف الناقة، ضَرْع الشاة والبقرة، طُبِّيُ الكَلْبة.

قال ابن الرومي :

صُدورٌ فوقَهُنَّ حِقَاقُ عاجٍ، * وحَلْيٌ زانَهُ حُسْنُ اتِّساقِ!
يقولُ الناظرونَ إذا رأَوْها : * أهذا الحَلْيُ من هذي الحِقَاقِ؟
وما تلكَ الحِقَاقُ سوى ثُدِيٍّ * قُدِرْنَ من الحِقَاقِ على وِفَاقِ.

نَواهِدُ لا يُعَـدُّ لهنَّ عيبٌ * سِوى مَنْعِ المُحِبِّ من العِناقِ.

وهو مأخوذ من قول بعض الأعراب :

أَبَتِ الرَّوادِفُ والثُّدِيُّ لقُمْصها * مَسَّ البُطونِ، وأن تَمَسَّ ظُهُورا.

وقال محمد بن مبادر :

ولهـا ثَدْيانِ ماعَـدَوَا * من حِقاقِ العاجِ أن كَعَبا.

قُسِمَتْ نِصفَيْنِ دِعْصَ نَقًا * وقَضِيباً لانَ، فاضْطَرَبا.

وقال عبد الله بن أبي السِّمْط بن مَرْوان :

كأنَّ الثَّـدِيَّ إذا ما بَدَتْ * وَزانَ العُقودُ بهنَّ النُّحورا،

حِقاقٌ من العاجِ مكنونةٌ * يَسَعْنَ من الدُّرِّ شَيئاً كثيرا.

وقال علي بن الجهم :

كنتُ مُشْـتاقاً وما يَحْجُزُنِي * عَنْك إلا حاجزٌ يمنَعُـنِي.

شاخِصٌ في الصدْرِ، غضْبانٌ على * قَبَبِ البَطْنِ وطَيِّ العُكَنِ.

يَمـلأُ الكَفَّ ولا يَفْضُـله، * وإذا أثْنَيْتَـه لا يَنْـثَنِي.

وقال ابن الرومي :

مُلْقِماتٌ أطفـالَهنَّ ثُدِيًّا * ناهِداتٍ كأحسَنِ الرُّمَّانِ.

مُفْعَماتٌ كأنَّهـا حافـلاتٌ * وهي صِفْرٌ من دِرَّةِ الألبانِ.

وقال ابن المعتز :

قَبِيحٌ بمثلك أن تَهْجُـرِي، * وأقبحُ من ذاكَ أن تُهْجَرِي.

أقابِلُنِي بفُتُـورِ الجُفُـونِ * ورُمَّانتَيْنِ على مِنْـبَرِ،

كُمَّتَيْنِ من لُبِّ كافورةٍ * برأسَيْهِما نُقِطَتا عنـبرِ!

✦ ✦ ✦

ومما قيل فى البطن، يقال :

الدَّحَل، عِظَمُه — الحَبَن، خروجه — النَّجَل، آسترخاؤه — القَمَل، ضخمه — الضُّمُور، لَطَافته — العَجَر والبَجَر، نُخُوصه — التَّخَزُّر، آضطرابه .

قال محمد بن مبادر :

والبَطْنُ ذُو عُكْنةٍ لطيفٌ * صِفْرٌ وشَاحاه جائلانِ .
أشرفَ من فوقِهِ عليــه * ثَدْيانِ مِيــلان ناهِــدانِ .

... ...

✦ ✦ ✦

ومما قيل فى الأرداف والخصور، فمن ذلك ما ورد على لفظ التذكير .

فمنه قول عبد الله بن طاهر :

صبٌّ كئيبٌ يشتكيكَ الهوى * كما آشتكى خَصْرُك من رِدْفكا .
لسانُه عن وصْفِ أســقامِه * أكَلُّ منــه عن مَدى وصْفكا .

وقال آبن أبى البغل :

كأنّه فى آعتــداله غُصُن * وفى السَّراويل منه أمواجُ .
إذا مشى كالقَضِيب جاذبَهُ * رِدْفٌ له كالكَثِيب رَجْراجُ .
ويعــلَمُ الله أنّى رجُــل * إليه مذ قد كَبرتُ محتــاجُ .

وأنشد أبو بكر بن دُرَيْد عفا الله عنه ورحمه :

(٣٥) قد قلتُ لَمَّا مَرَّ يَخْطِرُ ماشِـيًا * والرِّدفُ يجْذِب خَصْرَه من خَلْفه .

يا مَنْ يُسَلِّم خَصْره من رِدْفِه * سَـلِّمْ فُؤادَ محبِّه من طَـرْفه .

وقال السرىّ الرفّاء :

ضَعُفَتْ معاقِدُ خَصْره وعُهودُه * فكأنَّ عَقْدَ الخَصْر عَقْدُ وفائه .

وقال المتنبي :

وخَصْر تثبتُ الأبصارُ فيـه * كأنَّ عليه من حَدَقٍ نِطاقا .

وقال السرىّ الرفّاء :

أحاطَتْ عيونُ الناظرينَ بخَصْره * فهُنَّ له دونَ النِّطاق نطاقُ .

وقال الأمير سيف الدين المشد :

وأَهْيف القدِّ بتُّ أشكُو * له تـلَافِي وما تـلَافَى .

فلَانَ عِطْفا ودقَّ خَصْرا * وإنمـا رِدْفُـه تجـافَى .

وقال أبو نُوَاس :

لَيِّن القَـدِّ لَذِيذُ المُعْتَنَقْ * يُشْبِهُ البدرَ إذا البدرُ ٱنَّسَقْ .

مثقَلُ الرِّدف إذا وَلَّى حكى * مُوثَقًا فى القيدِ يَمْشِى فى زَلَقْ .

وإذا أقبلَ كادتْ أعيُنٌ * نَحْوه تجرَحُ فيـه بالحَدَقْ .

وقال آخر وأجاد :

أيامَنْ نِصْـفُه غُصُنٌ * يميلُ ونِصْـفُه كَفَلُ .

صـفاتُكَ فى تَبايُنِهـا * فُنُفَصـلٌ ومُتَّصـلُ .

فنصفُك موجُ عاصفةٍ * ونصفُك شاربٌ ثَمِلُ .

❖

ومما وصفت به على لفظ التأنيث، فمنه قول أبى عُبَادة البحترى :

كأنهن وقد قارَبْنَ فى نَظَرِى * ضِدَّيْنِ فى الحسن تثقيلا وإخْطافا.

ردَدْنَ ما خَفَّفتْ عنه الخُصور إلى * ما فى المآزر فاستثقلْنَ أردافا.

وقال آخر :

لها رِدْفٌ تعلَّقَ فى لَطِيف * فذاك الرِّدف لى ولها ظَلُومُ.

يُعَذِّبُنِى إذا فكَّرتُ فيه * ويُتْعِبها إذا قصَدَتْ تقُومُ.

وقال مؤمل وأفرط :

مَنْ رأى مثلَ حِبَّتى * تُشْبِه البدرَ إذ بَدا.

تدخُلُ اليومَ ثم تَدْ * خُلُ أردافُها غَدَا.

وقال أبو هلال :

تَمْشِى بأرْدافٍ أَبَيْنَ قُعُودَها * بين النِّساءِ كما أَبَيْنَ قيامَها.

وقال علىّ بن عطية البلنسى :

وإنسيَّةٍ زارتْ من اللَّيْلِ مَضْجَعى * فعانقْتُ غُصنَ البان منها إلى الفَجْر.

أُسائلُها أينَ الوِشَاحُ ؟ وقد سرَتْ * مُعَطَّلةً منه، معطَّرةَ النَّشْر.

فقالَتْ : وأومَتْ، للسِّوارِ نقَلْتُه * إلى مِعْصَمِى لما تقلْقَلَ فى خَصْرى.

وقال الطائى :

من الهيف لو أنَّ الخَلاخلَ صُيِّرَت * لها وُشُحًا جالتْ عليها الخَلاخلُ.

وقال إسحاق الموصلىّ :

ظِباءٌ كالعَوافِرِ * كُنُوسٌ فى المَقاصِيرِ.
وأَدبرنَ بأَعْجازٍ * كأَوْساطِ الزَّنابِيرِ.

وقال عمر بن أبى ربيعة :

يتقابَلْنَ كالبُدُور على الأَغْصانِ فى مُنْقَل من الأَرْدافِ.
بِحُصُورٍ تَحْكِى خُصُورَ الزَّنابِيرِ ضعافٍ هَمَمْنَ بالانْقصاف.

وقال آخر :

عظُمَتْ رواِدفُها فآذَتْ خَصْرَها * ووشاحُها قَلِقٌ كقَلْب المُغْرَم.

وقال آخر :

آخِرُهَا مُتْعِبٌ لأَوّلِها * فبعضُها جائرٌ على بَعْض.

وقال آخر :

تَمْشِى فتُثْقِلُها رواِدفُها * فكأَنَّها تمشى إلى خَلَف.

وقال البجلىّ :

إن العزِيزَ علىّ خَصْرُكِ إنه * بالرِّدْفِ حُمِّل منكِ ما لا يُحْمَلُ.
فخُذِى له جِسْمى مكانَ وشاحه * إن العَلِيلَ بشَكْله يتعلَّلُ.

وممّا قيل فى السَّوق، فمن ذلك قول الأمير سيف الدين المشدّ :

ساقٍ تجَلَّى كأَنَّه قَمَرُ، * يحمل شمسًا، أَفْدِيه من ساقِ!
شَمَّر عن ساقِه غلائلَهُ، * فقلْتُ: مهلا، وآكْفُفْ عن الباقى!
لَمَّا رآنِى، وقد فُتِنْتُ به * من فَرْطِ وَجْدِى وعُظْمِ أشواقِى،
غنَّى وكأْسُ المُدامِ فى يَدِه: * قامتْ حروبُ الهوى على ساق.

وقال عُرْوة :

فقُمْنَ بطيئًا مَشْيُهنَّ تأوُّدا * على قَصَبٍ قد ضاقَ عنه خَلاخِلُهْ.
كما هَزَّتِ الميزانَ رِيحٌ فحرَّكتْ * أعالِيَه منه وارتجَّتْ أسافِلُهْ.

وقال كُثَيِّر عَزَّة :

ويجعلْنَ الخلاخِلَ حين تَلْوِى * بأَسْوُقِهنَّ فى قَصَبٍ خدَال.

وقال كُشاجم :

قلتُ : وقد أبصرتُها حاسِرًا * عن ساقِها فاضلَ سِرْبالِها :
لو لم تَكُنْ من بَرْدِ ساقُها، * لأحرَقَتْ من نارِ خَلْخالِها.

وله أيضا :

وإذا لَبِسْنَ خَلاخلًا، * كذَّبْن أسماءَ الخلاخل.



(٣٦) ومما وصفت به القدود، فمن ذلك قول أبى فِرَاس الحمدانى :

غُلامٌ فوقَ ما أصِفُ * كأنَّ قَوامَهُ أَلِفُ.
إذا ما مالَ يُرْعِبُنِي : * أخافُ عليه يَنْقَصِفُ.
وأشفَقُ من تأوُّده : * أخافُ يُذِيبه التَّرَفُ.

وقال الخُبْزَأُرُزِّى :

أهيفُ يحكِى بقدِّهِ الأَلِفا * يَخْسَرُ مَن لم يكُنْ به كَلِفا.
أحسنُ من بهجة الخلافة والأمـ * ـن لمن قد يُحاذِرُ التَّلَفا.
لو أبصرَ الوجهَ منه مُنْهزِمٌ * يطلُبُه أنفُ فارِسٍ، وَقَفا.

وقال مانى :

أتَمَنَّى الذى إذا أنا أوْمَأْتُ إليه بطَرْف عينِى، تَجَنَّى.
أهْيَفُ كالقَضِيبِ لو أنَّ ريحًا * حرَّكَتْ هُدْبَ ثوبِه، لتثنَّى!

وقال آخر :

أيَاسائلى عن قَدِّ محبوبِىَ الَّذِى * كَلِفْتُ به وَجْدًا وهِمْتُ غَرَاما.
أبَى قِصَرَ الأغصانِ ثُمَّ رأى القَنَا * طِوالًا، فأضْحى بينَ ذاكَ قَوَاما.

وقال آخر، وهو محمد بن التلمسانى :

يا مُخْجِلًا بِقَوَامِه * أغْصانَ باناتِ اللَّوَى!
ما أنتَ عِنْدِى والقَضِيـ * ـبُ اللَّدْنُ فى حدٍّ سَوَى!
هذاكَ حَرَّكه الهَوا * ءُ وأنتَ حَرَّكْتَ الهَوَى!

وقال آخر :

يا غُصُنا راحَ الصِّبَا * يَثْنِيه، لا رِيحُ الصَّبَا!
ما إنْ بدَا للعَيْنِ إلا * ارتاحَ قَلْبِى وَصَبَا.
ولا انْثَنَى يَخْطُر إلا * ازْدادَ قلبى وَصَبا.

وقال آخر، وهو كُشَاجِم :

مُعْتدِلٌ من كُلِّ أعطافه، * مُسْتحسَنُ القامةِ والمُلْتَفَتْ.
لو قيستِ الدنيا ولذَّاتُها * بساعةٍ من وَصْله، ما وَفَتْ.
سُلِّطت الألحاظُ منه على * قلبِى، فلو أوْدَتْ به ما اشْتَفَتْ.
واستعذبَتْ رُوحى هَواه فلا * تَصْحُو ولا تَسْلُو، ولو أُتْلِفَتْ.

❖

ومما قيل في العِنَاق، فمن ذلك ما ورد على لفظ التذكير.

فمنه قول الحسين بن الضحاك:

ومُوَشَّح، نازعتُ فضلَ وِشَاحِه * وكسَوتُهُ من ساعِدَيَّ وِشَاحا.
باتَ الغيُور يشُقُّ جلدةَ خَدِّه * وأمالَ أعطافًا عليّ مِلَاحا.

وقال آخر:

بِتُّ وبدرُ الدُّجَى نديمي * وهو مُوَاتٍ بلا امْتِناعِ.
فقلتُ للحاسدِينَ لَمَّا * أشرقَتِ الشمسُ بالشُّعَاعِ:
القَلْبُ والطَّرْف مَنْزِلاهُ * وهْو إلى الآنَ في الذِّراعِ.

وقال ابن المعتز:

ما أقْصَرَ الليلَ على الراقِدِ! * وأهْوَنَ السُّقْمَ على العائِدِ!
يَفْدِيكَ ما أبقيتَ من مُهْجتي، * لستُ لِمَا أوْلَيتَ بالجاحِدِ.
كأنَّني عانَقْتُ رَيحانةً * تنفَّستْ في ليلِها البارِدِ.
فلو ترانَا في قَمِيصِ الدُّجَى، * حَسِبْتَنا في جَسَدٍ واحدِ.

وقال أبو هلال في نحو ذلك:

ونحنُ في نَظْمِ الهَوى واحِدٌ * كأنَّنا عِقْدانِ في نَحْرِ.

وقال ابن الصولي:

طالَ عُمْرُ الليلِ عِنْدي * إذ تَوَلَّعْتَ بصَدِّ.
يا ظَلُوما نقضَ العَهْـ * ـد ولم يُوفِ بعَهْدِ!

أنسيتَ الوصل إذ بِتْـنا على مَرْقَـدِ وَرْدِ.
واعتنقنا كوشاح * وانتظمنا نظمَ عِقْدِ.
وتعطّفنا كغُصنين، فقَدْنا كقَدِّ.

وقال ابن عبد كان الكاتب :

وكلانا مُرْتَدٍ صاحِبَه * كارتداء السَّيْف فى يَوْمِ الوَغَى.
بخُدودٍ شافياتٍ من جَوًى * وشِفاهٍ مُرْوِياتٍ من ظَمَا.
نَتَساقى الريقَ فيما بيننا: * زَقَّ أُمَّات القَطَا زُغْبَ القَطَا.

وقال على بن الجَهْم :

سَقَى اللهُ ليلا ضَمَّنا بعد فُرْقة، * وأدْنى فؤادًا من فُؤادٍ مُعذَّبِ!
فبِتْنا جميعًا : لو تُراق زُجاجةٌ * من الخمر فيما بيْنَنا، لم تَسَرَّبِ.

وقال الخُبْزَأَرُزِّىّ :

طوّقتُه طَوْقَ العِناقِ بساعِدى، * وجعلتُ كفّى للّثام وِشاحَا.
هـذا هو الفَوْزُ العظيمُ لخِلّنا، * مُتعانقَيْن فما نُرِيدُ بَرَاحا!

وقال صالح بن يونس :

لِى سيِّدٌ ما مثلُه سيِّدٌ، * تَصَدّتِ الحمّى له فاشتكى.
عانقتُـه عِنْـدَ مُوافاته، * والأُفْقُ بالليلِ قد احْلَوْلَكا.
لحـامتِ الحمّى كحاداتِها، * فلم تجِـدْ ما بيْنَنا مَسْلَكا!

وقال الحسين بن علىّ بن بِشْر الكاتب :

ضَمَمتُه ضَمَّ مُفْـرِط الضَّمِّ، * لا كأَبٍ مُشْـفِقٍ ولا أُمّ.
ولم نَزَلْ، والظلامُ حارِسُنا، * جسمَيْنِ مستودَعَيْنِ فى جسْم.

أَلْثُمُه فى الدُّجَى ، وبَرْقُ ثَنَا * يَاهُ يُرِينِى مواضِعَ اللَّثْمِ.
ثُمَّ افترقْنا عِنْد الصباحِ وقَدْ * أثَّرتِ فيه كهَيْئَةِ الخَتْمِ.

وقال أبو عبد الله الحامدىّ :

سَقَانِى وحَيَّانِى وباتَ مُعانِقِى ! * فياعَطْفَ مَعْشوقٍ على كُلِّ عاشِقِ!
ويا ليلةً، باتتْ سَواعِدُنا بها * تَدُورُ على الأعناقِ دَوْرَ المَخانِقِ!
نَبُثُّ من الشَّكْوى حديثاً كأنَّهُ * قلائدُ درٍّ فى نُحُورِ العَواتِقِ.

* * *

ومما ورد على لفظ التأنيث، فمن ذلك قول أبى إسحاق الصابى :

هَيفاءُ تَحْكِى قَضِيبا * قد جَمَّشَتْه الرِّياحُ.
تَفْتَرُّ عن سِمْطِ دُرٍّ * عليه مِسْكٌ وراحُ.
جَرَّدتُها واعتنَقْنا : * كُلٌّ لكُلٍّ وِشاحُ!
باتَتْ، وكُلُّ مَصُونٍ * لِى من حَماها مُباحُ.
فى ليلةٍ لم يَعِبْها * فى الدَّهْرِ إلا الصَّباحُ.

وقال أيضا :

أقولُ وقد جَرَّدتُها من ثيابِها * وعانَقْتُها كالبَدْرِ فى ليلة التَّمِّ:
لَئِن آلَمَتْ صَدْرِى بشِدَّة ضَمِّها، * لقد جَبَرَتْ قلبى وإنْ أوهنَتْ عَظْمِى!

وقال أبو الفضل الأصبهانىّ :

يالَيلةً قُرِنَتْ لنا * فيها المآرِبُ بالنَّجاحْ.
بِتْنا بِرَغْمِ وُشاتِنَا * متعانِقَيْنِ إلى الصَّباحْ.

متمازجين كأنّنا * رُوحانِ من ماء وراحْ.
ظنّ الوشاةُ لفَرْط ضَمّي أنّني بعضُ الوشاحْ!

* * *

ومما قيل فى وصف مَشْيِ النساء، يقال :

تَهالَكتِ المرأةُ، إذا انفتلَتْ فى مِشْيتها .

تأوّدتْ ، إذا اختالتْ فى تَثنٍّ وتكسُّر .

بَدَحتْ وتبدّحتْ ، إذا أحسنت مِشْيتها .

تَهزّعتْ تهزُّعا ، إذا اضطربت فى مِشْيتها .

قَرْصَعَتْ قَرْصعةً ، وهى المِشْية القبيحة ؛ وكذلك مَنَعتْ مَنْعا .

وقال الأعشى :

غَرّاءُ، فَرْعاءُ، مَصْقُولٌ عوارِضُها * تمشى الهُوَيْنَى كما يمشى الوجِى الوَجِلُ
كأنّ مِشْيَتَها من بيت جارَتِها * مَرُّ السحابةِ : لا ريث ولا عَجَلُ.

وقال آخر :

يَمشِين مَشْىَ قَطا البِطاحِ تأوُّدًا، * قب البطونِ، رواجِحِ الأكفالِ.

وقال ابن عائشة من أبيات :

فكأنّهنّ إذا أردْنَ خُطًا * يَقْلَعْنَ أرجُلَهنّ من وَحَلِ

وقال أبو الفتح كُشاجم :

وتهتَزّ فى مَشْيها مِثْلَ مالٍ * تَهُزُّ الصَّبا غُصنًا ناعما.
وتأمُر بالأمْرِ فيه الذى * كَرِهتُ فأرضَى به راغما.

وقال آخر :

شبَّهتُ مِشْيتَها بمِشْيةِ ظافرٍ * يختالُ بينَ أسِنَّةٍ وسُيوفِ.

صَلِيفٍ تباهَتْ نفسُه في نَفْسِه، * لما أنثنَى بسِنَانِه المَرْعُوفِ.

وقال آخر :

تمشي الهُوينَى إذا مَشَتْ فُضُلا * مَشْيَ النَّزِيفِ المخمُورِ في صَعَد.

تظَلُّ من زَوْرِ بَيْتِ جارتِها * واضعةً كفَّها على الكَبِد.

وقال المُنَخَّل اليَشْكُرِيّ :

ولقد دَخَلْتُ على الفَتَا * ةِ الخِدْرَ في اليَوْمِ المَطِيرْ.

فدفَعْتُها فتدافعَتْ * مَشْيَ القَطَاة إلى الغَدِيرْ.

ولَمِنْتُها فتنفَّسَتْ * كتنفُّسِ الظَّبْيِ البَهِيرْ.

وقال عمر بن أبي ربيعة :

أبصَرْتُها ليلةً ، ونِسْوتُها * يمشِينَ بينَ المقامِ والحَجَرِ.

يُرفَلْنَ في الرَّيْطِ والمُرُوطِ كما * تَمْشي الهُوينَى سواكنُ البقَرِ.

وقال ابن مُقْبل :

يَهْزِزْنَ للمشْيِ أوصالًا منعَّمةً * هَزَّ الجَنُوبِ صُحَى عَيْدانَ يَبْرِينا(١).

أو كاهْتِزازِ رُدَيْنِيٍّ تداوَلَهُ * أيْدِي التُّجَّارِ فزادُوا مَتْنَه لِينا.

يَمْشِينَ هَيْلَ النَّقَا مالتْ جوانِبُه * يَنْهالُ حِينًا وينهالُ الثَّرَى حِينا.

(١) العيدان : النخل الطوال واحدته بهاء، ويبرين : اسم قرية كثيرة النخل والعيون العذبة بحذاء الأحساء.

وقال أشجعُ السلميّ :

وماجَتْ كموجِ الماء بينَ ثيابِها * يَميلُ بها شَطْرٌ ويَعدِلُها شَطْرُ.

إذا وصَفَتْ مافوقَ مَجْرى وِشاحِها * غلائلُها رَدَّتْ شهادتَها الأُزْرُ.

(٣٨) وقال العباس بن الأحنف :

شمسٌ مقـــدّرةٌ فى خَلْق جاريةٍ * كأنما كَشْحُها طَيُّ الطَّوامِيرِ.

كأنها حينَ تمشي فى وَصائِفها * تَخْطُوعلى البَيْضِ أوخُضْرِ القَوارِيرِ!

انتهى الغرض فى وصف الأعضاء، وما شاكلها واتصل بها .

فلنذكُرْ إن شاء الله تعالى ما جاء فيما قدّمناه من الأمثال .

فأما ما جاء منها فى الإنسان، يقال :

شديدٌ على الإنسان مالم يَعوَّد .

وما عُلِّم الإنسانُ إلا ليَعْلما .

الناس من جهة التمثيلِ أكْفَاء .

الناس أخيافٌ وشَتَّى فى الشِّيَم .

الناس بزَمانهم اشبهُ منهم بآبائِهم .

وما الناس إلا هالكٌ وابنُ هالك .

والناسُ أولادُ عَلّاتٍ فمن عَلِمُوا * أن قد أقَـلَّ فمهْجُورٌ ومحقُورُ.

وقال آخر :

الناسُ أكيسُ من أن يحسُدُوا رجُلا * حتَّى يَرَوْا عنـــده آثار إحْسَـان.

ويقال :

المرءُ أعلم بشأنه .

المرءُ مَعَ من أحَبّ .

دَعِ امرأً وما اختار .

كُلُّ امْرِئٍ فى شأنِه ساع .

كُلُّ امْرِئٍ مُصبَّحٌ فى أهله .

كُلُّ امْرِئٍ من شَجْوِ صاحِبِه خلْو .

المرء يَعْجَزُ لا مَحالة .

المرء تَوّاقٌ إلى ما لَمْ يَنَلْ .

المرء يجمعُ ، والزمانُ يفَرِّقُ .

ويقال :

الرِّجالُ بالأموال .

تُقَطِّعُ أعناقَ الرجال المطامعُ .

ولكلِّ دهرٍ دولةٌ ورجالٌ .

* * *

ومما يتمثل به فى ذكر النفس ، يقال :

النفسُ مُولعَةٌ بحُبِّ العاجِلِ .

النفس أعلَمُ مَنْ أخُوك النافِعُ .

أكْذِبِ النفسَ إذا حدّثتَها .

ماعاتبَ الرجلَ اللبيبَ كنَفْسِه .

الجُودُ بالنفس أقصى غايةِ الجُود .

نَفْسُ عِصامٍ سَوَّدتْ عصَاما .

* * *

ومما يتمثل به من أعضاء الإنسان الظاهرة والباطنة

ما قيل فى الرأس والشعر

مَنْ نَجَا برأسِه فقد رَبِحَ .

رماه بأُخْاف رأسِه . أى بالدواهى .

اختلفَتْ رُءوسها فرتَعَتْ .

كلُّ رأسٍ به صُدَاع .

ويقال :

ادقُّ من الشَّعر .

اهْوَنُ من الشَّعر الساقط .

ما يتمثل به من ذكر الوجه

وجهٌ مُحَرَّش أقبَحُ . أى وجه مبلَّغ القبيح أقبح من وجه قائله .

فى وَجْه مالكٍ تُعْرَف إمرتُه .

قَبْل البُكاء كان وجْهُك عابسا .

قال أبو تمام :

وما أُبالِى ، وخيرُ القولِ أصدَقُه ، * حَقَنْتَ لى ماءَ وجهى أم حقَنْتَ دَمِى .

وقال ابن الرومىّ :

وقَلَّ مَنْ ضَمِنتْ خَيْرًا سَجِيَّتُه * إلا وفى وَجْهِهِ للخَيْرِ عُنْوانُ.

له مُحَيًّا جميلٌ يُستَدَلُّ به * على جميلٍ، وللبُطْنان ظُهْرانُ.

وقال آخر :

صَلَابةُ الوجْه صَلَاحُ الفتَى * ورِقّة الوَجْه من الخُرْقة.

ما يتمثل به من ذكر العين، يقال :

أسرَعُ من طَرْف العَيْنِ .

أسرَعُ من لَمْح البَصَر .

العَيْنُ تَرْجُمانُ القلب .

شاهِدُ البُغْض اللحظُ .

رُبَّ عَيْنٍ أنَمُّ من لسان .

ليس لمَا قَرّتْ به العينُ ثَمَن .

نظرةٌ من ذِى عَلَق .

عينٌ عَرَفَتْ فذَرَفَتْ .

لحظةٌ أصدقُ من لفظه .

ليس لعينٍ ما رأتْ، ولكنْ لِكفٍّ ما أخذَتْ .

لا تطلُبْ أثرًا بعد عَيْنٍ .

من أطاع طَرْفَه، أصاب حَتْفَه .

وأىُّ عارٍ على عينٍ بلا حَوَر .

والدمعُ قد يُعْلِنُ ما فى الصُّدُور .

ومن الأبيات :

وعينُ الرِّضا عن كلِّ عيبٍ كَلِيلةٌ ؛ * ولكنَّ عين السُّخْط تُبْدِى المَسَاوِيا.

وقال الأمير أبو الفضل الميكالىّ :

كَمْ والدٍ يَحْـرِمُ أولادَه * وخَيْرُه يَحْظى به الابعَـدُ.

كالعين لاتنظُر ماحَوْلَها، * ولَحْظُها يُدْرِك مايَبْعُـدُ.

ما يتمثل به من ذكر الأنف

أَنْفُك مِنْك وإن كان أجْدَعَ . يضرب فى القريب السَّوْء .

شَفَيْتُ نَفْسِى وجَدَعْتُ أنفى .

لأمرٍ مَّا جُدِعَ قَصِيرٌ أنفُه .

كُلُّ شىءٍ أخطأ الأنْفَ جَلَل .

لُدِغتُ حيثُ لايَضَعُ الراقى أنْفَه . يضرب للأمر الذى لادواء له .

رُبَّ حارمٍ لأنفه وهوجادِعُه . يضرب لمن أنِفَ من الشىء فتوقعه الأنَفَةُ فى أشدَّ منه .

مات حتْفَ أنفه .

جَدَع الحلالُ أنْفَ الغيرَةِ . قاله رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

أَنْفٌ فى السَّماء، وأسْتٌ فى المـاء !

ما يتمثل به من ذكر الفم ، واللسان ، والأسنان

كل جانٍ يدُه إلى فِيه .

حدّثنى، فاهُ إلى فِىّ .

فلان خفيفُ الشَّفَة . أى قليل المسألة .

سكتَ ألْفا، ونَطَق خَلْفا .

قَرَع سِنّ النادِم .

كَدَمْتَ فى غير مَكْدَمٍ . أى طلبت غير مَطْلَب .

وجُرْح الدهرِ ما جَرَح لِسانْ .

وجُرْح اللسان كجُرْح اليد .

ما يتمثل به من ذكر الأُذُن

جاء فلانٌ ناشرًا أُذُنَيْـه .

لَبِستُ على ذلك أُذُنَ .

أساء سَمْعا فأساء إجابَةً .

كلامُه يدخُل فى الأُذُن بلا إذْن .

جعلْتُ ذلك دَبْرَ أُذُنِى .

ما يتمثل به من ذكر العُنُق

حَسْبُك من القِلادة ما أحاط بالعُنُق .

أذَلُّ الحرصُ أعنـاقَ الرجال .

وقال أبو الفتح البستىّ : (٣٩)

فكَمْ دَقَّتْ وشَقَّتْ واسترقّتْ ٭ فُضُولُ العيش أعناقَ الرِّجالِ .

ما يتمثل به من ذكر اليد

أهْدى من اليدِ إلى الفَم .

ألزمُ من اليمينِ للشِّمال .

يَدَاكَ أَوْكَتَا ، وفُوكَ نَفَخ .

اليَدُ العُلْيا خيرٌ من اليد السُّفْلَى .

آثَرُ لَدَيْه من يمين يَدَيْه .

ذَهَبُوا أَيْدِى سَبَا . أى متفرّقين .

بالساعِدِ تَبْطِشُ الكفُّ .

على يَدِى دارَ الحديثُ . إذا كان خيرا بالأمر .

هو على حَبْلِ ذراعِه . أى موافق له .

تَرِبَتْ يَدَاه . دعاء عليه بالفقر .

ما تَبُلُّ إحْدى يديْهِ الأُخْرى . البخيل .

تَرَكَه على أَنْقَى من الراحة .

فلان يُقَلِّب كَفَّيه .

سُقِط فى يَدَيْه . للنادم .

أَعْطاهُ عن ظَهْرِ يدٍ . أى ابتداءه لا عن مُكافَأة .

ماسَدَّ فَقْرَك مثلُ ذاتِ يَدِك .

إن الذَّلِيلَ الذى ليستْ له عَضُدُ .

يَدٌ تَشِحُّ ، وأخرى منك تأسُونِى .

على اليَدِ ردُّ ما أخذَتْ .

وما الكَفُّ إلا إصْبَعٌ ثم إصْبَع .

ومن الأبيات :

قد تَطْرِفُ الكَفُّ عينَ صاحِبِها، * ولا يَرَى قَطْعَها من الرَّشَدِ.

وقال آخر :

فلَوْ أنَّها إحْدَى يَدَيَّ رُزِئْتُها، * ولكنَّ يَدِى بانَتْ على إثْرِها يَدُ.

وقال أبو تمام : ٥

وهل يَسْتعيضُ المرءُ من خَمْسِ كَفِّه، * ولو صاغَ من حُرِّ الجُفُونِ بَنانَها؟

ما يتمثل به من ذكر الصدر والقلب

صَدْرُك أوسع لسرِّك .

صُدُور الاحرار، قُبورُ الاسْرار .

لا بدّ للصَّدُور من أن يَنْفُثَ . ١٠

أَلْزَمُ له من شعَرَات صَدْره .

ماجَعَل اللهُ لرجُلٍ من قَلْبَيْنِ فى جَوْفه .

القَلْب طَلِيعةٌ .

القلوبُ تتقلَّب .

قال بعض الشعراء : ١٥

مَتَى تجمعِ القلْبَ الذَّكِيَّ وصارماً * وأنْفاً حمِيًّا، تجتَنِبْكَ المَظَالِمُ.

وقال آخر :

إنَّ التباعُدَ لا يضُرُّ إذا تقارَبتِ القُلُوبْ.

ما يتمثل به من ذكر الظهر والبَطْن والجَنْب

اِستظْهِر على الدهر بخِفَّة الظَّهْر .

قَلَب الأمْرَ ظهرًا لبَطْنٍ .

لا تجعل حاجتي بظَهْرٍ . أى لا تُلقها وراء ظهرك .

اِنقَطَع السَّلى فى البَطْن . لتناهى الشِّدّة .

نَزَتْ به البِطْنة . لمن لا يحتمل النِّعمة .

لكُلِّ جَنْبٍ مَصْرَعٌ .

لجَنْبه فلْتكُن الوَجْبَة ، فى الدعاء عليه .

دمِّثْ لجَنْبِك قبلَ النَّوم مُضْطَجَعا .

ما يتمثل به من ذكر الكبد والدّم والعروق

يا بَرْدَها على الكَبِد !

فلانٌ بين الحِلْب والكَبِد .

ما ينفَعُ الكَبِدَ يَضُرّ الطِّحَال .

ويقال :

جَرَى منه مَجْرى الدم فى العرُوق .

هو أعَزُّ من دَمِ الفُؤاد .

سِرْك منْ دَمِك .

لا تَكايِلَ بالدّم .

لا يَحْزُنك دمٌ هَراقَهُ أهْـلُه . فجانى على نفسه .

فلانٌ لا يشرَبُ الماء إلا بدَمٍ .

العِرْق نَزَّاع .

ألَا إنَّ عِرْقَ السُّوء لا بُدَّ مُدْرِكُ !

ما يتمثل به من ذكر الساق والقدم، يقال :

الْتفَّتِ الساقُ بالساق . في الشدة .

كشفَتِ الحربُ عن ساقها، وكَشرتْ عن نابها .

قَدَحَ في ساقه، إذا عمل في شيء يكرهه .

لا يُرسِلُ الساقَ إلا مُمْسكًا ساقا .

قد شَمَّرتْ عن ساقِها، فشمِّري ! في الحثِّ على الجِدّ .

ويقال :

له قَدَم في الخير . أي سابقةٌ .

إنك لا تَسْعَى برِجْلَىْ مَنْ أتَى .

وقال الشاعر :

إنَّ قُريشًا — وهي من خَيْرِ الأُمَمْ — * لا يَضَعُونَ قَدَمًا على قَدَمْ.

من ضُرِب به المثلُ من الرجال على لفظ أفعل للتفضيل

يقولون :

أنْخَى من حاتِم .

أجودُ من كَعْب بنِ مامَةَ .

أجودُ من هَرِم . قال الميدانى : هو هَرِم بنُ سِنانِ بن أبى حارثة .

وفيه يقول زُهَيْر بن أبى سُلمى :

إن البخيلَ مَلُومٌ حيثُ كانَ ولـ*ـكنَّ الجوادَ على عِلّاته هَرِمُ .

أقْرى من مَطاعِيم الرِّيح . ومطاعيم الريح أربعة : منهم أبو مِحْجَن الثقفىّ .

وكان ليدُ بن ربيعة العامرىّ يُطْعِم إذا هَبَّت الصَّبا .

أشجَعُ من ربيعة بن مُكَدَّم .

أعزُّ من كُلَيْب بن وائل .

أعزُّ من مَرْوان القَرَظ .

أسْودُ من قَيْس بن عاصم .

أحْلَمُ من الاحنف بن قيس .

أزْكَنُ من إياس بن معاوية .

أفتكُ من البَرّاض بن قيس النمرىّ ، خليع بنى كِنانَة . فتك بعُرْوة الرحّال ، والمُسَاور بن مالك الغَطَفانىّ ، وأسد بن خيثم الغنوىّ بسبب لَطِيمة النعمان . وبسبب ذلك كانت أيام الفجار الأخر ؛ وسنذكرها فى وقائع العرب إن شاء الله تعالى .

أوْفَى من الحارث بن عُبَاد . وخبره مشهور مع مهلهل أخى كُلَيب لما أمنه يوم تَحالق القِمم

أوْفَى من عَوْف بن مُحَلِّم .

أوْفَى من هانِئ بنِ قَبِيصة . وخبره مشهور فى أدرع النعمان ؛ وبسببها كانت وقعة ذى قار .

أوفَى من السَّمَوْءل بن عادياء .

أجملُ من ذِى العِمامة . وهو سعيدُ بنُ العاص بن أمية ، ويكنَى أبا أُحَيْحَة ؛ وهو المقول فيه :

أبُو أُحَيحةَ مَنْ يَعُمَّ بعَمِّه * يُضْرَبْ ولو كان ذا مالٍ وذا وَلَدِ .

أمضَى من سُلَيْك المَقانِب .

أغلَى فِداءً من حاجب بنِ زُرارة ؛ ومن بِسْطام بنِ قَيْس ؛ ومن الأشعث . أسَرَته مَذْحِج فقدى نفسَه بثلاثة آلاف بعير .

أعْدَى من الشَّنْفَرَى ؛ ومن السُّلَيْك بن السُّلَكة .

أبْطَأُ من فنْد . وهو مولًى لعائشة بنت طلحة ؛ وقال أبو هلال العسكرى : عائشة بنت سعد بن أبى وَقَّاص ، بعثت به مولاته ليقتبس نارا ، فأتى مصر ، فأقام بها سنة ، ثم جاء يشتد ومعه نارٌ ، فتبددت فقال : تَمَسَّتِ العجلةُ !

أنْوَمُ من عبُّود . كان عبود عبدًا أسودَ ، وكان الله عز وجل قد بعث نبيا الى قومه . قال الميدانى : إن النبىّ هو خالدُ بن صفوانَ ، نبىُّ أهل الرَّسّ . فلم يؤمن به أحد منهم إلا ذلك العبدُ الأسودُ ، وإن قومه احتفروا له بئرا فصيروه فيها وأطبقوا عليه صخرةً . فكان ذلك الأسود يخرج من القرية فيحتطب ، ويبيع الحطب فيشترى به طعاما وشرابا ، ثم يأتى به إليه فيُعينُه الله تعالى على الصخرة فيرفعها ويدلى إليه الطعامَ والشرابَ . فاحتطب يوما وجلس فنام على شقِّه الأيسر سبع سنين . ثم هبَّ من نومه فانقلب على شقِّه الأيمن ، فنام سبع سنين ، وهو يظن أنه نام ساعة من نهار . ثم احتمل حُزْمته وأتى القريةَ ، فباع الحطب وجاء الى الحفرة فلم يجد النبىّ وكان قد بدا للقوم فأخرجوه . فكان يسأل عن الأسود ، فيقولون : لا نَدْرى . فضُرب به المثل لمن ينامُ نوما طويلا . وقيل فيه غير ذلك . وذكره الميدانى فى أمثاله ولم يذكر السبعة الثانية ، وإنما ذكرها صاحب كتاب الفاخر (١) .

أنْعَمُ من خُرَيم الناعم . هو رجل من ولد سنان بن أبى حارثة ، كان فى زمن الحجاج .

أبْلَغُ من سَحْبانِ وائلٍ . ويقال أخطَبُ من سَحْبان ؛ وهو الذى يقول :

لَقَدْ عَلِمَ الحَىُّ اليَمَانُونَ أنّنى * إذا قلتُ : أمّا بعدُ ، أنّى خَطيبُها .

أخطَبُ من قُسٍّ . هو قُسُّ بن ساعدة بن حُذَافة بن زُهَير بن إياد بن نزار . وكان من حكماء العرب وهو أول من كتب من فلان الى فلان ؛ وأول من أقرّ بالبَعْث من غير علم ؛ وأول من قال : "البيِّنةُ على من ادَّعى ، واليمين على مَنْ أنكر" . وقيل : إنه عُمِّر مائةً وثمانينَ سنةً .

(١) هو كتاب "الفاخر" وتوجد منه نسخة بدار الكتب المصرية .

روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : وفَدَ وفْد بكر بن وائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فلما فرغ من حوائجهم قال : أفيكُمْ مَنْ يعرفُ قُسَّ بنَ ساعدة الإيادىّ ؟ فقالوا : كلنا نعرفه ! قال : مافعل ؟ قالوا : هَلَك ! فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : كأنّى به على جمل أحمر بعُكاظ قائما ، يقول : « أيها الناسُ اجتمعوا واسمعوا وعُوا ! كلُّ مَنْ عاش ماتَ ، وكلُّ مَنْ مات فاتَ ، وكل ما هو آت آت ! إنّ فى السماء لخبرا ، وإن فى الأرض لَعِبَرا : مهادٌ موضوع ، وسَقْف مرفوع ، وبحارٌ تَموج ، وتجارةٌ لن تَبُور وليلٌ داج ، وسماءٌ ذاتُ أبراج ! أقسَم قُسٌّ حقّا : إن كان فى الأرض رضا ليكوننَّ بعده سخط ! وإن لله عز وجل دينا هو أحبُّ إليه من دينكم الذى أنتم عليه ! مالى أرى الناس يذهبونَ فلا يرجِعُون ؟ أرَضُوا فأقاموا ؟ أم تُرِكوا فناموا ! » ثم أنشد أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه شعرا حفظه له ، وهو :

فى الذاهبينَ الأوّلـــين من القُرون لنا بَصائرْ .
لَمّا رأيتُ مَـــواردًا * للموت ليس لها مَصادرْ .
ورأيتُ قَـــوْمِى نَحْوَها * تسعى : الأصاغرُ والأكابرْ .
لا يَرْجِـعُ الماضى إلَىّ * ولا من الباقين غابرْ .
أيقنتُ أنّى لامَحَـــا * لةَ حيثُ صار القومُ صائرْ !

ويقال : أغْيا من باقِلٍ . وهو رجل من ربيعة ابتاع ظَبْيا وحْشيا بأحدَ عشرَ درهما ، وجعل بقية الدراهم فى فيه . فسُئل عن ثمنه ، ففعل بيديه تُجاه السائل (أى فتح أصابعه وفغر فاه وأدلى لسانه يشير بذلك إلى ثمنه) . فحصل من ذلك انفلات الظبى ، وسقوطُ الدراهم ، والإساءة على السائل . فضُرب به المثل .

(٤١)

أبَرُّ من العَمَلَّس . كان بَرًّا بأمه فكان يحملها على عاتقه .

أبَرُّ من فَلْحَس . وهو رجل من شيبان . حمل أباه على ظهره وحجّ به .

وفيه أيضا يقال :

أسْأَلُ من فَلْحَس كان سيدا عزيزا ، يَسْأَلُ سهما فى الجيش وهو فى بيته فيُعطى لعزه ؛ فإذا أُعطِى سأل لامرأته ؛ فإذا أُعطِى سأل لبعيره ، وكان له ولد يقال له زاهر ، فكان مثله ، فقيل فيه : "العَصَا من العُصَيَّة" .

ويقال :

أخيبُ صفقةً من شيخ مَهْو . وهو حىّ من عبد القيس اشتروا القَسْوَ من إياد وكانوا يُعرَفون به ، فعرفت به عبدالقيس . قال الميدانى : هذا الشيخ اسمه عبدالله بن بيدرة ، اشترى القَسْوَ من إياد بِبُرْدَىْ حِبَرَةٍ ، وقال لقومه : اشتريتُ لكم عار الدهر ، فقالت عبد القيس فى ذلك :

إن القُسَاةَ قبلنا إيادُ * ونحن لا نَقْسُو ولا نَكَادُ .

وفيهم يقول شاعر :

يامَنْ رأى كصَفْقَةِ ابن بيدَرَهْ * من صَفْقةٍ خاسرة مُخْسَرَهْ ؟
المُشْتَرِى العارَ ببُرْدَىْ حِبَرَهْ ! * شَأْتَ يمينٌ صافِقٍ بها أخْسَرَهْ !

أخسرُ صَفْقةً من أبى غَبْشَانَ . فإنه باع مفاتيح الكعبة من قُصَىّ بزِقّ خمر .

أضَلُّ من سِنَانٍ . وهو ابن أبى حارثة المرّى ؛ وكان قومه عفوه على الجود ، فركب ناقة له ورمى بها العلاة ، فلم يُرَ بعد ذلك . وسمته العرب ضالّة غَطَفان ؛ وقالوا : إن الجانّ استهلته تطلُّبَ كرم نجله .

أبطَشُ من دَوْسَر . وهى كتيبة النعمان .

أهدى من قَيْس بن زُهَير .

أفرغُ من حَجّامِ ساباطَ . يقال إنه كان إذا أعوزه من يَحْجُمُه حجم أمّه . فلم يزل يحجُمُها حتى تَزَف دَمُها ، فماتت .

أندَمُ من الكُسَعِىّ . واسمه مُحارب بن قيس ؛ وقيل غامد بن الحارث . وكان أرمى الناس ، لا يخطئ له سهم ، فخرج ومعه قوس وخمس سهام فرمى صيدا فى الليل فأصاب سهمُه ونفَذ ، فوقع فى الحَجَر فقدح نارا . ثم رمى كذلك حتى استنفد السِّهامَ . وهو يظن أنه أخطأ فى الجميع فكسر قوسه ، وخلع إبهامه . فلما أصبح رأى رميَّته ، فندم على فعله .

أمنعُ من الحارثِ بنِ ظالم . وسيأتى خبره فى وقائع العرب

أبخَلُ من مَادِر . وسيأتى خبره فى باب الهجاء .

أكذبُ من مُسَيْلِمَة الحَنَفِيّ، (وخبره مشهور فى دعواه النبوّة) ومن المُهَلَّب، (وكان يكذب لأصحابه فى حرب الأزارقة، يَعِدُهم بالنَّجْدَة والإمداد).

أحمقُ من راعِي ضأنٍ ثمانينَ، (وذلك أن أعرابيا بَشَّر كِسرى ببشارة سُرَّ بها، فقال له كسرى: سلنى ماشئتَ! فقال: أسألك ضأنا ثمانين)؛ ومن هَبَنَّقَة، وهو ذو الرُّدَيْنات، واسمه يزيد بن ثَرْوان أحد بنى قيس بن ثعلبة؛ وبلغ من حُمْقه أنه ضلّ له بعير، فنادى مَنْ وجد بعيرى فهو له، فقيل له: فلِمَ تُنْشِدُه؟ قال: فأين حلاوة الوِجْدان. وفيه يقول الشاعر:

عِش بِجَدّ ولا تَكُنْ هَبَنَّقَ القَيْـ ـسِيَّ نَوْكًا أو شِيبَةَ بنَ الوليدِ.
رُبَّ ذى إِرْبَةٍ مُقِلٍّ من المالِ * لَ وذى عُنْجُهِيَّةٍ مَجْـدودِ.

العنجهية الجهل

أحمقُ من رُبَيْعَةَ البَكَّاء. هو رُبَيْعَةُ بن عامر بن رُبَيْعَةَ بن عامر بن صَعْصَعَة. ومن حُمْقه أن أمّه تزوّجَتْ بعد أبيه، فدخل عليها الحِبَاءَ، وكان قد ألحّ فوجد زوجها يباضِعُها، فتوهّم أنه يريد قتلها، فبكى وهَتَكَ الحِباء، فاجتمع الناس وسألوه عن شأنه، فأخبرهم أنه وجده على بطنها يريد قتلها، فقالوا: "أهون مقتول" فصار مثلا.

أَتْيَهُ من أحمقِ تَحِيف. وهو يوسف بن عمرو.

ألَصُّ من شِظَاظٍ. وهو رجل من بنى ضَبَّة.

أزنى من قِرْد. وهو قِرْد بن معاوية بن هُذَيل.

أمطَلُ من عُرْقوب.

وقال كعب بن زهير:

كانتْ مَواعِيدُ عُرْقوبٍ لها مَثَلًا * وما مَوَاعِيدُها إلا الأباطِيلُ.

أشأمُ من خَوْتَعَةَ. وهو رجل من بنى فُقَيْمَة بن قاسط أخى النمر بن قاسط.

أشأمُ من قُدَار (وهو عاقر الناقة)؛ ومن أحمر ثمودَ (وهو عاقرها أيضا).

أشأم من طُوَيْس . وهو مخنث ، كان يقول إنه ولد يوم مات النبيّ صلى الله عليه وسلم ؛ وفُطِم يوم مات أبو بكر ؛ وبلغ يوم قتل عُمَر ؛ وتزوّج يوم قتل عثمان ؛ وولد له يوم قتل عليّ .

أمكرُ من قيس بن زُهَير .

وأمّا من ضرب بها المثل من النساء

يقال . أنجَبُ من مارِيَةَ . ولدت لزُرارة : حاجبا ، ولَقيطا ، وعَقْمة .

أنجَبُ من بنت[1] الحارث . ولدَتْ لزِيَاد العبسيّ بَنِيه الكَمَلَة ، وهم : ربيعة الكامل ، وعمارة الوهاب ، وقيسٌ الحافظ ، وأُنَسُ الفَوارس . (٩٣)

أنجبُ من أُمّ[2] البنين . ولدت لمالك بن جعفر بن كلاب ، مُلاعِبَ الأسنة عامرا ، فارسا .

أنجبُ من عاتِكَةَ : ولدت لعبد مناف هاشما ، وعبدَ شمس ، والمطّلب .

أسرَعُ من نِكاح أُمّ خارجةَ . وهي عُمَيرة بنتُ سعد بن عبدالله بن قُدار بن ثعلبة بن معاوية بن زيد ابن الغوث بن أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث بن نَبْت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجُب ابن يعرُب بن قحطان . ولدت فى نَيِّف وعشرين حَيًّا من العرب . كان الرجل يقول لها : خِطْبٌ ! فتقول : نِكْحٌ !

قال أبو الفرج الأصبهانى : فمن ولدت ، الدِّيلُ ، وليث ، والحارث بنو بكر بن عبد مناف بن كِنانة ؛ وغاضرةُ بن مالك بن ثعلبة بنُ دودان بن أسد بن خُزَيمة ؛ والعنبرُ ، وأسيد ، والمُجَيم بنو عمرو بن تميم ؛ وخارجةُ ابن بِشْكر (وبه كانت تكنّى) ؛ وسعد بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن مُزَيقيا (وهو أبو المُصْطَلِق) .

---

(١) صوابه الخرشب وهى فاطمة بنت الخرشب الأنمارية أُنظر "مجمع الأمثال" و "تاج العروس" .

(٢) هم كما فى "أمثال الميدانى" أبو براء ، وملاعب الأسنة عامر ، وطفيل فارس المزدلف وربيعة ، ومعاوية ، وأم البنين هى أبنة عمرو بن عامر فارس الضحياء ، وبذلك تعلم ما فى الأصول من السقط .

قال : وزعموا أن بعض أزواجها طلّقها فرحل بها ابن لها عن حيه إلى حيها فلقيها راكب ، فلما تبينته ، قالت لابنها : هذا خاطب لى لاشكّ فيه ، أفتراه يعجلنى أن أنزل عن بعيرى ، بفعل ابنها يسيّها .

أحمقُ من المَهْورة إحدى خَدَمَتَيْها . وذلك أن زوجها طلقها ، فطالبته بمَهْرها ، فأخذ أحد خَلْخَالَيها من رجلها وأعطاها إياه ، فرضيت به .

أحمقُ من دُغَةَ . هى ماريةُ بنت مِنْعج(١) بن ربيعة بن مجعل ، وقيل بنت منعج ؛ تزوّجت وهى صغيرة فى بنى العَنْبر بن تميم ، فحملت . فلما أدركها المخاض ، ظنّت أنها تريد الخلاء ، فبرزت فولدت فاستهلّ المولودُ . فانصرفت وهى تقـدّر أنها إنما أحدثت . فقالت لضَرَّتها ياهَنَتاه ، هل يفغر الجَعْرفاه ؟ قالت : نعم ، ويدعو أباه ! فضت ضَرَّتُها المولد فأخذته ، فبنو العنبر تسمّى بنى الجَعْراء .

أبْصَرُ من زَرْقاءِ اليمامة . وهى امرأة من طَسْم ، كانت تُبصر الراكبَ على مسيرة ثلاث ليال . وسيأتى إن شاء الله تعالى خبرُها فى وقعة طَسْم وجَديس .

أزنى من هِرٍّ . وهى امرأة يهودية ؛ وهى التى قطع المهاجرُ يدَها فيمن قطع من النساء حين شَمِتْن بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أشبَقُ من حُبَّى المَدَنيَّة .

أشأم من البَسُوس . وهى جارةُ جَسّاس بن مُرّة ، صاحبةُ الناقة التى قتل بسببها كُلَيب ، وثارت الحرب بين بكر وتغلب أربعين سنة .

ويقـال :

أمنعُ من أمِّ قِرفَةَ ، وهى امرأة مالك بن حُذَيفة بن بدر الفزارى . كان يُعلّق فى بيتها سبعون سيفا ، كلُّ سيف لذى مَحْرَم منها . فضُرب بها المثل . والله سبحانه وتعالى أعلم .

---

(١) فى الأصل "معج" وفى اللسان والقاموس وشرحه "مَفْنج" وفى بعض النسخ "مِنْعج" قال المفضل بن سلمة : من أعجم العين فتح الميم ومن أهملها كسر الميم . قاله البكرى فى شرح أمالى القالى .

الباب الثالث

من القسم الأول من الفن الثانى

(فى الغَزَل ، والنَّسيب ، والهوى ، والمحبة ، والعِشْق)

ولْنبدأْ بذكر الهوى ، لأنه السبب الباعث على الغَزَل . وذلك أنه إذا حلَّ فى الأجسام ارتاحت النفوس ، ورقَّت القلوب ، وانجذبت الخواطر ، وصَفَت الأذهان ، وسَهُل على القرائح فأبرزته الألسُن . والله سبحانه وتعالى أعلم وأحكم . (٤٣)

ذكر شىء مما قيل فى الهوى ، والمحبة ، والعشق ، وما قيل فى ماهية العشق ، وحقيقته وسببه ، وما قيل فى مدحه ، وذمّه ، والممدوح منه ، والمذموم ، وضرر العشق فى الدنيا ، والآفات التى تجرى على العاشق : من المرض ، والجنون ، والضَّنا ، والمخاطرات بالنفوس ، وإلقائها إلى الهلاك .

ثم نذكر أخبارَ ... ... ومن أخرجه عن دينه حتَّى كفر بربه ، ومن قَتل ، وقُتِل فيه ، ومن قتل نفسه .

ثم نذكر ماورد فى التحذير من فتنة النساء ، وذمِّ الزنا ، والنظر إلى المُرْدان ، والتحذير من اللِّواط ، وعقوبة اللائط ، وغير ذلك من أمر العشق ، على ما سنشرحه إن شاء الله تعالى فنقول ، وبالله التوفيق .

أمَّا ماهية العشق وحقيقته ، فقد تكلم عليه أوائل الحكماء والفلاسفة وغيرهم من المسلمين ، على ما نشرحه إن شاء الله تعالى .

فأما كلام الحكماء والفلاسفة

فقال أفلاطون : العِشْق، حركة النفس الفارغة بغير فكرة .

وسئل ديوجانس عن العشق ، فقال : سوء اختيارٍ صادف نفسا فارغة .

وقال أرسطاطاليس : العشق، هو عمى الحِسّ عن إدراك عيوب المحبوب .

وقال فيثاغورس : العشق ، طبع يتولد فى القلب ويتحرّك وينمى ثم يتربّى ، ويجتمع إليه موادّ من الحرص ، وكلما قوىَ ازداد صاحبه فى الاهتياج والهَجاج ، والتمادى فى الطمع ، والفكر فى الأمانىّ ، والحرص على الطلب ، حتى يؤدّيه ذلك إلى الغم المقلق .

وإلى هذا المعنى أشار المتنبى بقوله :

وما العِشْقُ إلا غِرّةٌ وطَاعةٌ * يعرِّض قلبٌ نفسَه فيُصابُ .

وقال بعض الفلاسفة : لم أر حقًّا أشبهَ بباطل ، ولا باطلا أشبه بحق من العشق : هَزْله جِدّ ، وجدّه هَزْل ، وأوّله لعب ، وآخره عَطَب .

وقد ذهب بعضهم إلى أنه مرضٌ وسْواسىٌّ شبيه بالماليخوليا .

وأما كلام الإسلاميين وما قالوه فيه

فقد حكى عن أبى العالية الشامىّ ، قال : سأل المأمون يحيى بن أكثم عن العشق ما هو؟ فقال : هو سوانحُ فكرٍ يَهيم بها قلبه وتُؤثرها نفسه! قال فقال له ثمامة : اسكت يا يحيى! إنما عليك أن تجيب فى مسئلة طلاقٍ أو مُحْرِم صاد ظبيا ، أو قتلَ نملة ، فأما هذه فسائلنا نحن! فقال له المأمون : ما العشق؟ يا ثمامة ، فقال : العشق جليسٌ مُمْتِع ، وأليف مؤنِس ، وصاحب مملّك ، ومالك قاهر ، مسالكه لطيفة ،

ومذاهبه غامضة، وأحكامه جائرة، مَلَكَ الأبدانَ وأرواحها، والقلوبَ وخواطرَها، والعيونَ ونواظرَها، والعقولَ وآراءَها، وأعطى عنانَ طاعتها، وقيودَ تصرفها، توارى عن الأبصار مَدْخَله، وغيض في القلوب مسلكه! فقال له المأمون: أحسنتَ والله، يا ثمامة! وأمر له بألف دينار.

وحكى عن الفضل بن يعقوب: قال لما اجتمع ثمامة بن أشرس، ويحيى بن أكثم عند المأمون، قال ليحيى: خبِّرني عن العشق ماهو؟ فقال: يا أمير المؤمنين، سوانح تسنح للعاشق يؤثرها، ويهيم بها تسمَّى عشقا! فقال له ثمامة: يا يحيى، أنت بمسائل الفقه أبصر منك بهذا، ونحن بهذا أحذق منك! فقال المأمون: فهاتِ ما عندك! فقال: يا أمير المؤمنين، إذا امتزجتْ خواطرُ النفوس بوصل المشاكلة نتجتْ لمح نور ساطع تستضيء به نواظر العقول، ويتصوّر من ذلك اللمح نور خاص بالنفوس متصل بجواهرها يسمَّى عشقا! فقال له المأمون: صدقت، هذا وأبيك الجوابُ!

وحكى عن الأصمعيّ، قال: دخلت على هرون الرشيد، فقال: يا أصمعيّ، إني أرقت ليلتي هذه، فقلت: ممّ؟ أنام الله عين أمير المؤمنين، قال: فكّرت في العشق ممّ هو، فلم أقف عليه، فصِفْه لي حتّى إخاله جسما مجسما! قال الأصمعيّ: لا والله ما كان عندي قبل ذلك فيه شيء فأطرقت مليًّا، ثم قلت: نعم ياسيّدي، إذا تقاربت الأخلاق المشاكلة وتمازجت الأرواح المشابهة، لمح نورٌ ساطع يستضيء به العقلُ، وتهتز لإشراقه طِباع الحياة، ويتصوّر من ذلك النورِ خُلُق خاص بالنفس متصل بجوهريتها يسمَّى العشق! فقال: أحسنت والله! يا غلام، أعطه وأعطه وأعطه! فأعطيت ثلاثين ألف درهم.

وحكى عن الأصمعيّ أنه قال : لقد أكثر الناس فى العشق، فما سمعت أوجز ولا أجمل من قول أعرابيّة (وقد سئلت عن العشق) فقالت : ذلّ وجنونٌ . قلت : هذه صفة ثمرة العشق ومآله .

والتحقيق أن العشقَ شدّةُ ميل النفس إلى صورة تلائم طبعها، فإذا قوى فكرها فيه تصوّرتْ حصولَها وتمنّتْ ذلك، فيتجدّد من شدّة الفكر مرضٌ .

وقيل لبعضهم : ما العشقُ؟ فقال : ارتياح فى الخِلْقة، وفرح يجول فى الرُّوح، وسرور ينساب فى أجزاء القُوى .

وقال أبو العيناء : سألت أعرابيّا عن الهوى، فقال : هو أظهر من أن يخفى، وأخفى من أن يُرى، كامنٌ كمون النار فى الحجر، إن قدحتَه أورى، وإن تركته توارى .

وسئل يحيى بن معاذ عن حقيقة المحبة، فقال : التى لا تزيد بالبر، ولا تنقص بالجفاء .

وسئل بعض الصوفيــة عن الهوى والمحبة فقال : الهوى يحلّ فى القلب، والمحبة يحلّ فيها القلب!

وللعشق مراتب من ابتدائه إلى انتهائه .

ذكر مراتب العشق وضروبه

قالوا : أوّل ما يتجدّد الاستحسان للشخص تحدُث إرادةُ القرب منه، ثم المودّة . (وهو أن يودّ لو ملكه)، ثم يقوى الودّ فيصير محبة، ثم يصير هوًى (فيهوى بصاحبه فى محابّ المحبوب من غير تمالك)، ثم يصير عشقا، ثم يصير تَتَيُّمًا (والتتيّم حالة يصير بها المعشوق مالكا للعاشق لا يوجد فى قلبه سواه)، ثم يزيد التتيّم فيصير وَلَهًا (والوَلَه الخروج عن حدّ الترتيب، والتعطل عن أحوال التميز) .

وقال بعضهم : أوّل مراتب العشق الميل إلى المحبوب، ثم العلاقة، ثم الحب، ثم يستحكم الهوى فيصير مودّة تزيد بالمؤانسة، وتَدْرُس بالجفاء والأذى، ثم الخُلّة، ثم الصَّبابة (وهي رقة الشوق) تولّدها الألفة، ويبعثها الإشفاق، ويهيجها الذكر، ثم تصير عشقا. وهو على أضرب. فمبدؤه يصفي الذهن، ويهذّب العقل. كما قال ذو الرياستين لأصحابه : «اعشقوا، ولا تعشقوا حراما! فإن عشق الحرام يطلق اللسان ويرفع التبلّد ويطلق كفّ البخيل ويبعث على النظافة ويدعو إلى الذكاء، فإذا زاد؛ مرض الجسد، فإذا زاد؛ أخرج العقل وأزال الرأى فاستهلك، ثم يترقّى فيصير وَلَهًا، ويسمّى ذو الوله مُدَلَّهًا، ومستهاما، ومستهْتَرا، وحيرانَ؛ ثم بعدها التتيّم فيدعى متيّما، والتتيّم نهاية الهوى، وآخر العشق؛ ومن التتيّم يكون الداء الدَّوِيّ، والجنون الشاغل» .

وقال بعض الحكماء : أوّل الحب العلاقة (وهو شيء يحدثه النظر أو السمع فيخطُر للبال، ويعرِض للفكر، ويرتاح له القلب، ثم ينمى بالطمع، والتّجاج، وإدمان الذكر)، ثم يقوى فيصير حُبًّا، ثم يصير هوًى، ثم يصير خُلّة، ثم عشقا، ثم وَلَهًا، فيسمّى صاحبه مُدَلَّهًا، ومستهاما، وهائما، وحيرانَ، ثم يصير متيّما، وهو أرفع منازل الحب، لأن التتيم التعبُّد، والـ[illegible] والهَيَمان الذهاب فى طلب غرض لاغاية له؛

[illegible] الحب .

[illegible]قة الحب اللازم للقلب ؛ والجوى الهوى [illegible] المحرق؛ والشَّغَف أن يبلغ الحب شَغَاف [illegible] الهوى؛ والتّبل أن يُسقمه الهوى،

نقل العفش مع الفك والتركيب
تنظيف وتعقيم الخزانات
تنظيف سجاد وموكيت وكنب وباطرمه
مكافحة الحشرات والنمل الأبيض (الغته)
صيانة عامة ونظافة المباني وسباكة وكهرباء
جلي وتلميع جميع أنواع البلاط والرخام والمزايكو

يقال : رجل متبول ؛ والتَّدْلِيهُ ، ذَهاب العقل من الهوى ، يقال : رجل مُدَلَّهٌ ؛ والهُيُوم أن يذهب على وجهه ؛ والشَّغَف إحراق القلب مع لذة يجدها وهو شبيه باللَّوْعة .

وقال أبو عبد الله بن عرفة : الإرادة قبل المحبة ، ثم المحبة ، ثم الهوى ، ثم العشق .

وقال ابن دُرَيْد : الصَّبابة رقَّة الهوى . والاشتياق الحب من أحب البعير ، إذا بَرَك من الإعياء .

ذكر ما قيل فى الفرق بين المحبة والعشق

قالوا : المحبة جنس ، والعشق نوع . فإن الرجل يحب أباه وأمه ، ولا يبعثه ذلك على تَلَف نفسه ، بخلاف العاشق .

وقد حكى أن بعض العشاق نظر إلى جارية كان يهواها ، فارتعدت فرائصُه وغُشِيَ عليه ، فقيل لبعض الحكماء : ما الذى أصابه؟ فقال : نظر من يحبُّه ، فانفرج قلبه ، فتحرك الجسم لانفراج القلب ! فقيل له : فنحن نحب أهالينا ولا يصيبنا ذلك فقال : تلك محبة العقل ، وهذه محبة الرُّوح !

وقالوا : كل عشق يسمَّى حُبًّا ، وليس كل حب يسمَّى عشقا . لأن العشق اسم لما فَضَلَ عن المحبة ، كما أن السَّرَف اسم لما جاوز الجُود ، والبُخْلَ اسم لما نقص عن الاقتصاد ، والجبنَ اسم لما فَضَل عن شدّة الاحتراس ، والهَوَجَ اسم لما فَضَلَ عن الشجاعة .

قال الشاعر :

ثلاثةُ أحبابٍ : فحبٌّ علاقةٌ ، * وحُبٌّ تِمِلَّاقٌ ، وحُبٌّ هو القتلُ !

❖

وأما سبب العشق وما قيل فيه، فقالوا: سبب العشق مصادفة النفس ما يلائم (١٥)
طبعَها فتستحسنه وتميل إليه . وأكثر أسباب المصادفة النظر . ولا يكون ذلك باللمح، بل بالتثبت فى النظر ومعاودته بالنظر، فإذا غاب المحبوب عن العين طلبتْه النفسُ، ورامت التقربَ منه، وتمنّتْ الاستمتاعَ به . فيصير فكرها فيه، وتصويرها إياه فى الغَيْبة حاضرا، وشغلُها كله به، فيتجدّد من ذلك أمراضٌ لانصراف الفكر إلى ذلك المعنى . وكلما قويت الشهوة البدنية، قوِىَ الفكر فى ذلك . وقد أمر الله عز وجل بغَضّ البصر فقال: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ . فقرن غض البصر بحفظ الفرج، لأنه يسببه ويؤول إليه .

وعن علىّ رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم! قال: "لا تُتْبِع النظرة النظرةَ، فإن لك الأُولى! وليستْ لك الآخرةُ" .

وعن أبى هُرَيرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "العَيْنانِ تَزْنِيانِ، وزِناهُما النظَرُ".

وعن علىّ رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم! "يا علىُّ، اتّقِ النظْرَة بعد النَّظْرة! فإنها سَهْم مَسْمومٌ، يُورِث الشَّهوةَ فى القَلْبِ".

وعن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نَظَرُ الرجُلِ إلى مَحاسِن المرأةِ سَهْمٌ مسمومٌ من سِهَام إبليس" .

وعن يحيى بن سعيد قال: كان عيسى بن مريم عليه السلام يقول: "النظرُ يَزْرعُ فى القلب الشهوةَ، وكفى بها خَطِيئةً!" .

وعن سفيان قال : قال عيسى عليه السلام : "إيّاكُمْ والنظرَ! فإنّه يَزرَعُ فى القلبِ الشهوة، وكفَى بها لصاحبها فِتنَةً ! » .

وقال الحسن البصرىّ : من أطلق طَرْفه، أطال أَسَفَه .

وقال ذو النون : اللَّحَظاتُ تورث الحَسَرات : أوّلها أَسَفٌ، وآخرها تَلَفٌ . فمن تابع طَرْفه، تابع حَتْفه .

وقال حكيم : أوّل العِشْق النظر، وأوّل الحريق الشَّرَر .

وقال أبو الفرج بن الجوزىّ : البصر صاحب خَبَر القلب . ينقل إليه أخبار المُبصَرات، وينقش فيه صُوَرها، فيجول الفكر فيها فيشغَلُه ذلك عن الفكر فيما ينفَعُه من أمر الآخرة . فاحذَرْ من شر النظر! فكم أهلك من عابد، وفَسَخ عزمَ زاهد! وهو سبب الآفات، إلا أن علاجه فى بدايته قريب. فإذا كرر تمكن الشرّ فصعُب علاجه. فإن النظرة إذا أثّرت فى القلب، فإن أعجل الحازم بغضّها وحسم المادّة من أوّلها سهُل علاجه، وإن كرر النظر نَقّب عن محاسن الصورة ونقلها إلى قلب متفرّغ ونقشها فيه. فكلما تواصلت النظرات كانت كالمياه تسقى بها الشجرة، فلا تزال تنمو فيفسُد القلب، ويُعْرِض عن الفكر فيما أُمِرَ به، ويخرج بصاحبه الى المِحَن، ويوجب ارتكاب المحظورات، ويلقى فى التلف .

وقد أكثر الشعراء فى وصف ما يحدثه النظر من البلايا، فمن ذلك، قول الفرزدق :

تَزوّدَ منها نظرةً لم تَدَعْ لَهُ * فُؤادًا، ولم يَشْعُرْ بما قد تَزوّدا .

فلَمْ أر مقتُولًا ولم أر قاتِلًا * بغَيْرِ سلاح مثْلَها حينَ أقْصدَا .

وقال إبراهيم بن العباس بن صول الكاتب :

فَمَن كانَ يُؤْتَى من عدوٍّ وحاسِدٍ، * فإنّيَ من عينِي أُتِيتُ ومن قَلْبِي!
هما اعتوراني نظرةٌ ثم فِكْرَةٌ، * فما أبقيَا لي من رُقَاد ولا لُبِّ!

وقال إسمعيل بن عمار الأعرابيّ :

عَينانِ مشئومتانِ، وَيْحَهُما! * والقَلْبُ حَيْرانُ مُبتَلًى بهما.
عَرَّفتاه الهوى لظُلْمِهما، * يالَيْتَني قبلَه عَدِمتُهما!

وقال أبو عبد الله المارستانيّ :

رَمَانِي بهـا طَرفٍ فلم يُخْطِ مَقْتَلِي، * وما كُلُّ من يُرمَى تُصابُ مقاتِلُهْ!
إذا مُتُّ، فابكُونِي قَتِيلا لِطَرْفِه * قَتِيلَ عدُوٍّ حاضرٍ ما يُزايِلُهْ!

وقال ابن المعتز :

مَتيمٌ يَرْعَى نُجُومَ الدُّجى * يَبْكِي عليه رحمةٌ عاذِلُهْ!
عَيْنِي أشاطَتْ بدمِي فى الهَوى، * فابكُوا قَتِيلًا بعضُه قاتِلُهْ!

وقال المتنبي :

وأنَا الَّذِي اجتلَب المنِيَّةَ طَرْفُه * فَمَنِ المطالَبُ؟ والقتيلُ القاتلُ!

وقال ابن المعتز :

وما أدرِي، إذا ما جَنّ ليلٌ، * أشوقًا فى فُؤادِي أم حَرِيقا؟
ألَا يا مقلَتَيّ، دهَيْتُمانِي * بلحْظِكما فذُوقَا! ثم ذُوقَا! (٤٦)

وقال أبو عبد الله بن الحجاج :

يامَنْ رأى سُقْمِي يَزِيـد وعِلَّتِي تُعْيِي طَبِيبِي.
لا تَعْجَبَنَّ فهكذا * تَجْنِي العيونُ على الأُلُوبِ!

وقال أبو منصور بن الفضل :

لواحِظُنا، تَجْنِي ولا عِلْمَ عِنـدَها * وأنفُسُـنا مأخوذةٌ بالجَـرَائِرِ.
ولم أَرَ أغْبَى من نُفُوسٍ عفائِفٍ * تُصـدِّقُ أخبار العُيونِ الفَواجِرِ.
ومَنْ كانتِ الأجفانُ حُجَّاب قلبِه * أَذِنَّ على أحْشائِه بالفَواقِرِ!

وقال أبو محمد بن الخفاجيّ :

رمَتْ عيْنُها عَيْنِي، وراحتْ سليمةً! * فَمَنْ حاكمٌ بين الكَحِيلة والعَـبْرا؟
فياطَرْفُ، قد حَذَّرْتُكَ النظرةَ التي * خَلَسْتَ فما راقَبْتَ نهيا ولا زَجْرا!
ويا قلبُ، قد أرْداكَ من قبلُ مرةً! * فوَيْحَكَ! لِمْ طاوعْتَه مرّةً أُخْرى؟

وقال عبد المحسن بن غالب الصوريّ :

ما نَظْرةٌ إلا لها سَـكْرةٌ * كأنّما طَـرْفُك نَمّـارُ.
هذا هوًى يَصْدُرُ عنه جَوًى * يَتْـلُوه لَوْعاتٌ وأفـكارُ.
وهـذه أفعالُها، هـذه! * ما بعد رأْيِ العينِ إخبارُ.
ولم يكُن أوّلَ مَنْ غرّني! * كلُّ غَرِير الطَّرْف غَرّارُ!

وقال أبو شجاع الوزير :

لأُعذِّبنَّ العينَ غـيْرَ مفكِّرٍ * فيها، جرَتْ بالدمع أم فاضَتْ دَمَا!
ولأَهْجُرَنَّ من الرُّقاد لذيذَهُ * حتّى يصـيرَ على الجُفُون مُحرَّما!
سفَكَتْ دمي، فلأَسْفِكَنّ دمُوعَها * وهي التي بَدأَتْ فكانتْ أظلَما!
هيْ أوقعَتْني في حبائل فتنةٍ: * لولم تَكُنْ نظرَتْ، لكنتُ مسَلَّما!

وقال آخر عفا الله عنه :

ياعينُ أنت قتَلْتِني، * وجعَلْتِ ذنْبَكِ من ذُنوبي!

وأراكِ تَهْـوِينَ الدُّمو * عَ كأنَّها وَفْق الحبيبِ.
تالله، أحلِفُ صـادقًا * والصِّدقُ من شِيَمِ الأريبِ!
لو مُـيِّزَتْ ثُوَبُ الزما * ن من البعيد إلى القَريبِ،
ما كُنَّ إلا دُونَ مَا * جَنَتِ العيونُ على القُلُوبِ!

وقال آخر، وأجاد :

أنا ما بَيْنَ عَـدُوَيْـنِ هما: قَلْبِي وطَرْفِي.
يَنْظُر الطَّرْفُ ويهوى الـ * ـقَلْبُ، والمقصودُ حَتْفِي.

وقال ابن الحريرىّ :

فتَصبَّرْ، ولا تَشِمْ كلَّ بَرْقٍ! * رُبَّ برقٍ فيه صَـواعِقُ حَيْنِ!
وٱغضُضِ الطَّرْفَ، تَسْتَرِحْ من غَرامٍ * تكتَسِي فيه ثوبَ ذُلٍّ وشَيْنِ.
فَقِيادُ الفَتى موافقةُ النفـ * ـس، وبَدْءُ الهوى طُمُوحُ العَيْنِ.

فصل

قالوا : ومن أسباب العشق، سماع الغناء وإنشاد الغَزَل. فإن ذلك يصوّر فى النفس نقوشَ صور فتخَمِّر خميرةَ صورة موصوفة، ثم تصادف نظرا مستحسنا، فتتعلق النفس بما كانت تطلبه حالة الوصف.

فصل

وذكر بعض الحكماء أنه لا يقع العشق إلا لمجانس، وأنه يضعف ويقوى على قدر التشاكل. وٱستدل بقول النبىّ صلى الله عليه وسلم! "الأرواحُ جنودٌ مُجَنَّدة ما تعارَفَ منها ٱئتلَفَ، وما تناكَرَ منها ٱختلَفَ". قال: وقد كانت الأرواح موجودة

قبل الأجسام ، فمال الجنسُ إلى الجنس . فلما افترقت في الأجساد ، بقي في كل نفس حب ما كان مقارنا لها . فإذا شاهدت النفس من نفس نوعَ موافقة ، مالت إليها ظانّة أنها هي التي كانت قرينَتَها . فإن كان التشاكل في المعاني كانت صداقةً ومودّة ، وإن كان في معنى يتعلق بالصورة ، كان عشقا . وإنما يوجد الملل والإعراض من بعض الناس لأن التجربة أبانت ارتفاع المجانسة والمناسبة .

وأنشدوا على ذلك :

وقائلٍ : كيفَ تهاجَرْتُما ؟ * فقلتُ قَوْلا فيه إنْصافُ :
لم يَكُ من شَكْلي ففارَقْتُه ، * والناس أشْكال وأُلّافُ .

قال أبو الفرج بن الجوزيّ : فإن قيل إذا كان سبب العشق نوعَ موافقة بين شخصين في الطباع ، فكيف يحب احدهما صاحبه والآخر لا يحبه ؟ فالجواب أنه يتفق في طبع المعشوق ما يوافق طبع العاشق ، ولا يتفق في طبع العاشق ما يلائم طبع المعشوق . فإذا كان سبب العشق اتفاقا في الطباع بطل قولُ من قال : إن العِشق لا يكون إلا للأشياء المستحسنة . إنما يكون العِشق لنوع مناسبة وملاءمة ، ثم قد يكون الشيء حسنا عند شخص غير حسن عند آخر . وحكى على ذلك حكاية رفعها بالسند إلى عليّ بن الحسين القرشيّ ، عن رجل من أهل المدينة كان أديبا ظريفا طَلّابا للأدب والمُلَح ، قال : كنت يوما في مجلس رجل من قريش ومَعَنا قَيْنة ظريفة حَسَنة الصورة ، ومعنا فتًى من أقبح مارأته العين ، والقَيْنة مقبلة عليه بحديثها وغنائها . فبينا نحن كذلك إذ دخل علينا فتًى من أحسن الناس وجهًا ، وأثراهم ثوبا ، وأطيبهم ريحا ، فأقبل عليّ صاحب البيت ، فقال : إن في أمر هذين لعجبا ! قلت : وما ذاك ؟ قال : هذه الجارية تحب هذا (يعني القبيحَ الوجهِ) وليس لها في قلبه محبة ، وهذا

الحسن الوجهِ يحبها، وليس له فى قلبها محبةٌ. فبينا نحن على شرابنا إذ سرّ الفتى الحسن الوجه فتغنّى وقال :

بِيَدِ الذي شُغِف الفُؤادُ بهم * فـرَجُ الذى ألقَ من السُّقْم!
فاستيقِنِي أنْ قَـد كَلِفتُ بكم * ثم آفعَـلِي ما شِئتِ عن عِلْم!

فأقبلت عليه، وقالت: قد علمنا ذاك، فَمَهْ! ثم تركته، وأقبلت على القبيح الوجه، فلبثنا ساعة، ثم تغنى الفتى أيضا :

ألَا ليتنِي أعمى أصمُّ تقودُنِى * بُثَيْنَـةُ لا يخفَى علىّ كلامُها!

فقالت : اللهم أعط عبدك ماسأل! فغاظتنى، فقلت لها : يافاجرة تختارين هذا، وهو أقبح من ذنوب المُصِرِّين، على هذا الذى هو أحسنُ من توبة التائبين، فقالت لى : ليس الهوى بالاختيار! ثم أنشأت تغنى وتقول :

فلا تَـلُمِ المُحِبَّ على هَوَاه * فكلّ متـيَّمٍ كلِفٍ عميـدِ
يَظُنُّ حبيبَه حَسَنا جميلاً، * وإن كان الحَبِيبُ من القُرودِ!

فقلت : أجل! إنه لكما قلتِ، وليس فى هـذا حيلة، وذكرت قول عُمَر ابن أبى ربيعة :

فتَضاحَكْنَ، وقد قُلْن لنا : * حَسَنٌ فى كلّ عينٍ ما تَودّ!

فصـــل

قالوا : ويتأكد العشق بإدمان النظر، وكثرة اللقاء، وطول الحديث. فإن انضم إلى ذلك معانقة أو تقبيل فقد تمّ استحكامُه.

وقد ذكر حكماء الأوائل أنه إذا وقعتْ القُبَل بين المُتحابَّيْن ووصلت بِلَّة من ريق كل واحد منهما إلى مَعدة الآخر، اختلط ذلك بجميع البدن ووصـل إلى حِرْم

بدء وهكذا إذا تنفس كل واحد منهما فى وجه صاحبه، فإنه يخرج مع ذلك النفس شيءٌ من نسيم كل واحد منهما فيختلط بأجزاء الهواء، فإذا استنشق من ذلك الهواء دخل فى الخياشيم، فوصل بعضه إلى الدماغ فسرى فيه كسَريان النُّور فى جِرْم البِلّور، ووصل بعضهُ إلى جِرْم الرئة، ثم إلى القلب فَيدبُّ فى العروق الضوارب فى جميع البدن فينعقد فى بَدَن هذا ما تحلل من بَدَن هـذا فيصير مزاجا، فيتولد به العشق ويَنْمى .

هذا ما قيل فى سبب العشق والله أعلم .

* * *

وأما ما قيل فى مدحه وذمّه والممدوح منه والمذموم، قال ابن الجوزى فى كتابه المترجم بـ" ذَمّ الهوى " : اختلف النـاس فى العشق، هل هو ممـدوح أو مذموم . فقال قوم : هو ممدوح، لأنه لا يكون إلا من لَطَافة الطبع، ولا يقع عند جامد الطبع . ومن لم يجد منه شيئا فذلك من غِلَظ الطبيعة . فهو يحلو العقولَ، ويصفّى الأذهان، ما لم يُفْرِط . فإن أفرط عاد سُمًّا قاتلا . وقال آخرون : هو مذموم، لأنه يستأسر العاشق ويجعله فى مقام المستعبَد . قال : قلت : وفصل الحكم فى هذا الفصل أن نقول : أما المحبة والودّ والميل إلى الأشـياء المستحسنة والملائمة فلا يُذَم، وأما العشـق الذى يزيد على حدّ الميـل والمحبة فيملك العـقلَ ويُصرِّف صاحبه على غير مقتضى الحكمة فذلك مذموم . ويحاشى من مثله الحكماء .

هذا ما قيل فى مدحه وذمّه مجملا . والله تعالى أعلم .

* * *

فأما الممدوح منه، وهو الذى قدّمنا ذكره، فقـد وقع فيه جماعة من الخلفاء والأكابر فلم يُعَب عليهم ولا نَقَصهم . وقد تكلموا فى مدحه وتفضيله بمـا سنذكر منه إن شاء الله تعالى طَرَفا .

فقالوا : العشق يولّد الأخلاقَ الحميدة! وقالوا : لو لم يكن فى الهوى إلا أنه يشجّع (٤٨)
الجبانَ، ويصفّى الأذهان، ويبعث حزم العاجز، لكفاه شرفا !

وقال أعرابىّ : من لم يُحبَّ قط فهو ردىء التركيب جافى الطبع كزّ المعاطف .

وقد روى أن الشعبىّ كان ينشد :

إذا أنتَ لم تَعْشَق ولم تَدْرِ ما الهوى، * فأنْتَ وعَيْرٌ فى الفَلاة سَواء!

وسمع ابنُ أبى مليكة غناء وهو يؤذَّن، فطَرِب . فقيل له فى ذلك، فقال :

إذا أنت لم تَطْرَبْ ولم تَدْرِ ما الهوى * فكن حَجَرا من يابِس الصَّخر جَلْمَدا.

وسئل أبو نوفل : هل يسْلَمَ أحدٌ من العشق ؟ فقال : نعم الجِلْفُ الجافى الذى ليس فيه فضل ولا عنده فَهْم . فأما من فى طبعه أدنى ظَرْف أو معه دَمَاثة أهل الحجاز ورِقّةُ أهل العراق، فهيهات !

وحكى أبو الفرج بن الجوزىّ بسند يرفعه إلى اليمان بن عمرو مولى ذى الرياستين، قال : كان ذوالرياستين يبعثنى ويبعث أحداثا من أهله إلى شيخ عالم بخُراسانَ، له أدبٌ وحسنُ معرفة بالأمور، ويقول لنا : تعلّموا منه الحكمة، فإنه حكيم ! ، وكنا نأتيه . فإذا انصرفنا من عنده، سألنا ذو الرياستين واعترض ماحَفِظناه فنخبره به . فقصدناه ذات يوم، فقال : أنتم أُدباءُ، وقد سمعتم الحكمة ولكم جِدَاتٌ ونِعَمٌ، فهل فيكم عاشق؟ فقلنا : لا . فقال : اعشَقُوا، فإن العشق يُطْلِق اللسانَ العَيِىّ، ويفتح جِبِلَّةَ البليد، ويبعث على التنظيف وتحسين اللباس وتطييب المَطْعَم ، ويدعو إلى الحركة والذَّكاء ، ويُشَرِّف الهمة ! وإياكم والحرام ! فانصرفنا من عنده إلى ذى الرياستين، فسألنا عما أخذنا فى يومنا ذلك فهِبْناه أن نخبره . فعزَم علينا فأخبرناه، فقال : صدَق والله ! فهل

تعلمون من أين أخذ هذا؟ فقلنا : لا. قال ذو الرياستين : إن بَهْرامَ جُور كان له ابن، وكان قد رشّحه للأمر من بعده، فنشأ الفتى ناقصَ الهمة، ساقطَ المُروءة، خامل النفس، سيئ الأدب. فغمه ذلك ووكّل به من يلازمه من المؤدّبين والحكماء ليعلموه. فكان يسألهم عنه فيحكون عنه مايغُمّه من سوء فهمه وقلة أدبه. إلى أن سأل بعض مؤدّبيه يوما، فقال له المؤدّب : قد كنا نخاف سُوءَ أدبه، فحدث من أمره ما صيّرنا إلى اليأس من فلاحه، قال : وما ذاك الذى حدث؟ قال : إنه رأى ابنة فلان المَرْزُبان فعشِقَها حتى غلب عليه هواها، فهو لا يَهْذِى إلا بها، ولا يتشاغل إلا بذكرها. فقال بهرام : الآن رجوتُ فلاحه! ثم دعا بأبى الجارية، فقال : إنى مُسِرٌّ إليك سرّا فلا يعدُوَنّك. فضمن له ستره. فأعلمه أن ابنه قد عَشِق ابنته، وأنه يريد أن ينكِحَها إياه، وأمره أن يأمرها بإطماعه فى نفسها ومراسلته من غير أن يراها، فإذا استحكم طمعه فيها تجنّتْ عليه وهَجَرته، فإن استعتبها أعلمته أنها لا تصلح إلا للملك ومَنْ همته همة الملوك، وأنه يمنعُها من مواصلته أنه لا يصلح لمُلْك. ثم ليعلمه خبرهما، ففعل أبوها ذلك منه. ثم قال للمؤدّب الموكل به خوّفه منى وشجعه على مراسلة المرأة! ففعل ذلك وفعلتْ الصبيّة ما أمرها به أبوها. فلما انتهت إلى التجنى عليه، وعلم الفتى السبب الذى كرهته له، أخذ فى الأدب وطلب الحكمة والعلم والفُروسية والرّماية وضرب الصوالجة حتّى مَهَر فى ذلك. ثم رفع إلى أبيه أنه محتاج من الدوابّ والآلات والمطاعم والملابس والندماء إلى فوق ما عنده. فَسُرّ الملك بذلك، وأمر له بما طلب. ثم دعا مؤدّبه، فقال : إن الموضع الذى وضع به ابنى نفسه من حبّ هذه المرأة لا يُزْرِى به. فتقدّمْ إليه أن يرفع ذلك إلىّ ويسألنى أن أزوّجه إياها. ففعل. ورفع الفتى ذلك إلى أبيه، فاستدعى أباها، وزوّجه بها، وأمر بتعجيلها إليه، وقال له :

إذا ٱجتمعتَ بها فلا تحدث شيئا حتَّى آتيك! فلما ٱجتمع أتاه، فقال: يابُنَيَّ لا يضعَنَّ منها عندك مراسلتُها إيَّاك، وليست فى حبالك! فإنى أنا أمرتها بذلك . وهى أعظم الناس مِنَّةً عليك، بما دعتك إليه من طلب الحكمة والتخلق بأخلاق الملوك، حتَّى بلغت الحدّ الذى تصلح معه لُلْك بعدى. فزِدْها من التشريف والإكرام بقدر ما تستحق منك! ففعل الفتى ذلك، وعاش مسرورا بالجارية، وعاش أبوه مسرورا به، وأحسن ثواب أبيها، ورفع مرتبته وشرفه بصيانة سره وطاعته، وأحسن جائزة المؤدّب، (٤٩) وعقد لٱبنه على المُلْك من بعده .

قال البيان : ثم قال لنا ذو الرياستين : سلوا الشيخ الآن : لِمَ حملكم على العشق؟ فسألناه : فحدّثنا بحديث بهرام جور وٱبنه .

فهذا ممن ٱرتفع بالهوى وترقَّى بسببه إلى مرتبة الملك .

وحكى ٱبن الجوزىّ أيضا، قال : حدّث القاسم بن محمد النُّمَيْرِىّ، قال : مارأيت شابا ولا كهلا من ولد العباس أصْونَ لنفسه، وأضبطَ لحاشه وأعفَّ لسانا وفَرْجا من عبد الله بن المعتزّ! وكان ربما عبَثْنا بالهزل فى مجلسه، فجرى معنا فيه فيما لايقدح به عليه قادح. وكان أكثرَ مايَشْغَل به نفسه سماعُ الغناء. وكان كثيرا مايَعيب العِشْق، ويقول : هو ضرب من الحمق! وكان إذا رأى منا من هو مطرق أو مفكِّر اتهمه بالعشق ويقول: وقعْتَ والله يافلان! وقلّ عقلك وسَخُفْتَ! إلى أن رأيناه، وقد حدث به سهو شديد، وفكر دائم، وزفير متتابع، وسمعناه ينشد أشعارا منها :

مالِى أَرَى الثُّرَيَّا * ولا أَرَى الرَّقِيبا؟
يامُرْسِلًا غزالًا، * أما تَخَافُ ذيبا؟

وسمعناه مرة أخرى ينشد، وهو يشرب فى إناء قد لفه، فاتهمناه فيه. وكتب عنه هذا الشعر:

ما قَلِيلٌ منكَ لى بقَلِيلِ * يامُنى عينى وغايةَ سُولِى!
سَل بحقِّ الله عينيكَ عنِّى: * هل أحَسَّتْ فى الهوى بقَتِيلِ؟
أنتَ أفسَدْتَ حياتِى بهَجْرٍ، * وتَمَاتِى بحِسابٍ طَوِيلِ!

وأنشد:

أسَرَ الحُبُّ أمِيرًا * لم يكُنْ قبْلُ أسِيرا.
فارحَمُوا ذُلَّ عَزِيزٍ * صارعَبْدًا مستَجِيرا!

وأنشد يوما، وقد راى دار بعض الناس، فقال:

أيا دارُ كَمْ فِيكِ من لَذَّةٍ * وعَيْشٍ لنا، كانَ ما أطْيَبَهْ!
ومن قَيْنةٍ أفسَدَتْ ناسِكًا، * وكانَتْ له فى التُّقى مَرْتَبَهْ.

وقال أيضا مرّة:

لقد قتَلَتْ عيناكَ نفْسًا كريمةً، * فلا تأمَنَنْ إن مُتُّ سَطْوةَ ثائِرِ!
كأنَّ فُؤادِى فى السَّماء معَلَّقٌ، * إذا غِبْتَ عن عينِى، بمخْلَب طائِرِ.

وأنشد يوما، وفى يده خاتم:

حَصَلْتُ منك على خا * تَمٍ حَوَتْه البنانُ!
فما يُفارِقُ كَفِّى * كأنَّه قَهْرَمانُ.
ياأهلَ وُدِّى بَعُدْتُم * وأنتُمُ جِيرانُ!

قال النميرىّ: فقلتُ له: جعلنا الله فداك! هذه أشياء قد كنت تعيب أمثالها منا، ونحن الآن ننكرها منك! وكان يرجع عن بعض ذلك تصنعا، ثم لا يلبث

مستوره ان يظهر حتى تحقق عندنا عشقه، ودخل فى طبقة المرحومين، فسمعته يوما ينشد :

مَكْتُومُ، يا أحسَنَ خلقِ اللهِ * لا تَتْرُكِنِي هكذا باللهِ!

ثم تنفس إثر ذلك فأجبته :

قد ظَفِرَ العِشقُ بعبد اللهِ * وأَنْهتكَ السِّتْرُ بمجد اللهِ.

فقل له : سَمِّ لنا سَيِّدى * هذا الذى تَهْوى، بحقِّ اللهِ!

فضحك وقال : لا، ولا كَرامة !

فكتبتُ إليه من الغَدِ :

بكَتْ عيْنُه وشَكَا حُرقةً * من الوَجْد فى القَلْب ما تنطفى.

فقلتُ لَهُ : سيِّدى، ما الذى * أرى بِكَ؟ قال : سِقَام خَفِى.

فقلتُ: أعِشْقٌ؟ فقال : اقْتصِر * على ما تَرى بى، أما تَكْتَفِى؟

فكتب إلىّ :

يا مَنْ يُحدِّث عَنِّى * بظَنِّ سمع وعيْنِ!

إن كنتَ تَخْطُب سِرِّى، * فارجِعْ بخُفَّىْ حُنَيْنِ!

فكتبت إليه :

هَيْهاتَ لحظك عِنْدِى * يُقِرُّ فيه بعِشْقِك!

دَعْ عنك خُفَّىْ حُنَيْنٍ * واحْرِص على حَلِّ رِبْقِك!

تعالَ نَحْتالُ فيما * تهوى، برِفْقِى ورِفْقِك!

وصرتُ إليه فقال : يا أبا طيب، قد عصيتُ إبليسَ أكثر مما عصى ربَّه إلى أن أوقعنى فى حبائله، فأنشدته :

من أينَ لا كان إبليـــسُ جاءنِي بِكَ يَسْعَى؟
أبْداكَ لى من بَعِيـــدٍ * فقلت : طَوْعًا وسَمْعًا!

فأخبرنى بقصته . فسعيت له بلطيف الحيلة وأعاننى بحزم الرأى حتّى فاز بالظفر .

قال أبو بكر الصولى : أعتل عبد الله بن المعتز فأتاه أبوه عائدا وقال : ما عراك، يابنىّ ؟ فأنشأ يقول :

أيُّها العاذلُونَ ، لاتَعْـــذُلُونِي * وانظُروا حُسْنَ وجهها تَعْذِرُونِى!
وانظروا هل تَرَوْنَ أحسنَ منها، * إن رَأَيْـــتُمُ شَـبِيهها فَاعْذُلُونِي!
بى جُنُونُ الهوى، ومابى جُنُونٌ * وجُنونُ الهوى جُنونُ الجُنونِ!

قال : فتتبع أبوه الحال حتّى وقع عليها، فابتاع الجارية التى شُغف بها بسبعة آلاف دينار، ووجّهها إليه .

وحكى أن الرشـيد كان له ثلاث جوارٍ اشـتدّ شغفه بهنّ ، فقال العبـاس بن الأحنف على لسانه :

مَلَكَ الثَّـــلاثُ الآنِسَاتُ عنانِي * وَحَلَلْنَ من قلبى بكُلِّ مكانِ!
مالى تُطاوِعُنِي الـــبريّةُ كلُّها، * وأُطِيعُهنَّ وهُنَّ فى عِصْـــيانِي؟
ما ذاك إلا أن ســـلطان الهوى * وبه عززن أعزُّ من سلطانِي!

أخذ المغنى والروىّ سليمان بن الحَكَم المستعين، أحدُ خلفاء بنى أمية بالأندلس، فقـال :

عَجَبًا يهـابُ الليثُ حدَّ سِـنَانِي، * وأهابُ لَحْـظ فَوَاتِرِ الأجْفَـانِ!
وأُقارِعُ الأهـــوالَ لا متهيِّبـــا * منها سِوى الإعراض والهِجْرانِ!
وتملّكتْ نفسِى ثَلاثٌ كالدُّمى * زُهرِ الوُجُـــوهِ نواعمُ الأبدانِ!

ككواكبِ الظلماء لُحْنَ لناظرٍ * من فوقِ أغصانٍ على كُثْبانِ.
هذى الهلالُ، وتلك بنتُ المشترى * حُسْناً، وهذى أختُ غُصنِ البانِ!
حاكمتُ فيهنَّ السُّلُوَّ إلى الصِّبا * فقضى لسُلْطانٍ على سُلطانِ.
فأبحْنَ من قلبي الحمَى وثَنَيْنني * عن عِزِّ مُلْكي كالأسيرِ العانِي.
لا تَعْذلوا مَلِكا تذلَّل في الهوى! * ذُلُّ الهوى عِزٌّ ومُلْكٌ ثانِي!
إن لم أُطِعْ فيهنَّ سُلطانَ الهوى * كَلَفا بهنّ، فلستُ من مَرْوانِ!
وإذا الكريمُ أحَبَّ، أمَّن إلفَهُ * خَطْبَ الفلَى وحوادثَ السُّلْوانِ!

وقال العباس :

لاعارَ في الحُبِّ إنَّ الحبَّ، مَكْرُمةٌ * لكنَّه ربَّما أزرى بذي الخَطَرِ!

وأما القسم المذموم منه، وهو الذي ثنَّينا بذكره في صدر هذا الفصل فقد أكثر الناس القول في ذمه، وبيّنوا أسبابه .

فقال ابن الجوزيّ : بيان ذمه أن الشيء إنما يعرف مذموما أو ممدوحا بتأمل ذاته وفوائده وعواقبه، وذات العشق لَهَج بصورة، وهذا ليس فيه فضيلة فتمدَح، ولا فائدةَ في العشق للنفس الناطقة، إنما هو أثر غلبة النفس الشَّهْوانية .

وقال بعض الحكماء : ليس العشق من أدواء الصَّفاء الحكماء، إنما هو من امراض الخُلَعاء الذين جعلوا دأبهم ولهَجهم متابعةَ النفس وإرخاءَ عِنان الشهوة وإمراح النظر في المستحسنات من الصور . فهنالك تتقيد النفس ببعض الصور فتأنس، ثم تألف، ثم تَتُوق، ثم تَلْهَج، فيقال «عَشِق» . وليس هذا من صفة الحكماء :

لأن الحكيم من آستطال رأيُه على هواه، وتسلطت حكمتُه على شهوته . فَرُعُونات طبعه مقيَّدة أبدا كصبيّ بين يدى معلمه أو عبد بمرأى سيده ؛ وما كان العشق قط إلا لأرعن بَطَّال . وقَلَّ أن يكون لمشغول بصناعة أو بتجارة، فكيف لمشغول بالعلوم والحكم، فإنها تصرفه عن ذلك . ولهذا لا تكاد تجده فى الحكماء .

(٥١) وقال آبن عُقَيل : العشق مرض يعترى النفوس العاطلة، والقلوب الفارغة المتلمحة للصور لدواعٍ من النفس، ويساعدها إدمان المخالطة، فيتأكد الإلف ويتمكن الأنس، فيصير بالإدمان شَغَفا . وما عَشِق قط إلا فارغٌ . فهو من علل البَطَّالين وأمراض الفارغين من النظر فى دلائل العبر، وطلب الحقائق، المستدل بها على عِظَم الخالق . ولهذا قلما تراه إلا فى الرُّعْن البَطِرين، وأرباب الخَلَاعة النَّوْكى . وما عَشِق حكيم قط : لأن قلوب الحكماء أشدّ تمنعا عن أن توقفها صورة من صُوَر الكون مع شدّة تطلبها، فهى أبدا تلحظ وتَخْطَف ولا تقف . وقلَّ أن يحصل عشق من لمحة، وقلَّ أن يُضيف حكيم إلى لَمْحة نظرةً، فإنه ماز فى طلب المعانى، ومن كان طالبا لمعرفة الله لا توقفه صورة عن الطلب لأنها تحجبه عن الصور .

وقال آبن الجوزىّ : وآعلم أن العشاق قد جاوزُوا حدّ البهائم فى عدم ملكة النفس فى الانقياد إلى الشهوات : لأنهم لم يرضَوْا أن يصيبوا شهوة الوطء وهى أقبح الشهوات عند النفس الناطقة من أىّ موضع كان حتى أرادوها من شخص بعينه فضمُّوا شهوة إلى شهوة، وذَلُّوا للهوى ذلّا على ذل . والبهيمة إنما تقصد دفع الأذى عنها حسبُ . وهؤلاء آستخدموا عقولهم فى تدبير نيل شهواتهم .

ثم قال : والعشق بَيِّن الضرر فى الدِّين والدنيا . أما فى الدين فإنه يشغَلُ القلب عن الفكر فيما له خُلِق : من معرفة الله تعالى، والخوف منه، والقرب إليه . ثم ينفذ ما ينال

من موافقة غرضه المحرم الذى يكون فيه خُسْران آخرته ، و يعرضه لعقوبة خالقه . فكلما قَرُب من هواه ، بَعُد من مولاه . ولا يكاد العشق يقع فى الحلال المقدور عليه فان وقع ، فياسُرْعان زوالَه ! قالت الحكماء : كل مملوك مملول . وقال الشاعر :

وزادنى شَغَفا بالحِبِّ أنمَنَعتْ ... أحَبُّ شىءٍ إلى الإنسان ماٰمْنعا .

فان كان المعشوق لايباح ، اشتد القلق به والطلب له . فإن نيل منه غرض ، فالعذاب الشديد فى مقابلته . على أن بلوغ الغرض يزيد ألمًا فتُرْبِى مرارة الفراق على لذّة الوصال . كما قال الشاعر :

كلُّ شىءٍ رَنِحْتُهُ فى التَّدانِى ... والتّلاقِى ، خَسِرتُه فى الفِرَاق .

فإن منعه خوفُ الله تعالى عن نيل غرض ، فالامتناع عذاب شديد فهو معذب فى كل حال .

هذا ضرره فى الدين .

وأما ضررة فى الدنيا فإنه يورث الهمَّ الدائم ، والفكر اللازم ، والوِسْواس ، والأرَق ، وقلة المَطْعَم ، وكثرة السهر . و يتسلط على الجوارح فتنشأ الصفرة فى البدن ، والرِّعدة فى الأطراف ، والفَلْجة فى اللسان ، والنُّحول فى الجسد . فالرأى عاطل ، والقلب غائب عن تدبير مصلحة ، والدموع هواطل ، والحسَرات تتتابع ، والزَّفَرات تتوالى ، والأنفاس لا تمتد ، والأحشاء تضطرم . فإذا غشَّى على القلب غشاء ثانيا أخرج إلى الجنون . وما أقربَه حينئذ من التلف !

قال : هذا ، وكم جنى من جناية على العرض ، ووَهَّن الجاه بين الخلق . ور بما أوقع فى عقوبات البدن وإقامة الحدود .

وقال جالينوس : العشق من فعل النفس ، وهى كامنة فى الدماغ والقلب والكبد .

وفى الدماغ ثلاثة مساكن ::

مسكن للتخيُّل، وهو فى مقدَّم الرأس.

ومسكن للفكر، وهو فى وسطه؛

ومسكن للذِّكر، وهو فى مؤخَّره.

ولا يسمى عاشقا إلا من إذا فارق معشوقه لم يخل من تخيله فيمتنع من الطعام والشراب باشتغال الكبد، ومن النوم باشتغال الدماغ بالتخيل والفكر والذكر فيكون جميع مساكن النفس قد اشتغلت به.

وقال الجاحظ: ذُكر لى عن بعض حكماء الهند أنه قال: إذا ظهر العشق عندنا فى رجل أو امرأة، غَدَونا على أهله بالتعزية.

قال: وبلغنى أن عاشقا مات بالهند عشقا، فبعث ملك الهند إلى المعشوق فقتله به.

وقال الربعى: سمعت أعرابية تقول: مسكينٌ العاشق! كل شىءٍ عدوه! هُبُوب الريح يُقلقه، ولَمَعان البرق يؤرقه، ورسوم الديار تُحْرقه، والعَذْل يؤلمه، والتذكُّر يُسْقمه، والبعدُ والقُرْب يهيجه، والليل يُضاعف بلاءه، والرقاد يهرُب منه. ولقد تداويتُ بالقرب والبعد فلم ينجع فيه دواء، ولا عَزَّ بى عزاء.

وقال شاعر:

وقد زَعَموا أنَّ المحبَّ إذا دنَا * يُمَلُّ، وأن النَّأْىَ يَشْفِى من الوجْد!
بكلٍّ تداوينا، فلم يُشْفَ ما بِنَا! * على أنَّ قُرْبَ الدار خيرٌ من البعد!

وأنشد المارستانىّ:

إذا قَرُبتْ دارٌ كَلِفْتُ، وإن نَأَتْ * أَسِفْتُ! فلا بالقُرْب أسلُو ولا البُعْد!

وإن وعَدَتْ زاد الهَوى لانتظارها ، * وإن بَخِلَتْ بالوعد مُتُّ على الوعْدِ !
ففى كُلِّ حبٍّ لا محـالَةَ فَرْحَةٌ ، * وحُبُّك ما فيـه سِوى مُحكَمِ الجَهْدِ !

(٥٢) وحكى الزبير بن بَكَّار قال : حدّثنى موهوب بن راشد قال : وقفت امرأة من بنى عُقَيـل على أخت لهـا ، فقالت لها : يافلانةُ ، كيف أصبحتِ من حبِّ فلان؟ قالت : قَلْقَلَ الله حبُّه الساكنَ ، وسكَّن المتحرك ! ثم أنشدتها :

ولو أنَّ ما بى بالحَصَى فَلَقَ الحصَى ، * وبالرِّيح لم يسمَعْ لهُنَّ هُبُوبُ !
ولو أننِّى أســتَغْفِرُ الله كلَّمـا * ذكرتُك لم يُكتَبْ على ذُنُوبُ !

قالت : لاجَرَمَ والله ، لا أقف حتّى أسأله كيف أصبح من حبِّك ! فجاءته فسألته فقال : إنمـا الهوى هَوَانٌ ، وإنمـا خُولف باسمه ، وإنمـا يعرف ما أقول من كان مثلى قد أبكته المَعَارِف والطلول .

وقال مسلم بن عبدالله بن جندب الهذلىّ : خرجت أنا وريان السوّاق إلى العقيق فلقينا نِسوةً نازلات من العقيق ذوات جمالٍ وفيهن جارية حسناء العينين ، فأنشد ريان قول أُبىّ :

ألَا ياعِبـادَ الله ، هذا أخُوكُـمُ * قَتِيـلٌ ! فهَـلَّا فيكُمُ اليـومَ ثائِرُ؟
خُذُوا بدَمِى إن متُّ كلَّ خَريدةٍ * مريضةِ جَفْنِ العين ، والطَّرْفِ ساحِرُ!

وأقبل علىّ ، وأشار إليها فقـال : يا ابن الكرام دمُ أبيك فى أثوابهـا فلا تطلب أثرا بَعْدَ عين ! قال : فأقبلت علىّ امرأة جميلة ، أجملُ من تيك ، فقالت : أنت ابن جندب؟ فقلت : نعم . قالت : إن أسيرنا لايُفَكُّ ، وقتيلنا لايُودى ، فاحتسب أباك ، واغتنم نفسك ! ومَضَيْنَ .

ذكر شيء من الشعر المقول فى ذم العشق والحب

قال الأصمعيّ: سئل أعرابيّ عن الحُبّ، فقال: وما الحب؟ وما عسى أن يكون؟ هل هو إلا سحر أو جنون. ثم قال:

هَل الحُبُّ إلا زَفْرةٌ بعد زَفْرةٍ، * وحَرٌّ على الأحشاءِ ليس له بَرْدُ؟
وفَيْضُ دموعِ العينِ منّى كلّما * بدا عَلَمٌ من أرضكُمْ لم يكُنْ يَبْدُو؟

وقال: قلت لأعرابيّ: ما الحب؟ فقال:

الحُبُّ مَشْغَلَةٌ عن كلّ صالحةٍ * وسَكْرَةُ الحبِّ تَنْفِى سَكْرَةَ الوَسَنِ.

وقال محمد بن عبد الله بن مبادر:

مَنْ فتًى أصبحَ فى الحُبِّ سَقَاه الحُبُّ سُمّا؟
كُلّما أخْفى جوى الحُبِّ، عليه الدمعُ نَمّا.
ساهر لا يَطْعَمُ النوْ * مَ إذا الليل ادْلهَمّا.
كُلّما راقبَ نَجْما * فهَوى، راقبَ نَجْما.
أنتمُو همّى فإن لم * تَصِلُونِى متُّ غَمّا.
يا ثِقَاتِى، خَطَمَ الحُبُّ لكُمْ انْفِى وزَمّا!
يا أخِى، دائى جَوى الحبِّ وداءُ الناسِ حُمّى.
لا تَلُمْ مُفْتَضِحا فى الحُبِّ، إن الحُبَّ أعمى!

وقال محمد بن ابى أُمية:

فوالله، ما أَدْرِى امن لوعةِ الهَوى * صَبَرتُ على التقصيرِ أم ليس لى قَلْبُ؟
أُقَبِّحُ أمرا، والفؤاد يودّه، * أجُنّ فؤادى فى الهَوى؟ بل هو الحُبُّ.

وقال أبو عُبادة البحترىّ :

قال بُطْلا وأَفَال الراى مَنْ * لم يقُلْ إن المَنَـايَا فى الحَدَقْ!
إن تَكُنْ مُحْتَسِبًا مَنْ قد ثَوى * بِحمام، فاحتَسِبْ من قد عَشِق!

وقال أبو تمـام :

أمَّا الهوى فهو العذابُ، فإن جَرَتْ * فيـه النَّوَى فالتَّيمُ كُلّ التَّـيمْ.

وقال آبن أبى حُصينة :

والعِشْق يجتَذِبُ النفوسَ إلى الرَّدى * بالطَّبْع، واحَسَدَا لمن لم يَعْشَـقِ!
طَرَق الخيـالُ فهاج لى بُطروقهِ * وَلَهًـا، فليتَ خَيَالَهـا لم يَطْرُقِ!

وقال صالح بن عبد القدّوس :

عاصِ الهَوى إنالهوى مَرْكَبٌ * يَصْعُبُ بعد اللِّين منه الذَّلُولْ!
إن يَحْلُبِ اليَوْمَ الهَوى لَذَّةً * ففى غَدٍ منـه البُـكَا والعَوِيلْ.

وقال ابن المعتزّ :

فكَأنَّ الهَوى آمرؤٌ عَلَوِىٌّ * ظَنَّ أنِّى وليتُ قَتْلَ الحُسَيْن!
وكأنِّى لَدَيْهِ نَجْـلُ زِيادٍ * فهو يَختارُ أوجعَ القِتْلَتَـيْنِ!

وقال أبو عبدالله بن الحجاج : (٥٣)

وَيْحَكَ، ياقَلْبَى ما أغْفَلَكْ! * تَعْشَق مَنْ يعشَقُ أن يقْتُلَكْ؟
وأنتَ ياطَـرْفِى أوقَعْتَنِى، * وَيْحَـكَ ياطَرْفِى مالى ولَكْ؟
قد كانَ من حَقِّ بكائى على * تَبتُّلِى بالحُبِّ أن يَشْغَلَكْ.
حتَّى توصلت لقَتْـلِى، فلا * كُنْتَ ولا كان الذى أرْسَلَكْ!

وقال عبد المحسن بن غالب الصورى :

وكانَ ٱبتداءُ الذى بى جُنُونا ، * فلمَّا تمكَّنَ أمسى جُنونا .

وكنتُ أظُنُّ الهوى هَيِّنا * فلاقَيْتُ منه عَذَاباً مُهِينا .

وقال أبو بكر بن محمد بن عمر العنبرى :

ياصاحِ ، إنِّى مُذْ عرفْتُ الهوى * غَرِقْتُ فى بحرٍ بِلَا ساحِل !

عَيْنِى لَحَيْنِى نَظَرتْ نظرةً * رُحْت بها فى شُغُلٍ شاغِلِ .

عُلِّقتُه فى البيتِ من فارِسٍ ؛ * لكنَّه فى السِّحْرِ من بابِل .

يَظْلِمُنى ، والعَدْلُ من شأنِهِ ! * ما أوْجَعَ الظُّلْمَ من العادل !

وقال آخر :

مَنْ سَرَّه أن يَرى المَنَايَا * بعَيْنِه مَنْظَرا صُرَاحا .

فلْيَحْسُ كأْسًا من التجَنِّى * ولْيَعْشَقِ الأَوْجُهَ المِلَاحا !

يا أعيُنًا أُرسِلَتْ مِراضا * فاختَلَسَتْ أعيُنًا صِحاحَا !

وقال آخر :

ما أقْتَلَ الحُبَّ ! والإنسانُ يجهَلُهُ * وكلُّ مالم يَذُقْه فهو مَجْهُولُ .

راح الرُّماةُ إلى بعض المَهَا ، فإذا * بَعضُ الرُّماةِ ببَعْضِ الصَّيدِ مَقْتُولُ !

وأما الآفات التى تجرى على العاشق من المرض والضَّنا والجنون والمخاطرات بالنفوس وإلقائها إلى الهلاك ، فهى كثيرة جدًا ، مشاهَدة ومسموعة .

فمن ذلك ماحكاه أبو الفرج بن الجوزى بسند يرفعه ، قال : لما بعثت قُرَيشٌ عمارةَ بن الوليد مع عمرو بن العاص إلى النجاشى يكلمانه فيمن قدم عليه من المهاجرين ، فراسل عمارة جارية لعمرو بن العاص كانت معه فصغَتْ إليه . فاطلع عمرو على ذلك

فوَجَد على عمارة. وكان عمارة أخبر عَمْرا أن زوجة النجاشىّ عَلِقته وأدخلته إليها فوشى عمرو بعمارة عند النجاشىّ وأخبره بالخبر ، فقال له النجاشىّ : ائتنى بعلامة أستدلُّ بها على ماقلتَ ! ثم عاد عمارة فأخبر عمرا بأمره وأمر زوجة النجاشىّ ، فقال له عمرو: لا أقبل هذا منك إلا أن تُعطِيَك من دُهْن الملك الذى لا يَدَّهن به غيره. فكلمها عمارة فى ذلك ، فقالت : أخاف من الملك فأبى أن يرضى منها حتّى تعطيه من ذلك الدُّهْن فأعطته منه فأعطاه عمرا فجاء به عمرو إلى النجاشىّ فنفخ سحرا فى إحليل عمارة. فذهب مع الوحش (فيما تقول قريش) فلم يزل متوحِّشا يرد ماء فى جزيرة بأرض الحبش حتى خرج إليه عبد الله بن أبى ربيعة فى جماعة من أصحابه فرَصَده على الماء فأخذه فجعل يصيح به : يابجير أرسلنى ! فإنى أموت إن أمسكتنى ! فأمسكه فمات فى يده .

وحكى عن محمد بن زياد الأعرابىّ قال : رأيت بالبادية أعرابيا فى عُنُقه تمائمُ وهو عُرْيانٌ وعلى سوأته خرقة وفى رجله حَبْل ومن خلفه عجوز آخذة بطَرَف الحبل وهو يَعَضُّ ذراعيه ، فقلت للعجوز : من هذا؟ فقالت : ابن ابنتى ! فقلت لها : أبه مَسٌّ من الجنّ ؟ فقالت : لا والله ولكنه نشأ وابنة عم له فى مكان واحد ، فعُلِّقها وعُلِّقته . فحبسها أهلها ومنعوها منه فزال عقله وصار إلى ما ترى ! فقلت لها : ما اسمه قالت : عكرمة . فقلت : أيا عِكْرِمة ما أصابك ؟ قال : أصابنى داء قيس وعروة وجميل : فالجسم منى نحيل ، والفؤاد عليل . قال : فتركته ومضيت .

وحكى عن عباس بن عبيد ، قال : كان بالمدينة جارية ظريفةٌ حاذقةٌ بالغناء فهَوِيتْ فتى من قريش ، فكانت لا تُفارقه ولا يفارقها . فملَّها الفتى وفارقها ، وتزايدت محبتها له حتى ولِهَتْ . وتفاقم الأمر بها حتّى هامت على وجهها ومزَّقت ثيابها ، فرآها مولاها فى ليلة من الليالى ، وهى تدور فى السِّكك ومعه أصحاب له ، فجعلت تبكى وتقول :

الحُبُّ أوّل ما يكونُ لَجَاجَة * تَأْتِي به وتَسُوقُه الأقدارُ.
حتّى إذا اقتحم الفتى لُجَجَ الهوى * جاءت أمورٌ لا تُطاق كِبَارُ.

قال : فما بقي أحد إلا رحمها . فقال لها مولاها : يافلانة، امضي معنا إلى بيتنا! فأبت وقالت :

* شَغَلَ الحَلْيُ أهلَه أن يُعارَا *

قال : وذكر بعض من رآها ليلة وقد لقيتها جاريةٌ أخرى مجنونةٌ فقالت لها : فلانة، كيف أنت؟ قالت : كما لا أحب، فكيف أنت من وَلَهك وحُبّك؟ قالت : على مالم يَزَلْ، يتزايد على مَرِّ الأيام! قالت لها : فغنّي بصوتٍ من أصواتك فإني قريبة الشّبه بك ! فأخذت قصبة تُوقّع بها وغنّت :

يامَنْ شَكَا ألَمًا لِحُبِّ شبّهه * بالنار في القَلْب من حُزْنٍ وتَذْكارِ!
إنّي لأعْظِمُ ما بي أن أشَبِّهَه * شيئا يُقاس إلى مِثْلٍ ومِقْدارِ.
لو أنّ قَلْبِيَ في نارٍ لأحرقها * لأنّ أجزاءه أذكى من النّارِ!

ثم مضت .

وحكى عن سليمان بن يحيى بن معاذ قال : قدم عليّ بنيسابورَ إبراهيم بن سبابة الشاعر البصري . فأنزلته عليّ فجاء ليلة من الليالي وهو مكروب قد هاجَ . فجعل يَصيح بي : ياأبا أيوب ! فخشيت أن يكون قد غشيَتْه بليةٌ، فقلت : ماتشاء ؟

فقال : * أعْيانِيَ الشادِنُ الرَّبِيبُ! *

فقلت : بما ذا ؟

فقال : * أشْكُو إليه فلا يُجِيبُ! *

فقلت : داره وداواه !

فقال :

مِنْ أينَ أبغِى شِفاء دائِى؟ * وإنمـا دَائِىَ الطَّبِيب!

فقلت : إذنْ يفرّج الله عز وجل !

فقال :

يارَبِّ، فَرِّج إذًا وعَجِّل، * فإنَّك السامِـعُ المُجِيبُ!

ثم انصرف .

وحدث عن على بن محمد النوفلىّ عن أبى المختار عن محمد بن قيس العبدىّ، قال: إنى لبمزدلفة بين النائم واليقظان إذ سمعت بكاء حرقا وغناء عاليا . فاتبعتُ الصوت فإذا أنا بجارية كأنها الشمس حسنا ومعها عجوز . فلَطئتُ بالأرض لأمتع عينى بحسنها، فسمعتها تقول :

دعوتُكَ يامولاى سرا وجَهْـرة * دعاءَضعيف القلب عن محمل الحبِّ!

بُليتُ بقاسى القلب لايَعرف الهوى * وأقتـلِ خلق الله للهائم الصبِّ!

فإن كنتَ لم تقض المودّة بيننا * فلا تُخْـلِ من حبٍّ له أبدا قلبى!

رضيتُ بهذا ماحييتُ فإن أمتْ * فحسبى مَعَادا فى المعاد به حسبى!

قال : وجعلت تردّد هذه الأبيات وتبكى، فقمتُ إليها وقلت : بنفسى من أنتِ؟ مع هذا الوجه وهذا الجمال يمتنع عليك من تريدين ؟ قالت : نعم! والله إنه يفعل تصبرا وفى قلبه أكثر مما فى قلبى! قلت : فإلى كم البكاء؟ قالت : أبدا! أو يصير الدمع دما وتتلَف نفسى غما . فقلت : إن هذه آخر ليلة من ليالى الحج، فلو سألت الله تعالى التوبة مما أنتِ فيه، رجوتُ أن يذهب حبه من قلبك! قالت : يا هذا، عليك بنفسك فى طلب رغبتك، فإنى قد قدّمت رغبتى إلى من ليس يجهل بغيتى! وحوّلتْ وجهها عنى، وأقبلتْ على بكائها وشعرها .

وحكى أبو الفرج، عبد الرحمن بن على بن محمد بن الجوزىّ فى كتابه المترجم بـ"ذمّ الهوى" بسند رفعه إلى هشام بن عروة، قال: أذِنَ معاوية بن أبى سفيان يوما للناس، فكان فيمن دخل عليه فتى من بنى عُذْرة. فلما أخذ الناس مجالسهم، قام الفتى العذرىّ بين السماطين فأنشأ يقول:

مُعاوِىَ، ياذا الفَضْلِ والحِلْمِ والعَقْلِ * وذا البِرِّ والإحسانِ والجُودِ والبَذْلِ!
أتيتُك لمّا ضاقَ فى الأرض مَسْكَنِي * وأنكَرْتُ مما قد أُصِبتُ به عَقْلِي.
ففَرِّج — كَلَاك اللهُ — عنّى فإننى * لَقِيتُ الذى لم يَلْقَهُ أحدٌ قَبْلِي!
وخُذْ لى — هداك اللهُ — حقّى من الذى * رمانى بسَهْمٍ كان أهونُه قَتْلِي!
وكنت أُرَجّى عَدْلَه إن أتيتُه * فأكثر تَرْدادى مع الحَبْس والكَبْلِ!
سَبانِىَ سُعْدى وانبرى لخُصُومتِي * وجارَ ولم يَعْدِلْ وغاصَبَنى أهْلِي.
فطَلَّقتُها من جَهْدِ ما قد أصابَنِي! * فهذا أميرَ المؤمنين من العَدْل؟

فقال معاوية: أدْنُ بارك الله عليك! ماخَطْبك؟ فقال: أطال الله بقاء أمير المؤمنين!

(٥٥) إننى رجل من بنى عُذْرة، تزوجت ابنة عمّ لى. وكانت لى صِرْمةٌ من الإبل وشُوَيْهات فأنفقت ذلك عليها، فلما أصابتنى نائبة الزمان وحادثات الدهر، رَغِب عنى أبوها. وكانت جارية فيها الحياء والكرم، فكرِهَتْ مخالفة أبيها. فأتيت عاملك مروان بن الحكم مستصرخا به راجيا لنصرته. فذكرت له قصتى، فأحضر أباها وسأله عن قضيتى. وكان قد بلغه جمالها، فدفع لأبيها عشرة آلاف درهم، وقال له: هذه لك، وزوّجنى بها وأنا أضمن خلاصها من هذا الأعرابىّ! فرغب أبوها فى البذل فصار الأمير لى خصما وعلىّ منكرا! فانتهرنى وأمر بى إلى السجن وأرسل إلىّ أن أطلقها فلم أفعل. فحبسنى وضيق علىّ وعذبنى بأنواع العذاب، فلما أصابنى مَسُّ الحديد وألَمُ العذاب ولم أجد

بُدًّا عن ذلك، طلقتها . فما استكملت عدّتها حتّى تزوج بها. فلما دخل بها أرسل إلىّ فأطلقنى . وقد أتيتك يا أمير المؤمنين مستجيرا بك، وأنت غياث المكروب، وسند المسلوب . فهل من فرج؟ ثم بكى وقال فى بكائه :

فى القَلْبِ مِنِّى نارُ * والنارُ فيها اسْتِعارُ!
والجِسْمِ مِنِّى نَحِيلٌ * واللونُ فيه اصْفِرارُ.
والعينُ تَبْكِى بشَجْوٍ * فَدَمْعُها مِدْرارُ.
والحُبُّ داء عَسِيرٌ * فيه الطَّبِيبُ يَحارُ.
حُمِّلْتُ منه عَظِيما * فما عليه اصْطِبارُ.
فليْسَ لَيْلِى لَيْلٌ * ولا نَهارِى نَهارُ!

فرقّ له معاوية وكتب إلى ابن الحكم كتابا غليظا، وكتب فى آخره :

رَكِبْتَ أمرًا عظيما لستُ أعْرِفُه * أستغفرُ اللهَ من جَوْرِ امرِئٍ زانى!
قد كُنتَ تُشْبِه صُوفِيًّا له كُتُبٌ * من الفرائض أو آياتِ فُرقانِ.
حتّى أتانا الفتى العُذْرِىُّ متّجِبًا * يَشْكُو إلىّ بحقّ غيرِ بُهتانِ.
أعْطِى الإلٰهَ عُهُودًا لا أُخِيسُ بها * أوْ لا فبُرِّئت من دِينٍ وإيمانِ!
إن أنتَ راجَعْتَنِى فيما كَتَبْتُ به * لأجعَلَنَّك لَمْا بين عِقْبانِ!
طَلِّقْ سُعادَ، وجَهِّزها معجَّلةً * مع الكُمَيْتِ، ومع نَصْرِ بن ذبيانِ!
فما سمعتُ كما بُلِّغتُ من عَجَبٍ * ولا فعالُك حقًّا فعْلُ إنسانِ!

ثم طوى الكتاب ودفعه إلى الكميت ونصر بن ذبيان وقال : اذهبا به إليه !

قال : فلما ورد كتاب معاوية على ابن الحكم وقرأه تنفس الصُّعَداء، وقال : وَدِدْتُ أن أمير المؤمنين خلّى بينى و بينها سنة ثم عرضنى على السيف ! وجعل يؤامر نفسه

فى طلاقها فلا يقدر . فلما أزعجه الوفد طلقها وأسلمها إليهما . فلما رآها الوفد على هذه الصورة العظيمة وما اشتملت عليه من الجمال المفرط ، قالوا : لا تصلح هذه إلا لأمير المؤمنين ! وكتب ابن الحكم كتابا لأمير المؤمنين معاوية ، ودفعه إليهما مع الجارية . فكان مما كتب فيه يقول :

لا تحنثنّ أميرَ المؤمنينَ فقدْ * أُوفِى بعَهْدك فى رفق وإحسان.
وما ركِبتُ حراماً حينَ أعجبَنِى ، * فكيفَ سُمِّيتُ باسمِ الخائنِ الزانِى؟
أعذر فانك لو أبصرتها لجرَتْ * منك الأمانى على تمثال إنسانِ!
وسوف تأتيكَ شمسٌ ليس يعدِلها * عند البَرِيَّة من إنس ومن جانِ!
حَوْراءُ يقصُرعنها الوصفُ إن وُصِفتْ ، * أقولُ ذلك فى سِرٍّ وإعلانِ!

فلما ورد الكتاب على معاوية وقرأه ، قال : لقد أحسن فى الطاعة ، ولكن أطنب فى ذكر الجارية ! ولئن كانت أعطيت حسن النَّغْمة مع هذا الوصف الحسن فهى أكمل البرية! فأمر بإحضارها ، فلما مثلتْ بين يديه ، استنطقها فإذا هى أحسن الناس كلاما وأكملهم شَكْلا ودَلالا . فقال : يا أعرابىّ ، هذه سعدى ! ولكن هل لك عنها من سَلْوة بأفضل الرغبة ؟ قال نعم ، إذا فرّقت بين رأسى وجسدى ! فقال : أعوّضك عنها يا أعرابىّ ثلاث جوارٍ أبكار ومع كل واحدة ألف دينار وأقسم لك من بيت المال ما يكفيك فى كل سنة ويعينك على صحبتهنّ . فشهق شهقة ظن معاوية أنه مات . فقال له : مابالك ياأعرابىّ؟ قال : أشرٌّبال وأسوأ حال ، استجرت بعدلك من جور ابن الحكم ، فعند من أستجير من جورك ؟ ثم أنشأ يقول :

لاتجعلَنّى والأمثالُ تُضْرَبُ بِى * كالمُستغيثِ من الرَّمْضاء بالنارِ!
أُردُدْ سُعادَ على حَيْرانَ مكتئبٍ * يُمسى ويُصْبِح فى هَمٍّ وتَذْكارِ!

فـد شَـفَّه قلقٌ مامثـلُه قَلَقٌ * وأسْـعِر القلبُ منه أىّ إسـعار!
كَيْفَ السُّلُوُّ، وقد هام الفؤاد بها * وأصـبَحَ القلبُ عنها غيرَ صَبَّارِ؟

قال: فغضب معاوية غضبا شديدا، ثم قال: يا أعرابىّ، أنت مقرٌّ بأنك طلقتها! (٥٦)
ومَرْوان مقرٌّ بأنه طلقها، ونحن نخيرها فان آختارتك أعدناها إليك بعَقْد جديد، وإن اختارت سواك زوّجناه بها. ثم آلتفت إليها أمير المؤمنين وقال: ما تقولين، ياسُعْدى؟ أيّنا أحبُّ إليك، أمير المؤمنين فى عزه وشرفه وسلطانه وما تصيرين إليه عنده، أو مروانُ بن الحكم فى عَسْفه وجَوْره، أو هذا الأعرابى فى فقره وسُوء حاله؟ فأنشأت تقول:

هذا، (١) وانْ كانَ فى فَقْرٍ وإضرارِ، * أعَزُّ عندِىَ مِن قَوْمِى ومِن جارى!
وصاحبِ التَّاجِ أو مَرْوانَ عامِلِهِ * وكلِّ ذى درْهمٍ عِنْـدى ودينـارِ!

ثم قالت: والله يا أمير المؤمنين، ما أنا بخاذلته لحادثة الزمان ولا لنَكَبات الأيام! وإن لى معه صحبة لاتُنْسى ومحبة لا تَبِيل! والله إنى لأحق مَنْ صبر معه فى الضراء كما تنعّمت معه فى السرّاء! فعجب كلُّ من كان حاضرا. فأمر له بها ثم أعادها له بعقد جديد، وأمر لهما بألف دينار. فأخذها وآنصرف يقول:

خَلُّوا عن الطَّرِيق للأعْرابِى! * ألم تَرِقُّوا، وَيْحَكُمْ مِمَّا بِى؟

(٢) [قال: فضحك معاوية وأمر بها فأدخلت فى قصوره حتى آنقضت عدّتها من آبن الحكم ثم أمر برفعها الى الأعرابى].

---

(١) روى هذا الشعر فى نسخة أخرى على وجه آخر وهو:

هـذا وإن أصبح فى أطمار * وكان فى نقص من اليسار
أكثر عندى من أبى وجارى * وصاحب الدرهم والدينار
* أخشى إذا غدرت حرّ النار *

(٢) وجدت هذه الزيادة فى بعض النسخ.

ولقد ساق ابن الجوزى فى كتابه من أخبار العشاق وما نالهم من الأمراض والجنون والضنا، وقصّ كثيرا من أخبارهم، تركنا إيراد ذلك رغبةً فى الاختصار، لأنه أمر غير منكور .

وأما من خاطر بنفسه وألقاها إلى الهلاك لأجل محبوبه، فمن ذلك ما روى عن أبى ريحانة أحد حجاب عبد الملك بن مروان أنه قال : كان عبد الملك يجلس يومين فى الأسبوع جلوسا عامًّا للناس : فبينا هو جالس فى مُستَشْرَفٍ له وقد ادخلت عليه القصص، إذ وقعت فى يده قِصَّة غير مترجمة . فيها :

«إن رأى أمير المؤمنين أن يأمر جاريته فلانة تغنينى ثلاثة أصوات ثم ينفذ فىّ ماشاء من حكمه، فعل ! » .

فاستشاط من ذلك غضبا وغيظا، وقال : يارباح ! علىّ بصاحب هذه القصة ! فخرج الناس جميعا فأدخل عليه غلام كأعذّر، من أحسن الفتيان، فقال له عبد الملك : يا غلام، هذه قصتك؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين، قال : وما الذى غرّكَ منّى؟ والله لأمثلنّ بك ولأردعنّ بك نظراءك من أهل الجسارة ! ثم قال : علىّ بالجارية فجىء بها كأنها فِلقة قمر ! وبيدها عودها ووضع لها كرسىّ، فجلستْ، فقال عبد الملك : مرها يا غلام ! فقال لها : يا جارية، غنينى بشعر قيس بن ذَرِيح :

لقد كنتِ حَسْبَ النفس، لو دام ودنا، * ولكنما الدنيا متاع غُـرورِ !
وكنّا جميعًا قبـل أن يَظْهرَ الهوى * بأنعَـمِ حالَىْ غبطةٍ وسُـرورِ .
فـا بَرِحِ الواشُونَ حتّى بدَتْ لنـا * بُطونُ الهـوى متلوبةً لظُهـورِ .

فغنّت . فخرج الغلام من جميع ما كان عليه من الثياب تخريقا ، ثم قال له عبد الملك : مرها تغنك الصوت الثانى! فقال : غنينى بشعر جميل :

ألا ليْتَ شِعْرِى ! هل أَبِيتَنَّ ليلةً * بوادى القُرى؟ إنى إذًا لَسعِيدُ!
إذا قلتُ : مابِى يابُثَينةُ قاتِلِى * من الحُبِّ! قالت: ثابتٌ ويَزِيدُ!
وإن قلتُ: رُدِّى بعضَ عقْلِى أعِشْ به * مع الناس! قالتْ: ذَاك مِنكَ بَعِيدُ!
فلا أنا مرْدُودٌ بما جئتُ طالِبًا، * ولا حُبُّها فيما يَبِيدُ يَبِيدُ!
يموتُ الهوى منِّى إذا ما لقِيتُها، * ويَحْيَا إذا فارقْتُها فيعُودُ!

فغنته الجارية . فسقط الغلام مغشيًّا عليه ساعة . ثم أفاق، فقال له عبد الملك : مرها فلتغنك الصوت الثالث! فقال ياجارية! غنينى بشعر قيس بن الملوح :

وفى الحِيرةِ الغادِينَ من بَطْنِ وَجْرةٍ * غزالٌ غَضِيضُ المُقْلتيْنِ رَبِيبُ.
فلا تحسَبِى أن الغَرِيبَ الذى نَأى، * ولكنَّ من تَنْأيْنَ عنه غَرِيبُ!

فغنته الجارية فطرح نفسه من المستشْرَف، فتقطع قبل وصوله إلى الأرض . فقال عبد الملك : ويحه! لقد عجّل على نفسه! ولقد كان تقديرى فيه غيرَ الذى فعل! وأمر بإخراج الجارية عن قصره، فأُخرجت . ثم سأل عن الغلام فقالوا : غريب، لا يعرف إلا أنه منذ ثلاث ينادى فى الأسواق، ويده على رأسه :

غَدًا يكثُرُ الباكُونَ منا ومِنْكُمُ، * وتَزْدادُ دارِى مِنْ دِيارِكُمُ بُعْدَا! (٥٧)

وحكى أن مثل هذه الحكاية جرت فى مجلس سليمان بن عبد الملك .

حكى عن أبى عثمان الجاحظ أنه قال : قعد سليمان بن عبد الملك يوما للمَظَالم وعُرِضتْ عليه القِصَص فمرّت به قصة فيها : إنْ رأى امير المؤمنين أن يُخرج إلىَّ فلانة

(إحدى جواريه) حتّى تغنيني ثلاثةَ أصوات، فعل . فاغتاظ سليمان وأمر أن يؤتى برأسه . ثم أتبع الرسول برسول آخر فأمره أن يدخلَ الرجلَ إليه . فلما مثل بين يديه، قال له : ما الذى حملك على ما صنعتَ؟ فقال : الثقة بحلمك، والاتكال على عفوك ! فأمره بالجلوس، فجلس حتى لم يبق من بنى أمية أحد . ثم أمر بإخراج الجارية فأخرجت ومعها عود، ثم قال : آختَرْ ! فقال : تغنى لى بقول قيس بن الملوّح :

تَعلّق رُوحى رُوحها قبلَ خَلْقِنا * ومن بَعْدِ أنْ كنّا نِطَافًا وفى المَهْدِ !
فعاشَ كما عِشْنا فأصبح ناميًا، * وليسَ - وإن متنا - بمنقصف العَهْدِ .
يكاد فَضِيض الماء يَخْدِشُ جلْدَها، * اذا آغتسلت بالماء من رِقّة الجِلْدِ .
وإنّى لَمُشْتاق إلى رِيح جَيْبِها، * كما آشتاقَ إدريسُ إلى جَنّة الخُلْدِ !

فغنت . ثم قال : تأمر لى برطل . فأمر له به فشربه . ثم قال : تغنى بقول جميل :

عَلِقتُ الهوى منها وَلِيدًا، فلم يَزَلْ * إلى اليوم يَنْمِى حبُّها ويَزِيدُ .
وأفنيتُ عُمْرِى فى آنتظار نَوالِها * وأبْلَيْتُ فيها الدَّهرَ وهو جَدِيدُ .
فلا أنا مردودٌ بما جئتُ طالِبًا، * ولا حُبُّها فيما يَبِيد يَبِيدُ .
إذا قلتُ : ما بى يابُثَينةُ قاتِلِى * من الحُبِّ ! قالت : ثابت ويَزِيدُ .
وإن قلتُ : ردّى بعضَ عَقْلِى أعِشْ به * مع الناسِ ! قالتْ : ذاكَ منكَ بعيدُ .

فغنّت، فقال له سليمان : قل ماتريد؟ قال : تأمر لى برطل، فأمر له به فشربه . ثم قال : تغنى بقول قيس بن ذريح :

"لقد كنت حَسْبَ النفس" الأبيات

فغنت . فقال له سليمان : قل ما تشاء ! قال : تأمر لى برطل ! فأمر له به ، فما آستتمه حتّى وثب فصعد إلى أعلى قبة ثم زَجّ نفسه على دماغه فمات . فاسترجع سليمان وقال : أتُراه توهّم الجاهلُ أنى أُخرج إليه جاريتى وأردّها إلى ملكى؟ ياغلام خذ بيدها فآنطلق بها إلى أهله إن كان له أهل ، و إلا فبيعوها وتصدّقوا بثمنها عنه . فلما آنطلقوا بها ، نظرتْ إلى حفرة فى الدار قد أُعِدّت للمطر ، فجذبت يَدَها من أيديهم وأنشأت تقول :

مَنْ ماتَ عِشْقا فليمُتْ هكذا ! * لاخَـيْرَ فى عشْق بلا مَوْتِ !

وزجت نفسها فى الحفرة على دماغها . فماتت .

وقد حكى أيضا مثل هذه ، وأنها وقعت للرشيد .

روى عن أبى بكر محمد بن علىّ المخزومىّ قال : آشتريتُ للرشيد جارية مدنية . فأُعْجِبَ بها وأمر الفضلَ بن الربيع أن يبعث فى حَمْل أهلها ومواليها لينصرِفُوا بجوائزها . وأراد بذلك تشريفها . فوفد إلى مدينة السلام ثمانون رجلا ، ووفد معهم رجل من أهل العراق آستوطن المدينة كان يهوى الجاريةَ . فلما بلغ الرشيدَ خبرُ مَقْدَمِهم أمر الفضلَ أن يخرج إليهم ليكتب آسمَ كل واحد منهم وحاجتَه ، ففعل . فلما بلغ إلى العراقىّ قال : ماحاجتك؟ قال له : إن أنت كتبتَها وضمنت لى عَرْضَها مع ما يُعرَض ، أنبأتك بها . فقال : أفعلُ ذلك . فقال : حاجتى أن أجلس مع فلانة حتّى تغنّينى ثلاثة أصوات وأشربَ ثلاثةَ أرطال ، وأخبرها بما تُجِنّ ضُلوعى من حبها ! فقال الفضل : أنت مُوَسْوس مدخُول عليك فى عقلك ! فقال : ياهذا ، قد أُمِرتَ أن تكتب ما يقول كلُّ واحد منا فآكتب ما أقول وآعرضه ، فإن أُجبت إليه و إلا فأنت فى أوسع العذر ، فدخل الفضل مغضَبا فوقف بين يدى الرشيد ، وقرأ عليه ما كتب من حوائجهم . فلما فرغ

قال : يا أمير المؤمنين فيهم واحد مجنون ! سأل ما أُجِلُّ مجلس أمير المؤمنين عن التفوه به . فقال : قل ، ولا تجزَعنّ ! فقال : قال كذا وكذا . فقال : آخرج إليه ، وقل له « إذا كان بعد ثلاث ، فآحضُرْ ليُنجزَ لك ماسألت » . وكن أنت متولّيَ الآستئذان له . ثم دعا بخادم فقال له : آمض إلى فلانة فقل لها : حَضَر رجل يذكر كذا وكذا وقد أجبناه إلى ماسأل فكُوني على أُهْبة . وخرج الفضل إلى الرجل وأخبره بما قال الرشيد ، فانصرف وجاء فى اليوم الثالث . فعرّف الفضل الرشيد خبره فقال : يُوضَع له بحيث أرى كرسيٌّ من فضة ، وللجارية كرسيٌّ من ذهب ! وليُخرَج إليه ثلاثة أرطال ! ففعلوا ذلك وجاء الفتى فجلس على الكرسيّ ، والجارية بإزائه ، فجعل يحدّثها والرشيد يراهما . فقال له الخادم : لم تُدْخَل فتشتُو وتُصَيِّف ! فأخذ رطلا وخرّ ساجدا ، وقال : إن شئت أن تغنّى فغنّى :

خَلِيلَيَّ عُوجَا ! بارَكَ اللهُ فيكما * وإن لم تكُنْ هندٌ بأرضكما قَصْدا !
وقُولَا لها : ليس الضلالُ أجازَنَا ، * ولكنّما جُزْنا لنَلْقاكُمَا عَمْدا !
غَدًا يَكْثُرُ الباكُون منا ومِنْكُمُ ، * وتَزْدادُ دارى من دِيَارِكُمُ بُعْدَا !

فغنت ، فشرب الرطل . وحادثها ساعة . فآستحثه الخادم فأخذ الرطل بيده وقال : غنى جعلنى الله فداءك !

تَكَلَّمُ مِنَّا فى الوُجوه عُيونُنا ، * فنحنُ سُكوتٌ والهوى يَتَكَلَّمُ !
ونَغْضَب أحيانًا ونَرضى بطَرْفنا ، * وذلكَ فيما بَيْنَنا ليس يُعْلَمُ !

فغنته وشرب الرطل الثانى وحادثها ساعة . وآستعجله الخادم فخرّ ساجدا يبكى وأخذ الرطل بيده وآستودعها الله وقام ودموعه تستبق آستباق المطر وقال : إذا شئت أن تغنّى فغنّى .

أحسنَ ما كُنَّا تفرّقنا * وخاننا الدّهرُ وما خُنّا!
فليتَ ذا الدّهرَ لنا مَرَّةً * عادَ لنا الدّهرُ كما كنّا!

فغنته الصوتَ، فقلّب الفتى طرفه فبَصُر بدرجة فى الصحن، فأمها. فاتبعه الخدم ليَهْدُوه الطريقَ. ففاتهم وصعد الدرجة فألقى نفسه إلى الأرض على رأسه فمات. فقال الرشيد: عجّل الفتى! ولو لم يعجّل لوهبتُها له!

* * *

وممن خاطر بنفسه فى هواه وعَرَّضها للتلف فنجا ونال خيرا، ما حكاه ابن الجوزى بسند يرفعه إلى أبى الفرج أحمد بن عثمان بن إبراهيم الفقيه المعروف بابن الترسى قال: كنت جالسا بحضرة أبى، وأنا حَدَث، وعنده جماعة. فحدّثنى حديث وصول النعم إلى الناس بالألوان الظريفة. وكان ممن حضر صديق لأبى. فسمعته يحدّث أبى، قال: حضرت عند صديق لى من التُّجّار — كان يتّجر بمائة ألف دينار — فى دعوة. وكان حسن المُروءة، فقدّم مائدة وقدّم عليها ديكْبِرِيكة[1] فلم يأكل

(١) فى الباب الثانى الخاص بالحوامض من كتاب "صفة الأطعمة" الموجود منه نسخة فتوغرافية بدار الكتب المصرية مانصه:

«ديكبريكة. يقطّع اللحم أوساطا و يترك فى القدر ويلق عليه يسير ملح وكف حمص مقشور وكسفرة يابسة و رطبة و بصل مقطع وكراث و يطرح عليه غمرة ماء، و يغلى ثم تؤخذ رغوته و يلق عليه شيرج يسير وخل خمر ومرى و يلق عليه قليل فلفل مسحوق ناعم و يطبخ حتى يتبين طعمه. ومن الناس من يحلها بقليل سكر فاذا نضجت طرح فيها أطراف الطيب مع فلفل وكزبرة يابسة وتترك حتى تهدأ وترفع» انتهى.

والظاهر أن صواب اللفظ (ديكبرديكة) ثم اختصر أو حرف الى ديكبريكة وديكريكة لأن الذى فى المعاجم الفارسية (ديك برديك) فمعنى (ديك) القدر و (بر) فوق وعلى، فيكون المراد قدر فوق قدر. وتقول هذه المعاجم إن هذا النوع المزدوج يستعمل لأعمال التصعيد والتقطير. ولا يبعد أن يكون هذا الطعام مما يعالج فى طبخه بالبخار أى بوضع قدره على قدر أخرى فيها ماء يغلى على النار فسمى الطعام باسم وعائه اهـ.

أفادنيه حضرة صاحب السعادة العلامة أحمد تيمور باشا.

منها . فامتنعنا . فقال : كلوا ! فإنى أتأذّى بأكل هذا اللون . فقلنا : نساعِدُك على تركه . قال : بل أساعدكم على الأكل ، وأحتمل الأذى ! فأكل وأكلنا ، فلما أراد غسل يده أطال . فعددت عليه أنه قد غسلها أربعين مرة . فقلت : ياهذا ، وسوستَ ! فقال : هذه الأذية التى قرفت منها ! فقلتُ : وما سببها ؟ فامتنع من ذكر السبب ، فلما ألححتُ عليه ، قال : مات أبى وسنى عشرون سنة ، وخلّف لى نعمة وفيرة ورأس مال ومتاعا فى دكانه . فقال لما حضرته الوفاة : يابُنَىّ ! إنه لا وارثَ لى غيرك ، ولا دَيْنَ علىّ ولا مَظْلِمةَ . فإذا أنا متُّ فأحسِنْ جهازى وتصدّق عنى بكذا وكذا . وأخرج عنى حَجّة بكذا . وبارك الله لك فى الباقى ! ولكن احفظ وصيتى ! فقلت : قُلْ ! قال : لا تسرف فى مالك . فتحتاجَ إلى ما فى أيدى الناس فلا تجده . واعلم أن القليل مع الإصلاح كثير ، والكثير مع الفساد قليل . فالزم السُّوقَ وكن أوّل من يدخلها ، وآخِرَ من يخرج منها . وإن استطعت أن تدخلها سَحَرا بليل فافعل ، فإنك تستفيد بذلك فوائد تكشفها لك الأيام ، ومات . فأنفذتُ وصيته ، وعملتُ بما أشار به . وكنت أدخُل السوق سَحَرا ، وأخرج منها عِشاء . فلا أعدَمُ مَن يجىء يطلب كفنا فلا يجد من قد فتح غيرى فأحتكم عليه ، ومَن يبيع شيئا والسوق لم تقم فأبتاع منه ، وأشياء من هذه الفوائد . ومضى علىّ سنة وكسر ، فصار لى بذلك جاه عند أهل السوق وعرفوا استقامتى وأكرمونى . فبينا أنا جالس يوما ولم تتكامل السوق ، وإذا بامرأة راكبة حمارا مصريا وعلى كفله منديل دبيقىّ (١) ومعها خادم وهى بزىّ القهارمة . فبلغت آخر السوق ثم رجعت ، فنزلت عندى . فقمت إليها وأكرمتها ، وقلت : ما تأمرين ؟ وتأملتها فإذا بامرأة لم أر قبلها

(١) دبيق (بالباء الموحدة ثم الياء) مدينة كانت بالقرب من دمياط وكانت مشهورة بنفائس المنسوجات التى تعرف بأسمها .

بعدها إلى الآن أحسن منها فى كل شىء . فتكلمتُ وقالت : أريد كذا وكذا (ثيابا طلبَتْها) . فسمعت نَغْمة ورأيت شكلا قتلنى فعشِقْتها فى الحال أشدّ عشق ، وقلت : أصبرى حتى يخرج الناس ، فآخذ ذلك لك فليس عندى إلا القليل مما يصلح لك . وأخرجت الذى عنـدى وجلستُ تحادثنى ، وكأن السكاكين فى فؤادى من عشقها . وكشفت عن أنامِل رأيتها كالطَّلْع ، ووجه كدارة القمر . فقمتُ لئلا يزيد علىّ الأمر ، وأخذتُ لها من السوق ما أرادتْ ، وكان ثمنـه مع مالى نحو خمسمائة دينار ، فأخذتْه وركبتْ ولم تعطنى شيئا . وذهب عنى لما تداخلنى من حبها أن أمنعها من المتاع إلا بالمال ، وأن أستدل على منزلها ومِن دار مَن هى ؟ فحين غابت عنى ، وقع لى أنها محتالة وأن ذلك سبب فقرى . فتحيرتُ فى أمرى وكتمتُ خبرى ، لئلا أفتضح بما للناس (٥٩) علىّ . وأجمعتُ على بيع مافى يدى من المتاع وإضافته إلى ما عندى من الدراهم وأدفع أموال الناس إليهم ولزوم البيت والاقتصار على غلة العقار الذى ورثتُه . وأخذتُ أشرع فى ذلك مدة أسـبوع ، وإذا بها قد أقبلتْ ونزلتْ عندى ، فحين رأيتُها أنسيتُ جميع ماجرى علىّ ، وقمت إليها . فقالت : يافتى ، تأخرنا عنك لشُغُل عرض لنا ، وماشككنا فى أنك لم تشك أنا أحتلنا عليك ، فقلت : قد رفع الله قدرَك عن هذا ! فقالت ، هاتِ التخت والطيار(١) ، فأحضرته ، فأخرجت دنانير عُتْقا ، فوفتنى المـال بأسره . وأخرجت تذكرة بأشياء أُخَر . فانفذتُ إلى التجّار أموالهم وطلبتُ منهم الذى أرادت ، وحَصَّلتُ أنا

(١) فى شرح المقامات الحريرية للمرزوقى المسمى بالايضاح فى تفسير قول الحريرى فى المقامة الثانية والأربعين « ثم اعتضد عصا التَّسيار وأنشد ملغزا فى الطيار .

وذى طيشة شقه مائل ✻ وما عابه بهما عاقل »

ما نصه : « الطيار معيار الذهب لأنه على شكل الطائر وقيل هو ميزان لا لسان له » أفادنيه حضرة صاحب السعادة العلامة أحمد تيمور باشا .

فى الوسط ربحا جيدا . وأحضر التُّجّاز الثياب فقمتُ وثمنتها معهم لنفسى . ثم بعتها عليها بربح عظيم ، وأنا فى خلال ذلك أنظر إليها نظر من تألف حبها ، وهى تنظر إلىّ نظر مَن فَطِنَتْ بذلك ولم تنكره . فَهَمَمْت بخطابها ولم أقدر عليه . وجمعت المتاع فكان ثمنه ألف دينار . فأخذتُه ، وركبت ولم أسألها عن موضعها . فلما غابت عنى ، قلتُ : هذه الآن الحيلة المحكَمة ! أعطتنى خمسمائة دينار وأخذت ألف دينار ، وليس إلا بيعُ عقارى الآن ، والحصولُ على الفقر ! وتطاولت غيبتها عنى نحو شهر . وألحّ التجّار علىّ بالمطالبة ، فعرضتُ عقارى على البيع ، ولازمنى بعضُ التجّار فوزنت جميع ما كنت أملكه وَرِقا وعَيْنا . فبينا أنا كذلك . إذ نزلت عندى . فزال عنى جميعُ ما كنت فيه برؤيتها . واستدعت الطيّار والتخت . فوزنت المال ورمت إلىّ تذكرة يزيد ما فيها على ألفى دينار بكثير . فتشاغلتُ بإحضار التجّار ودفع أموالهم إليهم وأخذ المتاع منهم ، وطال الحديث بيننا . فقالت لى : يافتى ، ألك زوجةٌ ؟ فقلت : لا ، والله ما عرفت امرأة قط ، وأطمعنى ذلك فيها ، وقلت : هذا وقت خطابها . والإمساكُ عنها عجزٌ ، ولعلها تعود أو لا تعود . وأردت كلامها فهِبْتُها . وقمتُ كأنى أحُثُّ التجار على جمع المتاع . وأخذتُ يد الخادم وأخرجتُ إليه دنانير وسألته أن يأخذها ويقضى لى حاجة . فقال : أفعل ، فقصصتُ عليه قصتى وسألتُهُ توسط الأمر بينى وبينها . فضحك وقال : والله إنها لك أعشق منك لها ! ووالله ما بها حاجة إلى أكثر هذا الذى تشتريه ، وإنما تأتيك محبةً لك وطريقا إلى مطاولتك ، فخاطبها ودعنى ، فجسَّرنى على خطابها فخاطبتها وكشفت لها عشقى ومحبتى وبكَيْت ، فضحكتْ . وتقبلت ذلك أحسن قبول . وقالت : الخادم يأتيك برسالتى . ونهضَتْ ولم تأخذ شيئا من المتاع ، فرددتُه على أصحابه . وحصل لى مما اشترته أولا وثانيا ألوفُ دراهم ربحًا ،

ولم أعرف النوم فى تلك الليلة شوقا إليها، وخوفا من انقطاع السبب بيننا. فلما كان بعد أيام جاءنى الخادم، فأكرمتُه وسألتُه عن خبرها، فقال: هى والله عليلة من شوقها إليك، فقلت: اشرحْ لى أمرها، فقال: هذه مملوكة السيدة أم المقتدر وهى من أخص جواريها، وأشتهت رؤيةَ الناس والدخول والخروج. فتوصلتْ حتّى جعلتها قَهْرَمَانة. وقد والله حدّثت السيدةَ بحديثك وبكت بين يديها وسألتها أن تزوّجها منكَ، فقالت السيدة: لا أفعل أو أرى هذا الرجل. فإن كان يستأهلك وإلا لم أدَعْك ورأيَك. وتحتاج أن تحتال فى إدخالك الدار بحيلة، فإن تمت وصلت بها إلى تزويجك بها، وإن انكشفت ضرب عنقك. وقد أنفذتنى إليك فى هذه الرسالة، وقالت لك: إن صبرتَ على هذا، وإلا فلا طريق لك والله إلىّ، ولا لى إليك بعدها! فحملنى ما فى نفسى أن قلت: أصبرُ، فقال: إذا كانت الليلة فاعبر إلى المحرم، وادخل إلى المسجد، وبت فيه. ففعلت ذلك. فلما كان وقت السَّحَر، إذا بطيار[1] قد قدم، وخدم قد رفعوا صناديق فراغا. فجعلوها فى المسجد وانصرفوا. وخرجت الجارية فصَعدت إلى المسجد، والخادمُ معها. فجلستُ وفرقتْ باقى الخدم فى حوائج، واستدعَتْنى فعانقَتْنى وقبلَتْنى. ولم أكن بِلْتُ ذلك منها قبله. ثم أجلستنى فى بعض الصناديق وأقفلته. وطلعت الشمس وجاء الخدم بثياب وحوائج من المواضع التى كانت أنفذتهم إليها، فجعلت ذلك بحضرتهم فى باقى الصناديق، وأقفلتها. وحُملت إلى الطيار وانحدر. فلما حصلت فيه ندمت وقلتُ: قتلت نفسى لشهوة، وأقبلت ألُومها تارةً، وأشجّعها وأمَنّيها أخرى، وأنذر النُّذور على خلاصى، وأوطّن مرة نفسى على القتل إلى أن بلغنا الدار. وحمل الخَدَم الصناديقَ، وحمل صندوقى

(١) أى زورق من الزوارق الخفيفة.

الخادم الذى يعرف الحديث ، وبادر به أمام الصناديق وهى معى ، والخدم يحملون بقيتها . وكلما جازت بطائفة من الخدم والبوابين، قالوا : نريد أن نفتّش الصندوقَ، فتصيح عليهم وتقول : متى جرى الرسم معى بهذا؟ فيمسكون عنها ورُوحى فى السِّياق إلى أن آنتهينا إلى خادم خاطبته هى بالأُستاذ . فعلمت أنه أجل الخَدَم، فقال : لابدّ من فتح الصندوق الذى معك ، فخاطبته بلين وذل، فلم يجبها . وعلمتُ أنها ماذَلّت ولها حيلة، فأغمى علىّ . وأنزلوا الصُّندوق ليفتحوه . فبُلْت من شدّة ما نالنى من الفَزَع، بجرى البول من خلال الصندوق . فصاحتْ : يا أستاذ، أهلكتَ علينا متاعا بخمسة آلاف دينار فى الصندوق . ثيابٌ مصبَّغات وماء ورد، وقد آنقلب على الثياب ، والساعةَ تخلط ألوانها . وهى هلاكى مع السيدة! فقال لها : خذى صندوقك إلى لعنة الله أنت وهو ، مُرّى ! فصاحت بالخدم : آحملوا، فأُدخلتُ الدار ورجعتْ إلىّ روحى . فبينا نحن كذلك إذ قالت : واويلاه ! الخليفة والله! فجاءنى أعظم من الأوّل . وسمعت كلام خدم وهو يقول من بينهم : ويك يا فلانة! إيش فى صندوقك؟ أرينى هو ، فقالت : ثياب لستى يا مولاى، والساعة أفتحه بين يديها ، وتراه ، وقالت للخدم : أسرِعُوا ويلكم ! فأسرعوا فأدخلتنى إلى الحجرة وفتحت الصندوق وقالت : آصعد من هذه الدرجة إلى الغُرْفة فاجلس فيها ، وفتحت صندوقا آخر فقلبت بعض ما فيه إلى الصندوق الذى كنت فيه، وأقفلت الجميعَ . وجاء المقتدرُ وقال : آفتحيه، ففتحته، فلم يرشيئا فيه . فصعِدتْ إلىّ وجعلت تقبلنى وترشُفُنى . ونسيتُ ماجرى . ثم تركتنى، وأقفلَتْ باب الحجرة يومها . ثم جاءتنى ليلا فأطعمتنى وسقتنى وآنصرفَتْ . فلما كان من غد جاءتنى ، فقالت : السيدة الساعةَ تجىء ، فانظر كيف تخاطبها ، ثم عادت بعد ساعة مع السيدة ،

وقالت : آنزل، فنزلت . فإذا بالسيدة جالسة على كرسيّ وليس معها إلا وَصيفتانِ وصاحبتي . فقبّلتُ الأرض وقمتُ بين يديها، فقالت : آجلس، فقلت : أنا عبد السيدة وخادمُها ، وليس من محلي أن أجلس بحضرتها ، فتأملتني وقالت : ما آخترتِ يافلانة إلا حسن الوجه والأدبِ، ونهضت، فجاءتني صاحبتي بعد ساعة . وقالت : أبشر، فقد أذِنَتْ لي في تزويجك،وما بقي الآن عقبة إلا الخروج. فقلت : يسلم الله ! فلما كان من غَدٍ حملتني في الصندوق . فخرجتُ كما دخلتُ بعد مخاطرة أُخرى وفزع ثان . ونزلت في المسجد ورجعت إلى منزلي، فتصدّقت، وحمدت الله تعالى على السلامة . فلما كان بعد أيام جاءني الخادم ومعه كيس وفيه ثلاثة آلاف دينار عينا وقال : أمرتني ستي بإنفاذ هذا إليك من مالها . وقالت : اشترِ به ثيابا وموكوبا وخدما، وأصلح به ظاهرَك . وآحضر يوم الموكب إلى باب العامّة . وقِف حتّى تُطلَب . فقد وافق الخليفة أن يزوجك بحضرته . فأخذتُ المال وأجبتُ عن رُقْعة كانت معه، وآشتريت ما قالوه بشيء يسير منه وبقي الأكثر عندي . وركبتُ إلى باب العامة في يوم الموكب بزيّ حسن . وجاء الناس فدخلوا إلى الخليفة . ووقفتُ إلى أن آستُدْعيتُ ودخلتُ . فإذا أنا بالمقتدر جالسا والقضاة والقوّاد وغيرهم من الهاشميين . فهِبْتُ المجلس وعُلّمت كيف أُسَلِّم . ففعلت . وتقدّم المقتدر إلى بعض القضاة الحاضرين فخطب لي وزوّجني . وخرجت من حضرته . فلما آنتهيت إلى بعض الدهاليز، عُدِل بي إلى دار عظيمة مفروشة بأنواع الفُرُش الفاخرة وفيها من الآلات والخدم والقماش مالم أر مثله قطُّ . وآنصرف من أدخلني . فجلستُ يومي لا أقوم إلا إلى الصلاة . وخدمٌ يدخلون وخدم يخرجون، وطعام عظيم ينقل وهم يقولون : الليلة تُزَف فلانة بآسم صاحبتي إلى زوجها البزّاز ،

وأنا لا أصدّق فرحا . فلما جاء الليل أثّر فىّ الجوع وأُقفلت الأبوابُ ، ويئستُ من الجارية ، فقمت أطوف الدار فوقعت على المَطْبَخ . ووجدت الطباخين جُلُوسا فاستطعمتهم فلم يعرِفُونى وقدّروني بعض الوكلاء . فقدّموا إلىّ هذا اللون مع رغيفين فأكلتهما وغسلت يدى بأشنان كان فى المطبخ وقدّرت أنها قد نقيت . وعدت إلى مكانى . فلما جنّ الليل إذا طبول وزمور وأصوات عظيمة . وإذا أنا بالأبواب قد فُتّحت وصاحبتى قد أُهْدِيت إلىّ وجاءوا بها فحلوها علىّ . وأنا أقدّر أن ذلك فى النوم . ثم تُرِكتْ معى فى المجلس . وتفرّق ذلك البَوْش . فلما خلونا ، تقدّمْتُ إليها فقبلتها وقبلتنى . فلما شمّت رائحة لحيتى ، رفَسَتْنى فرمت بى عن المِنَصّة وقالت : أنكرتُ والله أن تُفلح ياعامّى ، ياسَفِلة ، وقامت لتخرج . فقمت وعَلِقت بها وقبلتُ الأرض ورجلَيْها ، وقلت : عرّفينى ذنبى وآعملى بعده ما شئت . فقالت : ويحك ، أكلت ولم تغسِلْ يدك ! فقصصت عليها قصتى ، فلما بلغت إلى آخرها قلتُ : علىّ وعلىّ — وحلفتُ بطلاقها وطلاق كل آمرأة أتزوّجها وصدقة مالى وجميع ما أملكه والحجّ ماشيا على قدمىّ وكلّ مايحلف به المسلمون — لا أكلتُ بعدها ديكبريكة إلا غسلتُ يدى أربعين مرة . فآستحيتْ وتبسمتْ وصاحت : ياجوارى ! فجاء مقدار عشر جوار ووصائف . فقالت : هاتوا شيئا نأكل . فقُدّمتْ ألوان ظريفة وطعام من أطعمة الخلفاء . فأكلنا وغسلنا أيدينا . وآستدعت شرابا فشربْنا وغنّى أولئك الوصائفُ أطيبَ غناء وأحسنَه ، ثم قمنا إلى الفراش فخلوتُ بها وبتُّ بأطيب ليلة . ولم نفترق أسبوعا . وكانت يوم الأسبوع وليمةٌ عظيمة اجتمع فيه الجوارى . فلما كان من الغد ، قالت لى : إن دار الخلافة لاتحتمل المُقامَ فيها أكثر من هذا مع جارية غيرى ، لمحبة سيدتى لى . وجميع ماتراه

فهو هبة من السيدة لى . وقد أعطتنى خمسين ألف دينار من عين وورق وجوهر . ولى ذخائر فى خارج القصر كثيرةٌ من كل لون . وجميعها لك ، فاخرج إلى منزلك ، (٦١) وخذ معك مالا واشتر دارا سَرِيَّةً واسعةَ الصحن ، فيها بستان ، كثيرةَ الحُجَر . وتحوّل إليها ، وعرفنى لأنقل إليها هذا كله ، ثم آتيك ، وسلمت إلىّ عشرة آلاف دينار عينا . فخرجت وابتعتُ الدار وكتبتُ إليها بالخبر . فحملت إلىّ تلك النعمة بأسرها . فجميع ما أنا فيه منها ، فأقامت عندى كذا وكذا سنة أعيش معها عيش الخلفاء ، ولم أدع مع ذلك التجارةَ . فزاد مالى وعَظُمت منزلتى وأثْرَتْ حالى ، وولدتْ لى هؤلاء الفتيان وأومأ إلى أولاده . ثم ماتت (رحمها الله) وبقى علىّ من مضرَّة الديكيريكة ما شاهدتَه .

وبالجملة فلا يغترّ أحد بهذه الحكاية وأمثالها ، فيجهل بنفسه فيهلكها . "فالمُغَرَّر محمودٌ وإن سَلِمَا" .

* * *

وأما من كفر بسبب العشق فكثير جدّا لا يحصرون ، ومما ورد فى ذلك حكاية عجيبة أوردتها لغرابتها وهى مما حكاه ابن الجوزىّ فى كتابه المترجم "بذم الهوى" قال :

سمعت شيخنا أبا الحسن علىّ بن عبيد الله الزعفرانى يحكى أن رجلا اجتاز بباب امرأة نصرانية ، فرآها فهويها من وقته ، وزاد الأمرُ به حتّى غلب على عقله ، فحمل إلى البيمارستان . وكان له صديق يتردّد إليه ويترسّل بينه وبينها . ثم زاد الأمر به ، فقالت أمّه لصديقه : إنى أجىء إليه فلا يكلمنى ، فقال : تعالى معى ،

فأتت معه . فقال له : إن صاحبتك بعثت إليك رسالة ، قال : كيف ؟ قلتُ : هذه أمك تؤدّى رسالتها . فجعلت أمه تحدّثه عنها بشيء من الكذب . ثم زاد الأمر عليه ونزل به الموت ، فقال لصديقه : قد جاء الأجل وحان الوقت وما لقيت صاحبتى فى الدنيا ، وأنا أريد أن ألقاها فى الآخرة . فقال له : كيف تصنع ؟ قال : أرجع عن دين محمد ، وأقول عيسى ومريم والصليب الأعظم . فقال ذلك ومات .

فمضى صديقه إلى تلك المرأة فوجدها عليلة فجعل يحدّثها ، وأخبرها بموت صاحبها ، فقالت : أنا ما لقيته فى الدنيا وأنا أريد أن ألقاه فى الآخرة . وأنا أشهد أن لا إله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، وأنا بريئة من دين النصرانية . فقام أبوها فقال للرجل : خذوها الآن فإنها منكم ، فقام الرجل ليخرجَ ، فقال له : قِفْ ساعة ، فوقف ، فما لبث أن ماتت .

قال : وبلغنى عن رجل ببغداد (يقال له صالح المؤذن ، أذّن أربعين سنة ، وكان يُعْرَف بالصلاح) أنه صعد يوما إلى المنارة ليؤذن فرأى بنت رجل نصرانىّ كان بيته إلى جانب المسجد . فافتتن بها ، فجاء فطرق الباب فقالت له : من أنت ؟ قال : أنا صالح المؤذن . ففتحت له الباب فدخل وضمها إليه ، فقالت : أنتم أصحاب الأمانات ، فما هذه الخيانة ؟ فقال : إن وافقتنى على ما أريد وإلا قتلتك ، فقالت : لا ، إلا أن تترك دينك ، فقال كلمة الكفر وبرئ من الإسلام . ثم تقدّم إليها فقالت : إنما قلتَ هذا لتقضى غرضك ثم تعود إلى دينك . فكل من لحم الخنزير ، فأكل منه ، قالت : فاشرب الخمر ، فشرب . فلما دبّ الشرابُ فيه دنا منها فدخلت بيتا وأغلقت بينها وبينه

الباب، وقالت له : اصعد إلى السطح حتى إذا جاء أبي زوّجني منك . فصعد فسقط فمات . فخرجت إليه ولفته في مِسْح . وجاء أبوها فقصت عليه القصةَ فأخرجه في الليل ورماه في السكة . وظهر حديثه، فرُمي على مَزْبلة .

* * *

وأما من قَتَلَ بسبب العشق فلا يكاد ذلك يحصر كثرةً، وأعظمه وأشدّه واقعة عبد الرحمن بن مُلجم المرادىّ، لعنه الله .

قال النبيّ صلى الله عليه وسلم لابن عمه عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه : "يا عليّ أشقى الأولين عاقر ناقة صالح، وأشقى الأولين والآخرين قاتلك، وهو هذا" وأشار إلى ابن ملجم قبحه الله تعالى ولعنه، وأوجب له خزيه ومقته وعذابه، وذلك نكالا لما اجترأ عليه في قتله أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه . وذلك أن ابن ملجم قبحه الله رأى امرأة من تيم الرباب يقال لها قطام، كانت من أجمل النساء وكانت ترى رأيَ الخوارج، وقد قتل عليّ رضي الله عنه قومها يوم النَّهروان. فلما رآها ابن ملجم عَشقها فخطبها فقالت : لا أتزوّجك إلا على ثلاثة آلاف درهم وعبد وقينة، وأن تقتل عليّ بن أبي طالب . فحمله العشق على أن خسر الدنيا والآخرة، وتزوّجها على ذلك . وكان من خبره في قتل عليّ رضي الله عنه ما نذكره إن شاء الله تعالى في التاريخ .

وفي ذلك يقول الشاعر :

فلم أرَ مَهْرا ساقه ذُو سَماحةٍ ٭ كمَهْر قَطَام بيننا غيرَ مُعْجَم .
ثلاثةُ آلافٍ، وعبدٌ، وقينةٌ، ٭ وضربُ "عليٍّ" بالحُسَام المُصمِّم .
فلا مَهْرَ أغلى من "عليٍّ" وإن عَلَا ٭ ولا قَتْلَ إلا دُونَ قَتْلِ ابنِ مُلْجَم !

(٦٤) ومنهم من حمله العشق على قتل أبيه . وهو أبو عبد الملك مروان بن عبد الرحمن آبن مروان بن عبد الرحمن الناصر، و يعرف هذا "بالطليق" . كان يتعشق جارية كان أبوه قد رَبَّاها معه وذكر أنها له، ثم استأثر بها وخلا معها . فحمله العشق على أن آنتضى سيفا و رَصَد أباه فى بعض خلواته بها فقتله . فسجنه المنصور بن أبى عامر سنين ، ثم أطلقه . فلُقِّب "بالطَّلِيق" وآعتراه من ذلك شبه الجنون فكان يُصْرَع فى بعض الأوقات .

* * *

وأما من قُتل بسبب العشق، فروى عن الشعبىّ قال : دخل عمرو بن معد يَكرِب على عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقال له عمر : ياعمرو، أخبرنى عن أشجع مَن لَقِيت ، فقال : نعم يا أمير المؤمنين .

خرجت مرة أريد الغارة . فبينا أنا أسير إذا أنا بفرس مشدود ورمح مركوز، و إذا رجل جالس، وهو كأعظم ما يكون من الرجال خلقا ، وهو محتب بسيف . فقلت له : خذ حِذْرَكَ فإنى قاتلك ، فقال : ومَن أنت ؟ قلت : أنا عمرو بن معديكرب ، فشهق شهقة فمات .

فهذا أجبن من رأيت يا أمير المؤمنين .

وخرجت يوما حتّى آنتهيت إلى حىّ . فإذا أنا بفرس مشدود ورمح مركوز و إذا صاحبه فى وهدة يقضى حاجةً . فقلت : خذ حِذْرك فإنى قاتلك ، قال : مَن أنت؟ قلتُ : أنا عمرو بن معديكرب، قال: أبا ثور، ما أنصفتنى ، أنت على ظهر فرسك، وأنا فى بئر، فأعطنى عهدا أنك لا تقتلنى حتى أركب فرسى وآخذ حِذرى، فأعطيتُه عهدا أنْ لا أقتله حتى يركب فرسه و يأخذ حذره . فخرج من الموضع الذى كان فيه

حتى آحتبى بسيفه وجلس . فقلتُ له : ماهذا ؟ فقال - ما أنا براكب فرسى ولا بمقاتلك، فإن نكثت عهدك فأنت أعلم، فتركته ومضيت

فهذا يا أمير المؤمنين أحيل من رأيت !

ثم إنى خرجتُ يوما آخر حتّى آنتهيتُ إلى موضع كنت أقطع فيه . فلم أر أحدا فأجريتُ فرسى يمينا وشمالا فظهر لى فارس . فلما دنا منى إذا هو غلام قد أقبل من نحو اليمامة . فلما قَرُبَ منى سلَّم فرددت عليه وقلت : مَن الفتى ؟ قال أنا الحارث بن سعد، فارس الشهباء، فقلت له : خذ حذرك، فإنى قاتلك فقال : الويل لك ! مَن أنت ؟ قلت : أنا عمرو بن معديكرب، قال : الحقير الذليل ؟ والله ما يمنعنى من قتلك إلا آستصغارُك، فتصاغرت نفسى إلىّ وعظُم عندى ما آستقبلنى . فقلت له : خذ حذرك، فوالله لاينصرفُ إلا أحدنا، قال : أغرب، ثكلتك أمُّك ! فإنى من أهل بيت ما نَكَلْنا عن فارس قط ! فقلتُ : هو الذى تسمع، قال : آختر لنفسك، إما أن تَطْرِدَ لى، و إما أن أطْرِدَ لك، فاغتنمتها منه، فقلت : أطرد لى، فاطردَ وحملتُ عليه، حتى إذا قلتُ إنى وضعت الرمح بين كتفيه، إذا هو قد صار سرّاما لفرسه، ثم آتبعنى فقرع بالقناة رأسى، وقال : ياعمرو، خذها إليك واحدة، فوالله لولا أنى أكره قتل مثلك لقتلتُك، فتصاغرتْ إلىّ نفسى، وكان الموت والله يا أمير المؤمنين أحبَّ إلىّ مما رأيت، فقلتُ : والله لا ينصرف إلا أحدنا، فقال : آختر لنفسك، فقلت : أطردْ لى، فاطرد لى . فظننت أنى قد تمكنت منه وآتبعته حتّى إذا ظننت أنى قد وضعت الرمح بين كتفيه، فإذا هو قد صار لبدا لفرسه، ثم آتبعنى فقرع رأسى بالقناة وقال : ياعمرو، خذها إليك آثنتين، فتصاغرتْ إلىّ نفسى فقلت : والله لا ينصرف إلا أحدنا، فقال : آختر لنفسك، فقلت : أطرد

لى، فأطرد حتّى إذا قلت إنى وضعت الرمح بين كتفيه وثب عن فرسه فإذا هو على الأرض، فأخطأته ومضيتُ، فاستوى على فرسه وأتبعنى فقرع بالقناة رأسى وقال: يا عمرو، خذها إليك ثالثة، ولولا أنى أكره قتل مثلك لقتلتُك، فقلتُ له: أقتلنى، فإن الموت أحب إلىّ مما أرى بنفسى وأن تسمع فِتيانُ العرب بهذا، فقال يا عمرو: إنما العفو ثلاث، وإنى إن أستمكنت منك الرابعة قتلتك، وأنشأ يقول:

وَكَّدتُ أغلاظا من الأَيْمانِ * إن عُدْتَ يا عمرو إلى الطِّعان،
لَتوجَرَنَّ لَهَبَ السِّنانِ * أوّلا، فلَسْتُ من بَنِي شَيْبان!

فلما قال هكذا، كرهت الموت، وهبتُه هيبة شديدة، وقلت: إنّ لى إليك حاجة، قال: وما هى؟ قلت: أكون لك صاحبا، ورضيتُ بذلك يا أمير المؤمنين، قال: لست من أصحابى، فكان ذلك والله أشدّ علىّ وأعظم مما صنع. فلم أزل أطلب إليه حتى قال: ويحك، وهل تدرى أين أريد؟ قلت: لا، قال: أريد الموت عيانا، فقلت: رضيت بالموت معك، فقال: أمض بنا، فسرنا جميع يومنا وليلتنا حتّى جَنَّنَا الليل وذهب شطره. فوردنا على حىّ من أحياء العرب، فقال لى: يا عمرو فى هذا الحىّ الموتُ، ثم أومأ إلى قبة فى الحىّ فقال: وفى تلك القبة الموت الأحمر، فإما أن تمسك علىّ فرسى فأنزل فآتى بحاجتى، وإما أن أمسك عليك فرسك فتنزل فتأتينى بحاجتى، فقلت: لا، بل أنزل أنت، فأنت أعرف بموضع حاجتك، فرمى إلىّ بعنان الفرس ونزل، فرضيت لنفسى يا أمير المؤمنين أن أكون له سائسا. ثم مضى حتّى دخل القبة فاستخرج منها جارية لم ترعيناى قط مثلها حسنا وجمالا، فحملها على ناقة، ثم قال: يا عمرو، قلتُ: لبيك، قال: إما أن تحمينى وأقود أنا، وإما أن

أحميك وتقود أنت، قلت: بل تحمينى أنت، وأقود أنا، فرمى إلىّ بزمام الناقة، وسرنا بين يديه وهو خلفنا حتّى أصبحنا، فقال لى: ياعمرو، قلت: لبيك، ماتشاء؟ قال: التفت فانظر هل ترى أحدا؟ قال: فالتفت، فقلت: أرى جمالا، قال: أغذّ السير، ثم قال لى: ياعمرو، قلت: لبيك، قال: انظر، فإن كان القوم قليلا فالجَلَد والقوّة والموت، وإن كانوا كثيرا فليسوا بشيء، قال: فالتفتُّ، فقلت: هم أربعة أو خمسة، قال: أغذَّ السيْرَ، ففعلت، وسمع وَقْع الخيل، فقال لى: ياعمرو، قلت: لبيك! قال: كن عن يمين الطريق، وقِفْ وحوّلْ وُجوه دوابنا إلى الطريق، ففعلتُ، ووقفت عن يمين الراحلة ووقف هو عن يسارها. ودنا القومُ منا، فإذاهم ثلاثة نفر فيهم شيخ وهو أبو الجارية وأخواها غلامان شابان، فسلموا فرددنا السلامَ، ووقفوا عن يسار الطريق. فقال الشيخ: خَلِّ عن الجارية يا ابن أخى، فقال: ماكنتُ لأُخَلِّيها ولا لهذا أخذْتُها، فقال لأصغر ابنيه: أُخرج إليه، فخرج وهو يجرّ رمحه وحمل عليه الحارث وهو يقول:

مِنْ دُونِ ماتَرْجُوه خَضْب الذابِلِ * من فارِسٍ مستَلْئِمٍ مقاتِلِ،
يُنْمى إلى شَيبانَ خير وائِلِ * ماكان سَيْرِى نَحْوَها بباطِلِ!

ثم شدّ عليه فطعنه طعنة دَقّ منها صُلْبه، فسقط ميتا. فقال الشيخ لابنه الآخر: أُخرج اليه يابُنىّ، فلا خير فى الحياة على الذُّلّ، فخرج إليه وأقبل الحارث يقول:

لقَدْرأيتَ كيفَ كانَتْ طَعْنتى! * والطّعن للقِرْن الشديد هِمَّتِى.
والموتُ خيرٌ من فراق خِلّتِى * فقَتْلتِى اليوم ولاَ مَذَلَّتِى!

ثم شدّ عليه فطعنه طعنةً سقط منها ميتا . فقال له الشيخ : خَلِّ عن الظعينة يا ابن أخى ، فإنى لستُ كمن رأيتَ ، قال : ما كنت لأُخلّيها ولا لهـذا قصدتُ ، فقال له الشيخ : آختر يا ابن أخى ، فإن شئت طاردتك ، وإن شئت نازلتـك ، فاغتنمها الفتى ونزل . ونزل الشيخ وهو يقول :

ما أرتجى بعـد فَنـاءِ عُمْرى؟ * سأجعلُ السِّنِينَ مثـل الشَّهْرِ.
شيخٌ يحامى دون بيضِ الخِدْرِ. * إنَّ آستباحَ البيضِ قَصْمُ الظَّهرِ.
* سوف ترى كيفَ يكونُ صَبْرى. *

فأقبل الحارث وهو يقول :

بَعْد ارتحـالى وطويلِ سَفْرِى * وقد ظَفِرتُ وشَفَيْتُ صَدْرِى.
والموتُ خيرٌ من لِباسِ الغَدْرِ، * والعـارِ أُهْـديه لحَىِّ بكرِ.

ثم دنا فقال له الشيخ : يا ابن أخى، إن شئت نازلتـك. وإن بقيت فيك قوة ضربتنى؛ وإن شئت فاضربنى، فان بقيت فىّ قوةٌ ضربتك. فاغتنمها الفتى فقال : وأنا أبدؤك، قال: هات، فرفع الحارث السيفَ، فلما نظر الشيخ أنه قد أهوى به إلى رأسه، ضرب بطنَه ضربة فقدّ معاه، ووقعت ضربة الحارث فى رأسه. فسقطا ميتين. فأخذت يا أمير المؤمنين أربعة أفراس وأربعة أسياف. ثم أقبلتُ إلى الناقة فعقدت أعنة الأفراس بعضها إلى بعض وجعلت أقودها. فقالت الجارية : يا عمرو، إلى أين ؟ ولستَ لى بصاحب، ولستَ كمن رأيت، ولو كنت صاحبى لسلكت سبيلهم! فقلت: آسكتى، قالت: فإن كنت صادقا فأعطنى سيفا ورمحا، فإن غلبتَنى فأنا لك، وإن غلبتك قتلتك، فقلتُ لها : ما أنا بمعطيك ذلك، وقد عرفتُ أصلك وجُرأة قومكِ وشجاعتَهم، فرمت بنفسها عن البعير وهى تقول :

أبَعْدَ ماشَيْخِى وبَعْدَ إخْوتِى * أطْلُبُ عيشًا بَعْدَهُم فى لَذَّةِ؟
* هَلْ لا تَكُونُ قبلَ ذَا مَنِيَّتِى؟ *

وأهوت إلى الرُّمح فكادت تنتزعه من يدى. فلما رأيتُ ذلك خفتُ إن هى ظَفرت بى أن تقتلنى، فقتلتها

فهذا أشدّ ما رأيته يا أمير المؤمنين.

فقال عمر بن الخطاب: صدقت يا عمرو.

وروى ابن الجوزىّ بسند يرفعه إلى الليث بن سعد أنه قال: أُتى عمر رضى الله عنه بفتًى أمردَ قد وجد قتيلا مُلْقًى فى الطريق. فسأل عمر عن أمره واجتهد فلم يقف له على خبر، ولم يعرف قاتله. فشقّ ذلك عليه، وقال: اللهم ظَفِّرنى بقاتله. حتّى إذا كان رأسُ الحول أو قريب من ذلك، وُجدَ صبىّ مولود مُلْقًى بموضع القتيل فأُتِىَ به عمر. فلما أُتِىَ به وأُخْبِر بمكانه، قال: ظَفِرتُ تالله بدم القتيل إن شاء الله تعالى، فدفع الصبىَّ إلى امرأة، وأمرها أن تقوم بشأنه وأعطاها نفقة. وقال: انظرى مَن يأخذه منكِ، فإذا وجدتِ امرأة تقبله وتضمه إلى صدرها فأعلمينى بمكانها. فلما شبّ الصبىّ جاءت جاريةٌ فقالت للمرأة إن سيدتى بعثتنى إليك لتبعثى إليها بالصبىّ لتراه وتردّه إليك. قالت: نعم، اذهبى به إليها وأنا معك، فذهبتْ بالصبىّ والمرأة معها إلى سيدتها. فلما رأته أخذته فقبلته وضمّته إلى صدرها. وإذا هى بنت شيخ من الأنصار، من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. فأخبرتْ عمر خبرها. فاشتمل على سيفه، ثم أقبل على منزلها، فوجد أباها متكئا على باب داره. فسلم عليه، وقال له: أبا فلان، قال: لَبَّيْك، قال: مافعلت ابنتك فلانة؟ قال: ياأمير المؤمنين، جزاها الله خيرا، هى من أعرف الناس بحق الله تعالى وحق أبيها، مع حُسْن صَلاتها

وصيامها والقيام بدينها، فقال عمر: قد أحببتُ أن أدخل إليها فأزيدَها رغبةً فى الخير وأَحُثَّها على ذلك . فقال : جزاك الله خيرا يا أمير المؤمنين ، أمكُثْ مكانك حتّى أعود إليك، فاستأذن بعمر، فلما دخل عمر، أمر من كان عندها بالخروج عنها، فخرجوا . وبقيت هى وعمر ليس معهما ثالث . فكشف عمر عن السيف، وقال: لتصدقينى وإلا ضربت عنقك ، وكان عمر لا يُكذب ، فقالت : على رِسْلك يا أمير المؤمنين، فوالله لأصدُقَنَّك. إن عجوزا كانت تدخل علىّ فاتخذتها أمّا، وكانت تقوم من أمرى بما تقوم به الوالدة، وكنت لها بمنزلة البنت، فأمضتْ بذلك حينا. ثم إنها قالت لى يوما : يابنية ، إنه قد عرض لى سَفَر، ولى بنت فى موضع أتخوف عليها فيه أن تضيع، وقد أحببتُ أن أضمها إليكِ حتّى أرجع من سفرى، فعمدَتْ إلى آبن لها شاب أمرد، فهيأته كهيئة الجارية وأتتنى به لا أشك أنه جارية . فكان يرى منى ماترى الجارية من الجارية حتّى أغفلنى يوما وأنا نائمة فما شعرتُ حتّى علانى وخالطنى . فمددت يدى إلى شَفْرة كانت إلى جنبى فقتلتُه . ثم أمرتُ به فأُلقى حيث رأيتَ . فاشتملتُ منه على هذا الصبى ، فلما وضعته ألقيته فى موضع أبيه . فهذا والله خبرهما، فقال عمر : صدقتِ ، بارك الله فيك ، ثم أوصاها ووعظها ودعا لها وخرج ، وقال لأبيها : بارك الله لك فى آبنتك ، فنعم الابنة هى ! وقد وعظتها وأمرتها، فقال : وصلك الله ياأمير المؤمنين ، وجزاك خيرا عن رعيّتك .

وروى أيضا بسنده إلى أبى عباد قال : أدركتُ الخادمَ الذى كان يقوم على رأس الحجاج، فقلت له : أخبرنى بأعجب شىء رأيتَه من الحجاج ! قال : كان آبن اخيه أميرا على واسطَ، وكان بواسط آمرأة يقال لها أُبَّة، لم يكن بواسطَ فى ذلك الوقت

أجملُ منها . فأرسل آبن أخيه إليها يراودها عن نفسها مع خادم له . فأبت عليه وقالت : إن أردتنى فاخطبنى إلى إخوتى ، وكان لها أربعة إخوة فأبى ، وقال : لا ، إلا كذا . وعاودها فأبت ، فراجعها وأرسل إليها بهدية فأخذتها وعزلتها . وأرسل إليها عشية الجمعة : إنى آتيكِ الليلة ، فقالت لأمِّها : إن الأمير بعث إلىّ بكذا وكذا . فأنكرتْ أمُّها ذلك ، وقالت أمُّها لاخوتها إن أختكم قد زعمت كيت (٧٧) وكيت : فأنكروا ذلك وكذبوها . فقالت إنه قد وعدنى أن يأتينى الليلةَ ، ترَوْنه . قال : فقعد إخوتها فى بيت حيَال البيت الذى هى فيه ، وجويريةٌ لها على باب الدار تنتظره . فجاء ونزل عن دابته وقال لغلامه : إذا أذن المؤذن فى الغلس ، فأْتنى بدابتى ، ودخل والجاريةُ أمامه . فوجد أبَّةً على سرير مستلقيةً . فاستلقى إلى جانبها ثم وضع يده عليها ، وقال : إلى كم ذا المَطْلُ ؟ فقالت له : كف يدك يا فاسقُ ، ودخل إخوتها عليه بأيديهم السيوف فقطَّعوه ثم لفوه فى نطع وجاءوا به إلى سكة من سكك واسط فألقوه فيها . وجاء الغلام بالدابة فجعل يدُقُّ الباب دقًّا رفيقا فلا يكلمه أحد . فلما خَشِى الضوء وأن تعرف الدابةُ آنصرف . وأصبح الناس فإذا هم به على تلك الصفة . فأتوا به الحجاجَ فأخذ أهل تلك السكة ، فقال أخبرونى : ماقصتُه ؟ قالوا : لانعلم حاله ، غير أنا وجدناه ملقًى . ففطن الحجاجُ فقال : علىّ بمن كان يخدمه ، فأُتِىَ بذلك الخصىّ الذى كان الرسولَ بينهما ، فقالوا : هذا كان صاحبَ سره ، فقال له الحجاج : آصدقنى عن خبره وقصته ، فأبى . فقال : إن صدقتنى لم أضرب عنقك ، وإن لم تصدقنى فعلتُ بك وفعلت . قال : فأخبره الأمر على جهته . فأمر بالمرأة وأمِّها وإخوتها ، فجىء بهم ، وعُزلت المرأة عنهم . فسألها فأخبرته بمثل ماأخبر به الخصىّ ، ثم سأل إخوتها ، فأخبروه بمثل ذلك ولم يختلفوا ، وقالوا : نحن صنعنا به الذى ترى ،

فأمر برقيقه ودوابه للمرأة ، فقالت المرأة : هديته عندى ، فقال : بارك الله لك فيها ، وكثَّر فى النساء مثلك ، هى لك ، وماترك من شىء فهو لك ، وقال : مثل هذا لا يُدْفن . فألقُوه للكلاب ، ودعا بالخصىّ فقال : أما أنت فقد قلت لك إنى لا أضرب عنقك ! وأمر بضرب وسطه ، فقطع نصفين .

والأخبار فى مثل هذا كثيرة ، فلا نطوّل بذكرها .

* * *

وأما من قتله العشق فكثير جدّا لا يكاد يحصر ، روى عن عكرمة قال : إنى لَمَعَ ٱبن عباس عشيةَ عرفةَ ، إذ أقبل فتيةٌ يحملون فتًى من بنى عُذْرة فى كساء ، وهو ناحل البَدَن ، أحلى من رأيت من الفِتْيان ، فوضعوه بين يديه ثم قالوا : ٱستشفِ لهذا يا ٱبن عمّ رسول الله ، فقال : وما به ؟ فترنم الفتى بصوت ضعيف خفىّ الأنين ، وهو يقول :

بِنَا من جَوى الأحزان والحُبِّ لَوْعةٌ * تَكادُ لها نَفْسُ الشَّفِيق تَذُوبُ !
ولكنَّما أبقى حَشاشةَ مُعْوِلٍ * على مابه عُـودٌ هناك صَلِيبُ !
وما عَجَبٌ موت المحبِّينَ فى الهَوى ، * ولكنْ بقاءُ العاشقين عجيب !

قال : ثم حمل فمات فى أيديهم ، فقال ٱبن عباس : هذا قتيلُ الحُبّ ، لا عَقْلٌ ولا قَوَد .

قال عكرمة : فما رأيت ابن عباس سأل الله تعالى تلك الليلةَ — حتّى أمسى — إلا العافيةَ مما ٱبتلِى به ذلك الفتى .

وروى عن الأصمعىّ قال : حدّثنى أبو عمرو بن العلاء قال : حدّثنى رجل من بنى تميم قال : خرجت فى طلب ضالّة لى . فبينا أنا أدور فى أرض بنى عُذْرة أنشُد ضالّتى ،

إذا بيتٌ معتزل عن البيوت، و إذا فى كِسْر البيت شابٌّ مغمًى عليه، وعند رأسه عجوز لها بَقِيَّة من جمال، وهى ساهيةٌ تنظر إلى وجه الفتى. فسلمتُ فردَّت السلامَ. فسألتها عن ضالَّتى فلم يك عندها منها علم. فقلت: أيتُها العجوزُ، مَن هذا الفتى؟ قالت: ابنى، ثم قالت: هل لك فى أجرٍ لا مَئونةَ فيه؟ فقلت: والله إنى لأُحبُّ الأجر وإن رُزِئْت! فقالت: إن ابنى هذا يهوى ابنةَ عمٍّ له عَلِقها وهما صغيران. فلما كَبِرَ حُجبت عنه، فأخذه شبيهٌ بالجنون. ثم خطبها إلى أبيها فامتنع من تزويجه، وخطبها غيره فزوّجها إياه. فنَحِل جسمُ ولدى واصفرّ لونه وذَهَلَ عقلُه. فلما كان منذ خمس، زُفَّت إلى زوجها. فهو كما ترى: لا يأكل ولا يشرب، مغمًى عليه. فلو نزلت إليه فوعظته!

قال: فنزلتُ إليه فلم أدَعْ شيئا من المَوعظة إلا وعظته به حتَّى أن قلت له فيما قلت: إنهنّ الغوانى صاحباتُ يوسف. ناقضاتُ العهد، وقد قال فيهن كُثَيِّر عَزَّة:

هَلْ وَصْلُ عَزَّةَ إلا وَصْلُ غانيـة * فى وَصْلِ غانيةٍ من وَصْلِها خَلَفُ؟

قال: فرفع رأسه، محمرةً عيناه كالمُغْضَب، وقال: لستُ ككُثَيِّر عزة! إنّ كُثَيِّرا رجل مائقٌ، وأنا رجل وامقٌ! ولكننى كأخى تميم حيث يقول:

(٦٩) أَلَا لا يَضيرُ الحبَّ ما كان ظاهِرًا، * ولكنَّ ما أخْتافَ الفؤادُ يَضيرُ!

أَلَا قاتلَ اللهُ الهوى كيف قادَنى * كما قِيدَ مغلولُ اليدَيْنِ أَسيرُ!

فقلتُ له: فإنه قد جاء عن نبينا صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من أُصيبَ منكم بمُصيبةٍ فليَذْكُرْ مُصابه بى".

فأنشأ يقول:

أَلَا ما لِلمليحـــة لا تَعُـــودُ؟ * أَبُخْـــلٌ بالمليحةِ أم صُـــدُودُ؟

مَرِضْتُ فعـادَنى أهلى جميعًا * فمـا لَكِ لا تَرَى فيمن يَعُـودُ!

فقَدْتُكِ بينهُمْ فبكَيْتُ شَوْقًا، * وفَقْدُ الإلْفِ يا أملى شَديدُ!
وما آستَبْطأْتُ غيْرَكِ فاعلَمِيه * وحَوْلِى من ذَوِى رَحِمى عَديدُ!
ولو كُنْتِ السقيمةَ كنْتُ أسعَى * إليكِ ولم يُنَهْنِهْنِى الوَعِيدُ!

قال: ثم شهِق شهقةً وخَفَتَ، فمات. فبكت العجوز وقالت: فاضت والله نفسُه! فدخلنى أمر لم يدخلنى مثلُه قط. فلما رأت العجوزُ ماحلَّ بى، قالت: يافتى لا تُرَعْ! عاش بأجَلٍ، ومات بقَدَر، وقدم على ربٍّ كريم، وآستراح من تباريحه وغُصَصه! ثم قالت: هل لك فى آستكمالِ الصنيعة؟ قلت: قولى ماأحببتِ! قالت: تأتى البيوت فتنعاه اليهم ليعاوِنُونى على رَمْسه، فإنى وحيدة. قال: فركبت فرسى وقصدت البُيوتَ وأقبلت أنعاه إليهم. فبينا أنا أنعاه، إذا خيمةٌ رُفع جانبٌ منها، وإذا آمرأة قد خرجتْ كأنها القمر ليلة البدر. ناشرةً شعرها، تجرُّ خِمارها، وهى تقول: بِفيكِ الكَثْكَثُ! بفيكِ الحَجَرُ! مَن تَنْعَى؟ قلت: أنعى فلانا! قالت: أوَ قد مات؟ قلت: إى والله قد مات! قالت: فهل سمعت له قولا؟ قلت: اللهم لا، إلا شعرا، قالت: وما هو؟ فأنشدتُها قوله:

* ألا ما لليلة لاتعود * الأبيات.

فاستعبرتْ باكية وأنشأت تقول:

عَدانِى أنْ أزُورَكِ يامُنَاىَ * مَعَاشِرُ كُلُّهم واشٍ حَسُودُ!
أشاعُوا ماعلِمْتَ من الدَّواهى * وعابُونا، وما فِيهِمْ رَشِيدُ!
فأما إذ ثَوَيْتَ اليومَ لَحْدًا * فكلُّ الناسِ دُورُهُمُ لُحُودُ.
فلا طابَتْ لىَ الدُّنيا فُوَاقا * ولا لَهُمُ ولا أَثرَى عديدُ!

ثم شهقتْ شهقةً وخرَّتْ مغشيًّا عليها، وخرج النساء من البيوت وٱضطربت ساعة وماتت. فوالله ما برحتُ حتَّى دفنتهما جميعا.

وروَى الساجى عن الأصمعىّ قال: رأيت بالبادية رجلا قد دق عظمه، وضؤل جسمه، ورق جلده. فتعجبت ودنوت منه أسأله عن حاله. فقالوا: آذكر له شيئا من الشعر يكلمك، فقلتُ:

سَبَقَ الفضاءُ بأنّنى لك عاشقٌ * حتَّى الممات، فأيْنَ منك مذاهبي؟

فشهق شهقة ظننتُ أن روحه قد فارقته، ثم أنشأ يقول:

أخْلُو بذكْرِكِ لا أريدُ محدّثا * وكفى بذكْرِكِ سامِرًا وسُرُورا!

قال: فقلت له: أخبرنى عنك! قال: إن كنت تريد علم ذلك فاحملنى وألْقِنِي على باب تلك الخيمة! ففعلت، فأنشأ يقول بصوت ضعيف يرفعه:

ألا ما للمَليحةِ لا تَعُودُ * أبُخْلٌ بالمَليحةِ أم صُدُودُ؟

فلوكُنتِ المريضَةَ كنتُ أسْعى * إليك ولم يُنَهْنِهْنِى الوَعِيدُ!

فإذا جارية مثل القمر، قد خرجت فألقت نفسها عليه فاعتنقا. وطال ذلك، فسترتهما بثوبى خشية أن يراهما الناسُ. فلما خفتُ عليهما الفضيحة، فرّقت بينهما، فإذا هما ميتان. فما بَرِحْت حتَّى صليت عليهما ودُفِنَا. فسألت عنهما، فقيل لى: عامرُ بن غالب، وجميلة بنت أميل المُزَنِيَّان.

وروَى ٱبن الجوزىّ بسند يرفعه إلى محمد بن خلف قال: ذكر بعض الرواة عن العمرىّ قال: كان أبو عبد الله الجيشانىّ يعشَق صفراء العلاقية. وكانت سوداء، فاشتكى من حبها، وضَنِى حتَّى صار إلى حدّ الموت. فقال بعض أهله لمولاها: لو وجهت

صفراء إلى أبي عبد الله الجيشاني، فلعله أن يعقل إذا رآها! ففعل. فلما دخلتْ عليه قالت له : كيف أصبحتَ ياأبا عبدالله؟ قال : بخير مالم تبرحي! قالت : ما تشتهي ؟ قال : قُرْبَك! قالت : ما تشتكي ؟ قال : حُبَّك! قالت : فتوصي بشيء ؟ قال : نعم، أوصي بك إن قبلوا مني! فقالت : إني أريد الانصراف! قال: فتعجلي ثوابَ الصلاة عليّ! فقامت فانصرفت، فلما رآها مولية تنفس الصعداء، ومات من ساعته .

وروى أيضا بسند يرفعه إلى عَوَانة بن الحكم أن عبد الله بن جعفر وفد إلى عبد الملك بن مَرْوان فحدثه، قال : اشتريت جاريةً بعشرة آلاف درهم، فوُصِفَتْ ليزيد بن معاوية فأرسل إليّ يقول : إما أن تهديها إليّ ، وإما أن تبيعها بحكمك ، فكتبت إليه : لا تخرج والله من ملكي ببيع ولا هبة أبدا . ومكثتُ عندي لا أزداد لها إلا حبا . حتّى أتتني عجوز من عجائزنا ، فذكرتْ أن بعض عُزّاب المدينة يهواها، وأنه يجيء في كل يوم متنكرا فيقف بالباب حتّى يسمع غناءها . فراعيتُ مجيئه ليلة، فإذا به قد أقبل متقنعَ الرأس حتّى قعد مستخفيا فدعوت قيّمة الجارية، فقلت : انطلقي الساعة فأصلحي هذه الجاريةَ بأحسن ما أمكن، وعجلي بها ، ففعلتْ . فقمتُ وقبضتُ على يدها وفتحتُ الباب وأتيتُ إلى الرجل فحركتُه فانتبه مذعورا . فقلت : لا بأس عليك، خذ هذه الجارية، هي لك، فإذا هممت ببيعها فارددها إليّ ، فَدهِش الفتى . فدنوتُ إلى أذنه فقلت : ويحك، قد أظفرك الله عز وجل ببُغْيتك، فانصرِفْ إلى منزلك، فإذا الفتى ميت ، فلم أر شيئا قط أعجبَ من ذلك، وهانت عليّ الجاريةُ، فكرهتُ أن أوجّه بها إلى يزيد فيعلم بحالها أو تخبره

عن نفسها فيحقد ذلك علىّ . فمكثت مدة مديدة ثم ماتت . ولا أظنها ماتت إلا كمدا وأسفا على الفتى .

وروى ابن الجوزىّ أيضا بسنده قال : حُكِىَ عن شَبَابة بن الوليد العُذْرىّ أن فتًى من بنى عُذْرة يقال له أبو مالك بن النضر، كان عاشقًا لابنة عم له عشقا شديدًا . فكان على ذلك مدةً، ثم إنه فُقِد بضعَ عشرةَ سنةً . لا يُحَسُّ له خبر . قال شبابة : فاضلَلْتُ إبلًا لى . فخرجت فى طلبها . فبينا أنا أسير فى الرمال إذا بهاتف يَهْتف بصوت ضعيف :

يا ابنَ الوليد ، ألا تحمونَ جارَكُمُ ... وتَحْفَظُون له حقَّ القَرابات؟
عهدى إذا جارُ قوم نابَهُ حَدَثٌ ، ... وَفَوْه من كلِّ مكروه المِلِّيات!
هذا أبو مالك المُسمى بِلَقَمةٍ ... من الضِّباع وآساد بغابات!
طَليحُ سَوْءٍ ، بنار الحُبِّ محترقٌ ، ... تَعتادُه زَفَراتٌ إثْرَ لوعات!
أما النهارُ فيُنْصِيه تذكُّرُه ، ... والليلُ مرتقَبُ الصبح هل يَاتى.
يَهْدى بجارية من عُذْرةَ اختلَسَتْ ... فُؤَادَه ، فهو منها فى بَلِيَّات!

فقلت : فُتِّى عليه ، رحمك الله ! قال : نعم ، اقصد الصوت ، فقصدته ، فسمعت أبيا من خباء ، فاذا قائل يقول :

يا رَسيسَ الهوى ، أذبْتَ فُؤادى ... وحَشَوتَ الحَشَا عذابًا أليما!

فدنوت منه فقلت : أبو مالك؟ قال : نعم ! قلت : ما بلغ بك إلى ما أرى ؟ قال : حُبِّى سعادَ ابنة أبى الهندام العذرىّ . شكوت يوما ما أجدُ من حبها إلى ابن عم لنا فاحتملنى إلى هذا الوادى ، منذ بضع عشرة سنة ، يأتينى كل يوم بخبرها ويُقوِّتنى من عنده . فقلت إنى أصير إلى أهلها فأخبرهم مارأيت . قال : أنتَ وذاك ، قال : فانصرفتُ

فأخبرتهم، فرقّوا له فزوّجوه بحضرتى . فرجعتُ إليه لأفرّج عنه، فلما أخبرته الخبر، نظر إلىّ، ثم تأوّه تأوُّها شديدا بلغ من قلبى، ثم قال :

ألآنَ إذ حَشْرجَتْ نفسى وخامَرَها * فِراقُ دُنْيا وناداها مُنَاديها!

ثم زَفَر زَفْرة فمات. فدفنته فى موضعه ثم انصرفت فأخبرتهم الخبر. فأقامت الجارية بعده ثلاثا لا تَطْعَمُ، ثم ماتت .

وحكى عن المبرد قال : خرجتُ أنا وجماعة من أصحابى مع المأمون. فلما قَرُبنا من الرَّقّة، إذا نحن بدير كبير، فقال لى بعض أصحابى: مِلْ بنا إلى هذا الدير لننظر مَنْ فيه ونحمد الله تعالى على ما رَزَقنا من السلامة، فدخلنا إلى الدير، فرأينا مجانين مُغَلْغَلين، وهم فى نهاية القَذَارة، فاذا فيهم شابٌّ عليه بقية من ثياب ناعمة، فلما بَصُر بنا قال : مَن أنتم يا فِتيانُ؟ حياكم الله! فقلنا: نحن من العراق. فقال: بأبى العراقُ وأهلُها! بالله أنشدونى أو أنشدكم! فقال المبرد : قلت : والله إن الشعر من هذا لَظَرِيف، فقلنا : أنشدنا، فأنشأ يقول :

اللهُ يَعْلَمُ أنّنِى كَمِدُ * لاأسْتَطِيعُ أبُثُّ ماأجدُ !
رُوحان لى : رُوحٌ تضمَّنها * بلدٌ وأُخرى حازها بَلَدُ !
وأرى المقيمةَ ليس يَنْفَعُها * صَبْر ولا يَقْوى لها جَلَدُ .
وأظنُّ غائبتى كما * جدَتِى * فكأنّها تجدُ الذى أجدُ !

قال المبرد : بالله زدنا، فأنشأ يقول :

لَمّا أناخُوا قُبَيْلَ الصُّبح عِيرَهُمُ * ورَحَّلُوها فثارَتْ بالهوى الإبِلُ،
وقلّبتْ من خَلَال السَّجْف ناظرَها * تَرْنُو إلىّ ودمعُ العين مُنهمل،

وَوَدَّعتْ بَنانٍ عقـدُها عَـنَمٌ، * ناديتُ: لاحَمَلَتْ رِجْلاكِ يا جَمَلُ!
وَيْلِى من البَيْنِ! ماذا حَلَّ بى وبِهَا * مِنْ نازل البَيْنِ؟ حانَ البينُ فارتَحَلُوا!
يا راحِلَ العِيسِ، عَرِّجْ كَىْ نُوَدِّعها! * يا راحِلَ العِيسِ، فى تَرْحالكَ الأجَلُ؟
إنِّى على العَهْد لم أنقُضْ مودَّتَهم، * ياليت شِعْرِىَ! بعد العهدِ ما فعلُوا؟

قال: فقال رجل من البغضاء الذين معى: ماتُوا! قال: قال إذَنْ فأموتُ! فقال له: إن شئتَ! فتمطَّى واستند إلى السارية التى كان مشدودا فيها فمات. فمابرِحْنا حتَّى دفناه.

وحكى عن أبى يحيى التيمى، قال: كنا نختلف إلى أبى مِسْعَر بن كِدَام، وكان يختلف معنا فتًى من النَّسَّاك، يقال له أبو الحسن، ومعه فتًى حسنُ الوجه يفتتِنُ به الناس إذا رأَوْه. فأكثر الناسُ القولَ فيه وفى صحبته إياه. فمنعه أهله أن يصحبه وأن يكلمه. فذهَلَ عقله حتَّى خيف عليه التلفُ. فلقيته فأخبرته بذلك، فتنفس الصُّعَداء ثم أنشأ يقول:

يامَنْ بدائعُ حُسْنِ صُورتِه * تُثْنِى إليه أعِنَّةَ الحَدَقِ!
لِى مِنْكَ ما للناسِ كُلِّهِمِ: * نَظَرٌ وتَسْليمٌ على الطُّرُقِ.
لكِنَّهمْ سَعِدُوا بأمْنِهِمِ * وشَقِيتُ حِينَ أراكَ بالفَرَقِ!

ثم صرخ صرخة وشخص بصره نحو السماء وسقط إلى الأرض. فحركته فإذا هو ميت.

وروى ابن الجوزىّ قال: أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك الأنماطىّ، قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أبى نصر الحميدىّ قال: حدّثنى أبو محمد علىّ بن أحمد

الفقيه الحافظ قال : حدّثنى أبو عبد الله محمد بن الحسن المَذْحِجىّ الأديب، قال : كنت أختلف فى النحو إلى أبى عبدالله محمد بن خطاب النحوى فى جماعة ، أيام الحَدَاثة . وكان معنا أسلَمُ بن سعيد قاضى قضاة الأندلس . قال محمد بن الحسن : وكان من أجمل من رأته العيون . وكان معنا عند ابن خطاب أحمدُ بن كُلَيب . وكان من أهل الأدب والشعر فأشتدّ كلَفُه بأسلم، وفارق صبره ، وصرف فيه القول متسترا بذلك، إلى أن فشت أشعارُه فيه وجرت على الألسنة ،وأُنشدت فى المحافل .

فَلَمَهْدى بُعرس فى بعض الشوارع و" البكورىّ " الزامر فى وسط المحفل يزمر بقول أحمد بن كليب فى أسلم .

أَسَلَّمَنِى فى هَوا * ه أَسْلَمُ، هذا الرَّشا!
غَزَال له مُقْلَةٌ * يُصِيبُ بها مَنْ يَشَا!
وشى بيننَا حاسِدٌ * سَيُسْأَلُ عَمَّا وَشى!
ولَوْ شاءَ أن يَرْتَشِى * على الوَصْلِ رُوحِى، ارْتَشى!

ومغنٍّ محسن يسايره . فلما بلغ هذا المبلغ، انقطع أسلم عن جميع مجالس الطلب ولزم بيته والجلوسَ على بابه . فكان أحمد بن كليب لا شُغْل له إلا المرور على باب دار أسلم نهارَه كله . فانقطع أسلم عن الجلوس على باب داره نهارا . فإذا صلّى المغرب وٱختلط الظلام، خرج مستَرْوحا، وجلس على باب داره . فعيل صبر أحمد بن كليب . فتحيل فى بعض الليالى ولبس جُبَّة من جباب أهل البادية، وٱعتمّ بمثل عمائمهم، وأخذ بإحدى يديه دَجَاجا وبالأخرى قَفَصا فيه بيض . وجاء كأنه قدم من بعض الضِّياع، فتقدّم إلى أسلم وقبل يده، وقد ٱختلط الظلام، وقال : يامولاى، مَن يَقْبِض

هذا؟ فقال له أسلَمُ : من أنت؟ فقال : أجيرُك فى الضَّيْعة الفلانية — (وقد كان يعرف أسماء ضياعه) . فأمر أسلَمُ غلمانَه بقبض ذلك منه على عادتهم فى قبول هدايا العاملين فى ضياعهم . ثم جعل أسلم يسأله عن أحوال الضيعة ، فلما جاوبه أنكر الكلامَ فتأمله فعرفه ، فقال له : يا أخى! وإلى هاهنا تتبعُنى؟ أما كفاكَ انقطاعى عن مجالس الطلب ، وعن الخروج جملةً ، وعن القُعود على بابى نهارا حتَّى قطعت علىّ جميعَ مالى فيه راحةٌ فصرتُ فى سِجْنك؟ والله لافارقتُ بعد هذه الليلة قَعْرَ منزلى ، ولا جلستُ (٧١) بعدها على بابى ، لا ليلا ولا نهارا ، ثم قام . وانصرف أحمد بن كليب حزينا كئيبا . قال محمد : واتصل ذلك بنا فقلنا لأحمد بن كليب : وخسرت دجاجك وبيضك؟ فقال : هات كلَّ ليل قُبلةً فى يده ، وأخسر أضعاف ذلك! فلما يئس من رؤيته البتةَ ، نهكته العلة وأضجعه المرض . قال محمد بن الحسن : فأخبرنى شيخنا محمد بن خطاب قال : فعُدْته فوجدته بأسوإ حال . فقلت له : لم لاتتداوى؟ فقال : دوائى معروف ، وأما الأطباء فلا حيلةَ لهم فىّ البتةَ ، فقلت له : وما دواؤك؟ قال : نظرةٌ من أسلم! فلو سعيتَ فى أن يزورنى لأعظم الله جزاءك بذلك ، وآجره . قال : فرحمته وتقطعت نفسى عليه ، فنهضت إلى أسلم فاستأذنتُ عليه ، فأذن لى وتلقَّانى بما يجب ، فقلت : لى حاجةٌ ، فقال : وما هى؟ قلت : قد علمت ما جَمَعك مع أحمد بن كليب من ذمام الطلب عندى . فقال : نعم ، ولكن قد تعلم أنه برّح بى ، وشَهَّر اسمى وآذانى . فقلت له : كل ذلك يُغتفَر فى مثل هذه الحال التى هو فيها ، والرجل يموتُ ، فتفضل بعيادته . فقال لى : والله ماأقدر على ذلك ، فلا تكلِّفْنى هذا! فقلت : لا بدَّ من ذلك فليس عليك فيه شىء ، وإنما هى عيادة مريض . قال : ولم أزل به حتَّى أجاب ، فقلت له : فقم الآن . قال : لستُ والله أفعلُ ، ولكن غدًا ، فقلت له : ولا خُلْفَ ،

قال: نعم. فانصرفت إلى أحمد بن كليب فأخبرته بوعده فسُرَّ بذلك وٱرتاحتْ نفسه. فلما كان من الغد بكّرتُ إلى أسلم، وقلت له: الوعدَ، قال: فَوجِم، وقال: والله لقد تحملنى على خُطَّة صَعْبة علىّ، وما أدرى كيف أُطيق ذلك؟ فقلت له: لا بدّ أن تفى بوعدك لى، قال: فأخذ رداءه ونهض معى راجلًا، فلما أتينا منزل أحمد، وكان يسكن فى درب طويل. فعند ما توسَّط الزُّقاق وقف وٱحمرّ وخجل، وقال: ياسيدى، الساعة والله أموت! وما أستطيع أن أعرض هذا على نفسى! فقلت: لا تفعل بعد أن بلغت المنزل، قال: لا سبيل والله إلى ذلك البتّةَ! ورجع هاربا فاتّبعته وأخذتُ بردائه، فتمادى وتمزق الرداء وبَقيتْ قطعة منه فى يدى لشدّة إمساكى له. ومضى ولم أدركه. فرجعت ودخلت على أحمد، وكان غُلامه قد دخل عليه لما رآنا من أوّل الزقاق مبشّرا. فلما رآنى تغير وجهُه وقال: أين أبو الحسن؟ فأخبرته بالقصة فاستحال من وقته وٱختلط وجعل يتكلم بكلام لا يعقل منه أكثر من الٱسترجاع. فاستبشعت الحال وجعلت أتوجّع وقمت، فثاب إليه ذهنُه، وقال لى: يا أبا عبدالله، قلت: نعم، قال: ٱسمع منى، وٱحفظ عَنِّى، وأنشأ يقول:

أسلَمُ، ياراحةَ العَليل * رِفقا على الهائم النَّحيل!
وصْلُك أشهى إلى فُؤادى * من رحمةِ الخالقِ الجليل!

قال: فقلت له: ٱتق الله، ما هذه العظيمة؟ قال: قد كان، فخرجت عنه فوالله ماتوسطت الزقاقَ حتّى سمعت الصراخ عليه وقد فارق الدنيا.

وهذه الحكاية مشهورة عند أهل الأندلس. وأسلم هذا من بنى خالد وكانت فيهم وزارة وحجابة. وهذا الباب طويل والحكايات والأخبار والوقائع فيه كثيرة يطول الشرح بذكرها.

* * *

وأما من قتل نفسه بسبب العشق، فحكى عن عبد الرحمن بن إسحاق القاضى قال : ٱنحدرْتُ من "سُرَّ مَنْ رأى" مع محمد بن إبراهيم أخى إسحاق، ودجلة تَزْخَر من كثرة مائها . فلما سِرْنا ساعةً، قال : ٱرفُقُوا بنا، ثم دعا بطعامه فأكلنا، ثم قال : ما ترى فى النبيذ؟ قلت له : أعز الله الأمير، هذه دِجلة قد جاءت بمدّ عظيم يُرْغَب مثله . وبينك وبين منزلك مَبِيتُ ليلة، فلو شئتَ أخرته، قال : لا بدّ لى من الشراب، وٱندفعت مغنيةٌ فغنّتْ، وٱندفعت أخرى فغنته :

يا رَحْمتَا للعاشِـــقينا، * ما إنْ أرى لَهُـمُ معينا!
كم يُشْـتَمُون ويُضْرَبو * نَ ويُهْجَرون، فيصبِرُونا!

فقالت لها المغنية الأولى : فيصنعون ماذا؟ قالت : يصنعون هكذا، ورَفَعَت الستارة وقذفتْ بنفسها فى دِجْلَة . وكان بين يدى محمد غلامٌ ذَكَر أنّ شراءه ألفُ دينـار، بيده مِذَبَّة، لم أر أحسن منه . فوضع المِذَبَّة من يده وقذف بنفسه فى دجلة، وهو يقول :

أنتِ التى غَرَّقْتِـنى * بعد انقضا، لو تَعْلَمِينا!

فأراد الملاحون أن يطرحوا أنفسهم خلفهما، فصاح بهم محمد : دَعُوهما يَغْرَقا إلى لعنة الله! قال : فرأيتهما وقد خرجا معتنقين ثم غَرِقا .

(١٣) وحكى عن جميل بن معمر العذرىّ أنه قال : دخلتُ على عبد الملك بن مَرْوانَ فقال لى : يا جميل حدِّثْنى بعض أحاديث بنى عذرة، فإنه بلغنى أنهم أصحاب أَدَب وغَزَل، فقلت : نعم يا أمير المؤمنين، ٱنتجعوا عن حَيِّهم مرة فوجدوا النُّجْعة بموضع نازح فقطنوه . فخرجت أريدهم . فبينا أنا أسير، غلِطتُ الطريقَ وجنَّ علىّ الليلُ،

فلاح لى باب فقصدته . فوردت على راعٍ فى أصل جبل قد ألجأ غنمَه إلى كهف فى الجبل ، فسلمت عليه ، فردّ علىّ السلام ، وقال : أحسَبُك قد ضَلَلْتَ الطريق ؟ قلت : قد كان ذلك ، فأرشِدْنى ! قال : بل أنزل حتّى تُريح ظهرك ، وتبيتَ ليلتَك ، فإذا أصبحْتَ وقّفتك على القصد . فنزلت فرحّب بى وأكرمنى ، وعمد إلى شاة فذبحها ، وأجّج نارا ، وجعل يَشْوِى ويُلْقِى بين يدىّ ، ويحدّثنى فى خلال ذلك . ثم قام إلى كساء فقطع به جانب الخباء ومهّد لى جانبا ، ونزل جانبا خاليا . فلما كان فى الليل سمعتُه يبكى ويشكو إلى شخص . فأرِقْت ليلتى . فلما أصبحت ، طلبت الإذن فأبى ، وقال : الضيافةُ ثلاث ! فأقمت عنده ، وسألته عن اسمه ونسبه وحاله ، فانتسب لى . فإذا هو من بنى عُذْرة ، من أشرافهم . فقلت : ياهذا ، وماالذى أحلّك هذا الموضعَ ؟ فأخبرنى أنه كان يهوى ابنة عمّ له وتهواه ، وأنه خطبها إلى أبيها فأبى أن يزوّجه إيّاها لقلّة ذات يده ، وأنه زوّجها رجلا من بنى كلاب فخرج بها عن الحىّ وأسكنها فى موضعه ذلك ، وأنه تنكّر ورَضِى أن يكون راعيا لتأتيَه ويراها . وجعل يشكو إلىّ صَبابتَه بها وعشقه لها ، حتى إذا جنّنا الليل وحان وقت مجيئها ، جعل يتقلقل ويقوم ويقعد كالمتوقّع لها . فلما أبطأت عن الوقت المعتاد وغلبه الشوق ، وثب قائما وأنشأ يقول :

ما بالُ مَيّـةَ لا تأتى لعادتهـا ! * أهاجَهَا طَرَبٌ أم صَدّها شُغُلُ ؟
لكنّ قَلْبِىَ لا يُلْهيـهِ غيْرُهُمُ * حَتّى المَمَات ، ولالى غيْرُهم أمَلُ !
لو تعلَمِينَ الّذِى بِى من فِراقِكُمُ * لـما اعْتَللْت ولا طابَتْ لَكِ العِلَلُ !
رُوحى فداؤُك ! قد هيّجْتِ لى سَقَما * تَكادُ من حَرّه الأعضاءُ تَنْفَصِلُ !
لو أن عادِيَةً مِنّى على جَبَـلٍ ، * لزال وانْهدّ من أركانِهِ الجبَـلُ !

ثم قال : ياأخا بنى عذرة ، مَكانَكَ حتَّى أعود إليك ! فما أتوهَّم أن أمْرَ آبنة عَمِّى صحيح ! ثم مضى . فما لبث أن أقبل وعلى يده شىء محمول ، وقد علا شَهِيقُه ونحيبُه ، فقال : ياأخا بنى عذرة ، هذه آبنة عمى ، أرادت أن تأتينى فاعترضها الأسد فأكلها ! ثم وضعها عن يده ، وقال : على رِسْلِكَ حتَّى أعودَ اليك ، ومضى فأبطأ حتَّى يئِستُ من رجوعه . ثم أقبل ورأسُ الأسد على يده ، فألقاها وجعل ينكتُ على أسنان الأسد ويقول :

ألَا أيُّها الليثُ المُخِيلُ بنفسه ! * هَلَكْتَ ! لقد حَرَّتْ يداك لنا حُزْنا !
وغادَرْتَنى فَرْدا وقد كنتُ آلفا * وصَيَّرتَ بطنَ الأرض ثَمَّ لنا سِجْنا !
أقولُ لدَهْرٍ خانَنِى بفِراقه : * معاذَ إلهِى أنْ أكونَ له خِدْنا !

ثم قال : ياأخا بنى عُذرة ، إنك سترانى بين يديك مَيِّتا ! فإذا متُّ فاعمدْ إلىّ وآبنة عمِّى ، فأدرجنا فى كفن واحد ، واحفُرْ لنا جَدَثا واحدا ، وادفِنَّا فيه . واكتب على قبرى هذين البيتين :

كُنَّا على ظَهْرِها ، والعَيْشُ فى مَهَلٍ ! * والشَّمْلُ يجمَعُنا والدارُ والوطَنُ
فَفَرَّقَ الدهرُ والتصريفُ أُلْفَتَنَا * فصار يجمَعُنا فى بَطْنِها الكَفَن .

ورُدَّ الغنم إلى صاحبها وأعلمْه بقصتنا ، ثم عَمَد إلى خِناق فطرحه فى عنقه ، فناشدته الله تعالى أن لايفعل ، فأبى وجعل يخنُق نفسه حتَّى سقَط ميتا . فكفَّنتهما ودفنتهما فى قبر واحد ، وكتبت البيتين على قبرهما ، ورددْتُ الغنم إلى صاحبها ، وأعلمتُه بقصتهما فحزِن حُزْنا شديدا أشفقتُ منه على نفسه .

ذكر شيء مما ورد فى التحذير من فتنة النساء، وذمّ الزنا، والنظرِ إلى المُرْدان، والتحذير من اللِّواط، وعقوبةِ اللّائط

أما ما ورد من التحذير من فتنة النساء، فقد رُوِى عن أبى أُمامة بن يزيد، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ما تَرَكْتُ فى الناس بَعْدِى فتنةً أضَرَّ على الرجال من النِّساءِ".

(٧٣) وعن أبى سعيد الخدرىّ رضى الله عنه، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إنَّ الدنيا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وإن الله عز وجل مُسْتَخْلِفُكُم فيها لِيَنْظُرَ كيف تَعْمَلُونَ، فاتَّقُوا الدنيا واتَّقُوا النساءَ، فإن أوّلَ فتنةِ بنى إسرائيل كانتْ فى النِّساءِ".

وعن أبى هريرة رضى الله عنه، قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: "إنَّ أَخْوَفَ ما أخافُ على أمَّتِى النساءُ والخَمْرة".

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: لم يكن كُفْرُ مَنْ مضى إلّا من قِبَلِ النساء، وهو كائن، كُفْرُ من بَقِىَ من قِبَلِ النساء.

وعن حسان بن عطية، قال: ما أُتِيَتْ أمَّةٌ قَطُّ إلا من قِبَلِ نِسائِهم.

وعن سعيد بن المسيب، قال: ما يَئِسَ الشيطانُ مِنَ ابنِ آدم قطُّ، إلا أتاه مِنْ قِبَلِ النِّساءِ.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قال إبليسُ لربه عز وجل: يارَبِّ قد أُهْبِطَ آدمُ، وقد علمت أن سيكونُ لهم كِتابٌ

ورسل. فما كتابهم ورُسُلهم؟ قال الله عز وجل: رسلهم الملائكة والنبيّون منهم، وكُتُبهم التوراةُ والإنجيلُ والزَّبُور والفرقان، قال: فما كتابي؟ قال: كتابُكَ الوَشْمُ، وقُرآنُكَ الشِّعْر، ورُسُلُك الكَهَنة. وطعامُك مالم يُذْكَرِ اسمُ الله عليه، وشَرابُك من كل مُسْكِر. وصِدْقُك الكَذِبُ، وبَيْتُك الحَمَّام. ومَصايدُك النساءُ، ومُؤذِّنُك المِزْمار، ومَسْجِدُكَ الأسواقُ".

* *

ومن فتنة النساء، ما رُوِى عن وهب بن منبّه أن عابدا كان فى بنى إسرائيل، وكان من أعبَد أهل زمانه. وكان فى زمانه ثلاثةُ إخوة لهم أختٌ. وكانت بكرا. فخرج البعثُ عليهم فلم يَدَرُوا عند من يُخَلِّفُون أختهم. ولا من يأمنون عليها. فأجمعوا رأيَهم على أن يُخَلِّفُوها عند العابد. فأتَوْه وسألُوه أن يخلِّفوها عنده. فأبى ذلك. فلم يزالُوا به حتَّى قال: أنزلوها فى بيتٍ جوارَ صَوْمعتى. فأنزلوها فى ذلك البيت، ثم انطلقُوا وتركُوها. فمكثَتْ فى جِوَار العابد زمانًا يُنْزِل إليها الطعامَ من صومعته فيضَعُه عند باب الصومعة. ثم يُغْلِق بابه ويَصْعَد صومعتَه. ثم يأمرها فتخرج من بيتها فتأخذ ماوضع لها من الطعام. قال: فتلطف لها الشيطان. فلم يزل يُرَغِّبه فى الخير ويُعظِّم عنده خروجَ الجارية من بيتها نهارًا، ويخوّفه ان يراها أحدٌ فيَعْلَقَها. فلم يزل به حتَّى مشَى بطعامها ووضعه عند باب بيتها، ولا يكلِّمُها. فلَبِث بذلك زمانًا. ثم جاءه إبليس فرَغَّبه فى الخير والأجر، وقال له: لو كنت تمشى إليها بطعامها حتَّى تضَعَه فى بيتها. كان أعظَمَ لأجرك. فلم يزل به حتَّى مشى إليها بطعامها فوضعه فى بيتها. فلَبِث بذلك زمانا. ثم جاءه إبليس فرَغَّبه فى الخير وحَضَّه عليه، وقال له: لو كنتَ تكلمها وتحدّثها، فتأنَس بحديثك، فإنها قد استوحشتْ وحشةً شديدة، فلم يزل به حتَّى حدّثها

زمانا، يطلُعُ إليها من فوق سومعته. ثم أتاه إبليس بعد ذلك، فقال له: لو كنت تنزل إليها فتقعد على باب صومعتك وتحدّثها، وتقعد على باب بيتها فتحدّثك، كان آنَسَ لها. فلم يزل به حتّى أنزله فأجلسه على باب صومعته يحدّثها، وتخرُج الجارية من بيتها حتّى تقعُد على بابها. فلبثا زمانا يتحدّثان. ثم جاءه إبليس فرغّبه فى الخير، فقال: لو خرجت من باب صومعتك فجلستَ قريبا من بيتها فحدّثتها، كان آنَسَ لها. فلم يزل به حتّى فعل. فلبثا بذلك زمانا. ثم جاءه إبليس فقال: لو دَنَوْتَ من باب بيتها، ثم قال: لو دخلت البيت فحدّثتها ولم تتركها تُبْرِز وجهها لأحدٍ، كان أحسنَ، فلم يزل به حتّى دخل البيت فجعل يحدّثها نهاره كله. فإذا أمسى صَعِد فى صومعته. قال: ثم أتاه إبليس بعد ذلك، فلم يزل يزيّنُها له حتّى ضرب العابدُ بيده على فخذها وقبّلها، ثم لم يزل يحسنها فى عينه ويُسوّل له حتّى وقع عليها فأحبلها، فولدت غلاما. فجاء إبليس، فقال له: أرأيت إن جاء إخوتُها، وقد ولَدَتْ منك كيف تَصْنَع؟ فاعمِدْ إلى ابنها فاذبحه وادفنْه، فإنها ستكْتُم ذلك عليك مخافَةَ إخوتها، فقتله. ثم جاءه، فقال: أتُراها تكتُم ماصنعتَ بها؟ خذها فاذبحها وادفنها مع ابنها، فذبحها وألقاها فى الحُفْرة. فمكَثَ ما شاء الله حتّى قَفَل إخوتُها من الغزو. فجاءوه فسألوه عن أختهم فنعاها لهم وترحّم عليها وبكاها، وقال: كانت خيْرَ امراة، وهذا قبرها. فأتى إخوتُها القبْرَ فبكَوْها وترحّمُوا عليها، وأقاموا على قبرها أياما ثم انصرفوا إلى أهاليهم. قال: فلما جنّهم الليلُ وأخذوا مضاجعَهم، أتاهم الشيطانُ فى النوم فبدأ بأكبرهم فسأله عن أختهم. فأخبره بقول العابد وموتها. فكذّبه الشيطانُ، وقال: لم يَصْدُقْكُم أمْرَ أُختكم. إنه أحبلها وولدتْ منه غلاما فذبحه وذبحها معه فَرَقًا منكم، وألقاهما فى الحُفْرة خلفَ باب البيت. وأتى الأوسط فى منامه، فقال له مثلَ ذلك؛ ثم أتى أصغرهم، فقال له مثل

ذلك. فلما آستيقظ القوم، آستيقظوا متعجبين لما رآه كلُّ واحدٍ منهم. فأقبل بعضهم على بعض يقول: لقد رأيتُ عَجَبًا! وأخبر بعضهم بعضا بما رأى، فقال كبيرهم: هذا حُلُمٌ، ليس هذا بشيء، فامضُوا بنا ودَعُوا هذا، فقال أصغرهم: لا أَمْضِي حتَّى آتِيَ ذلك المكانَ فأنظُرَ فيه، فانطلقوا فبحثوا الموضع، فوجدوا أُختَهم وآبنَها مذبوحيْنِ. فسألوا عنها العابد، فصدّق قولَ إبليس فيما صنع بهما. فاستعْدَوْا عليه ملِكَهم فأَنْزِل من صومعته وقدَّموه ليَصْلُبوه. فلما أوثقوه على الخشبة، أتاه الشيطانُ، فقال له: قد علمتَ أنى صاحبك الذى فتنتك فى المرأة حتَّى أحبَلْتها وذبحتها وآبنَها، فإن أنت أطعتَنِي اليوم وكفَرْت بالله الذى خلقك، خلَّصْتك مما أنت فيه، فكَفَر العابدُ بالله. فلما كَفَر، خلَّى الشيطانُ بينه وبين أصحابه فصَلَبوه.

قال وهب: ففيه نزلت هذه الآية: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ آكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾.

نسأل الله العافية من فتنتهن، ونعوذ به من الشيطان الرجيم.

* * *

وأما ماجاء فى ذم الزنا. فكفى به ذمّا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾.

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لايَسْرِقُ السارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وهُوَ مُؤْمِن، ولايَزْنِى الزَّانِى حِينَ يَزْنِى وهُوَ مُؤْمِنٌ" الحديث

وعن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يا أُمَّةَ محمد، ما أحَدٌ أغْيَرَ من الله أن يَرى عبْدَه أو أمتَهُ تَزْنِى".

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : "اشتدَّ غضَبُ الله تعالى على الزُّناة" .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الإيمانَ سِرْبال يُسَرْبِلُه اللهُ مَنْ يَشاء. فإذا زنى العبدُ، نُزِع منه سِرْبالُ الإيمانِ. فاذا تاب رُدَّ عليْه " .

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : " ما مِنْ ذنبٍ بعدَ الشِّرْكِ أعظَمَ عند الله من نُطْفةٍ وضَعَها رجلٌ فى رَحِمٍ لايَحِلُّ له" .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إيَّاكُمْ والزِّنا، فإنَّ فى الزنا ستَّ خِصَال، ثلاثٌ فى الدنيا، وثلاثٌ فى الآخرة : فأما اللواتى فى الدنيا، فذَهَاب نُور الوجْهِ، وانقطاعُ الرِّزْق، وسُرْعة الفَناء، وأما اللَّواتى فى الآخرة، فغَضَبُ الربِّ، وسُوءُ الحِسَاب، والخُلُودُ فى النار، إلا أن يشاءَ الله تعالى" .

وعن عبد الله قال : قلت : يارسول الله أىُّ الذنب أعظَمُ؟ قال : "أن تجعَلَ لله نِدًّا، وهو خلَقَك! " قلت : ثم أىّ ؟ قال : "أن تَقْتُل ولَدَك من أجل أن يَطْعَمَ مَعَكَ" . قلت : ثم أىّ؟ قال : "أن تَزْنِى بحليلةِ جَارِكَ" .

والأحاديث الصحيحة فى ذلك كثيرة .

* * *

وأما ماجاء فى النهى عن النظر إلى المُرْدان ومجالستهم . روى عن أبى السائب انه قال : لَأَنَا على القارئ من الغُلام الأمْرِدِ أخوفُ منِّى عليه من سَبْعينَ عَذْراء. وفى لفظ عنه : لَأَنَا أخوف على عابد من غلامٍ أمردَ من سبعين عَذْراءَ .

وعن سعيد بن المسيب أنه قال : إذا رأيتم الرجلَ يُلِحُّ النظر إلى غلام أمرد، فاتَّهموه .

وكان سفيان الثورىّ رضى الله عنه لا يَدَع أمْرَدَ يجالسه .

وعن يعقوب بن سوال قال : كنا عند أبى نصر بشر بن الحارث. فوقفَتْ عليه جاريةٌ مارأينا أحسَنَ منها، فقالت ياشيخُ : أين مكانُ باب حَرْب؟ فقال لها : هذا الباب الذى يقال له بابُ حَرْب. ثم جاء بعدها غلام فسأله، فقال له ياشيخ : أين مكانُ باب حرب؟ فأطرق بشرٌ. فردّ عليه الغلامُ السؤالَ فغمّض عينيه. فقلنا للغلام : أىَّ شىءٍ تريد؟ فقال : باب حرب. فقلنا : بين يديك. فلما غاب. قلنا يا أبا نَصْر. جاءتْك جاريةٌ فأجبتها وكلمتها، وجاءك غلام فلم تكلمه؟ فقال: نعم، يروى عن سفيان الثورىّ أنه قال: مع الجارية شيطانٌ، ومع الغلام شيطانان، فخشيت على نفسى من شيطانَيْه .

(٧٥)

وعن أبى سعيد الخراز. قال: رأيت إبليس فى النوم، وهو يمرّ عَنّى ناحية. فقلت : تعالَ، فقال: أىَّ شىء أعمل بكم؟ أنتم طَرَحتم عن نفوسكم ماأخادعُ به الناسَ، قلت ماهو؟ قال : الدنيا، فلما ولّى. التفت إلىّ فقال : غير أن لى فيكم لطيفةً، قلت: ماهى؟ قال : صحبةُ الأحداث .

وعن مظفر القرميسينىّ. قال: من صَحِب الأحداث على شَرْط السلامة والنصيحة، أداه ذلك إلى البلاء. فكيف من صَحِبهم على غير وجه السَّلامة ؟

وقد ذكر أبو الفرج فى كتابه المترجم "بذم الهوى" من آفتن بالأحداث، وصرح بأسمائهم . فلم نُؤثر التعرض لذلك، لما فيه من التشنيع عليهم والإذاعة لمساويهم .

✦
✦ ✦

وأما ماجاء فى التحذير من اللواط وما ورد فى سِحَاق النساء، روى عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ملعونٌ ملعونٌ من عَمِل بعَمَلِ قومِ لُوطٍ" . وعنه عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : "لَعَن اللهُ من عَمِل عَمَلَ قومِ لوط" .

وعن جابر بن عبد الله، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إنَّ أخوفَ ماأخافُ على أُمَّتى عملُ قومِ لُوطٍ" . وفى لفظ آخر عنه صلى الله عليه وسلم : "إن أخوفَ ما أخافُ على أُمَّتى من بعدى عملُ قَوْمِ لوط ، ألَا فلْتَرْقُبْ أمتى العذابَ إذا كان الرجالُ بالرجال والنساءُ بالنساءِ" .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لاينظُرُ الله إلى رجل أتى رجُلًا أو امرأةً فى دُبُرِها" .

وعن عبد الله بن عمرَ رضى الله عنهما، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لم يَعْلُ فَخِذٌ فَخِذًا حتّى كان قومُ لوطٍ ، فإذا عَلَا الفحلُ الفحلَ ، ارتجَّ أو اهتزَّ عرش الرحمن عز وجل ، فاطّلعت الملائكة تعظيما لفعلهما ، فقالوا : يارب ، ألا تأمرُ الأرضَ أن تَغُورَ بهما ، وتأمرُ السماءَ أن تَحْصِبَهما ، فيقول الله تعالى : إنّى حليم لا يفوتُنِى شىءٌ" .

وعن سماك بن حَرْب، عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أنه قال : إن الرجلَ ليأتى الرجلَ فتضِجُّ الأرضُ من تحتهما ، والسماءُ من فوقهما ، والبيت والسقفُ ، كلهم يقولون : أىْ ربِّ ، ائْذَنْ لنا بنطبِقْ بعضُنا على بعض فنجعلهم نَكَالا ومُعتبَرا ، فيقول الله عز وجل : إنهم وَسِعهُمْ حِلْمِى ولن يَفُوتُونِى .

وكان سفيان الثورىّ رحمه الله يقول : لو أنَّ رجلا عَبَث بغلام بين إصبعين من أصابع رجليه يريد الشهوةَ، لكان لِوَاطا .

وروى عن مكحول عن واثلة بنِ الأسقع أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يُحَاقُّ النساء زنًى بينهن" .

وأما ماورد فى عقوبة اللائط والمَلُوط به فى الدنيا والآخرة :

أما عقوبة الدنيا، فقد جاء بها نصُّ القرآن فى قصة قوم لوط، وشَرْح أفعالهم، وما عذبوا به فى آى كثيرة .

وجاء فى الأحاديث النبوية، على قائلها أفضل الصلاة والسلام، فى عقوبة اللائط والملوط به ما يدل على التغليظ والتشديد .

فمن ذلك ما رُوِى عن عكرمة عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيمن عَمِل عَمَلَ قومِ لوط : يُقْتَلُ الفاعلُ والمفعولُ به، وفى لفظ آخر عن ابن عباس عن النبىّ صلّى الله عليه وسلم : اُقْتُلُوا الفاعلَ والمفعولَ به، فى عَمَل قوم لوط .

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مَنْ عَمِل بعمل قومِ لُوط فاقْتُلُوه" .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مَنْ وَجَدْتُمُوه يعملُ عملَ قومِ لُوط ، فارْجُموا الأعْلى والأسفَلَ" .

وعن محمد بن المنكدر أن خالد بن الوليد كتب إلى أبي بكر الصدّيق رضى الله عنه، أنه وجد رجلا فى بعض الأضاحى ينكح رجلا كما تنكح المرأة . فجمع أبو بكر رضى الله عنه لذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم . فيهم علىّ بن أبى طالب، وقال : إن هذا ذنب لم تعمل به أمة إلا أمة واحدة . ففعل الله بهم ما قد علمتم . أرى أن نُحَرِّقه بالنار، فاجتمع رأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يُحَرَّقَ بالنار . فأمر به أبو بكر رضى الله عنه أن يُحَرَّق بالنار. وقد حرّقهم عبد الله بن الزبير، وهشام بن عبد الملك .

— وعن يزيد بن قيس أن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه رَجَم لُوطِيًّا .

— وعن سعيد بن زيد قال : سئل عبدُ الله بنُ عباس رضى الله عنهما، ماحدُّ اللوطىّ؟ قال : ينظر أعلى بيت فى القرية فيرمى منكّسا ثم يُتْبَع بالحجارة .

وللتابعين ولأئمة العلماء فى ذلك أقوال :

فمنهم من رأى أن حدّه كحدّ الزنا، وفرق بين المحصن وغير المحصن .

ومنهم من رأى أن حدّه القتلُ أحصَنَا، أولم يُحصنا .

روى سفيان عن جابر عن الشعبىّ أنه قال : اللُّوطىّ يرجَم، أحْصن أولم يُحْصن .

وعن ابن أبى نجيح عن عطاء قال : حدُّ اللوطىّ حدُّ الزانى، وإن أحْصن رُجِم، وإلا جلد . وبه قال الهيثم .

(٧٦) وعن قتادة عن الحسن أنه قال فى الرجل يخالط الرجل : إن كان أحْصن، جُلد ورجم؛ وإن كان لم يُحْصن، جلد ونُفى .

وعن مالك بن أنس عن الزهرى قال : يُرْجَم، أحْصن أولم يُحصن .

وعن الطيالسى قال : حدّثنا إسحاق الكوسج ، قال : قلت لأحمد بن حنبل : أيرجم اللوطى ، أحْصَن أو لم يُحْصِن؟ قال : يرجم ، أحْصن أو لم يُحْصِن .

وقد روى عن أحمد بن حنبل أن حدّ اللوطى كحدّ الزانى ، يختلف بالثّيوبة والبكارة . وهو قول محمد عن الشافعى .

وقال الحكم : يُضرَب اللوطى دون الحَدّ . قال ابن الجوزى : وإلى هذا مال أبو حنيفة .

وأما مذهب ابن حزم الظاهرى فإنه لا يضرب فى اللّواط فوقَ عشرة أسواط .

وقال النخعى : لو كان أحد ينبغى أن يُرجم مرتين ، لكان ينبغى أن يرجم اللوطى مرتين .

وحكى أبو الفرج بن الجوزى ، قال : أخبرتنا شهدة بنت أحمد ، قالت : أخبرنا جعفر بن أحمد السراج ، قال : أخبرنا عبد العزيز بن على ، قال : أخبرنا على بن جعفر الصوفى ، قال : سمعت الموازينى يقول : قال لى رجل من الحاج : مررت بدار قوم لوط ، وأخذت حجرا مما رُجِموا به ، فطرحته فى مخلاة ، ودخلت مصر . فنزلت فى بعض الدور فى الطبقة الوسطى . وكان فى سُفْل الدار حَدَثٌ ، فأخرجت الحجر من خُرْجى ، ووضعته فى رَوْزنة فى البيت . فدعا الحدث الذى كان فى البيت صبيا إلى عنده واجتمع معه ، فسقط الحجر على الحَدَث من الروزنة ، فقتله .

وقال أيضا : أخبرتنا شهدة ، قالت : أخبرنا جعفر بن أحمد ، قال : أخبرنا أبو الحسين محمد بن عثمان بن مكى ، قال : أخبرنى جدّى أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن أحمد ، قال : أخبرنا أبو العباس أحمد بن عيسى الوشا المقرى ، قال : سمعت أبا عبد الله

محمد بن عبد الله بن عبد الحكم يقول : سمعت يونس بن عبد الأعلى يقول : خرجتُ حاجًّا إلى مكة . فلما كانت ليلةُ عرفاتَ، رأى الإمامُ الذى حَجَّ بنا تلك الليلةَ منامًا . فلما صِرْنا إلى مكةَ بعد انقضاء الحج، سمعنا منادياً ينادى فوق الحجر : أنصتوا يامعشر الحجيج ، فأنصَتَ الخلقُ، فقال : يامعشر الحجيج، إن إمامكم رأى أن الله عز وجل قد غفر لكل من وافى البيتَ العامَ إلا رجلًا واحدا فإنه فَسَق بغلام .

* * *

وأما عقوبته فى الآخرة، فقد رُوِى عن أبى سلمة عن أبى هريرة وعبد الله ابن عباس رضى الله عنهم ، قالا : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فى خطبته : "مَن نَكَح امرأةً فى دُبُرِها أو غُلامًا أو رَجُلا، حُشِر يوم القيامةِ أنْتَنَ من الجيفة، يتأذى به الناسُ حتّى يُدْخِلَه الله نارَ جهنم . ويُحبِطُ الله عملَه ، ولا يقبَلُ منه صَرْفا ولا عَدْلا . ويُجعلُ فى تابوتٍ من نار، ويُسَمَّر عليه بمسامِيرَ من حديد من نار، فتشتبك تلك المسامير فى وجهه وفى جَسَده" . قال أبو هريرة : وهذا لمن لم يَتُبْ .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "سبعةٌ لاينظرُ اللهُ إليهم يومَ القيامة ولا يُزَكِّيهم ولا يجمَعُهم مع العالمين، يَدْخُلونَ النارَ أوّلَ الداخلين إلا أن يَتوبُوا، فمن تاب، تاب الله تعالى عليه : الناكح يَدَه، والفاعلُ والمفعولُ به، ومُدْمنُ خمرٍ، والضاربُ أبويْهِ حتّى يستغيثَا، والمؤذِى جيرانَهُ حتّى يلعنوه، والناكِحُ حليلةَ جاره" .

وعن إبراهيم بن علقمة عن عبد الله، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللُّوطِيَّان لو اغتسلا بماء البحر، لم يَجْزِهما إلا أن يَتُوبَا" .

وعن أنس رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ مات من أُمَّتى يعمَلُ عملَ قومِ لُوط، ثقلَهُ الله إليهم حتَّى يُحشَر معَهم".

قلتُ: وقد بلغنى من كثير من الناس أن رجلين مشَيَا على جانب البِرْكة المعروفة ببِرْكة قوم لُوط، وهى فى غَوْر الكرك على جانبها ضِياعٌ، منها الصافية واللاخية وسويمة وغيرها، وتعرف هـذه البركة أيضا بالمنتنة، ويقال إنها إحدى المدائن التى خُسِف بها (من مدائن قوم لوط). فجعلا يتباسطان. فكان مَن جملة ما قالاه أو قاله أحدهما للآخر فلم ينكره: هـذه بركة أصحابنا، فطلعت من البركة مَوجة آختطفَتْهما معـا، وألقتهما فى البركة. فكان آخرَ العهد بهما.

وهذه الحكاية يتداولها أهل تلك البلاد. لاينكرها سامع منهم على قائل. ولا يبعُد أن يُعاقَب مَن تجاهر بمعاصى الله وآنتسب لمن كفر بالله وعصاه وكذَّب رسولَه أن يعاقبه الله بمـا عاقبهم به ويلحقه بهم. وفى بعض هذا عبرة لمن آعتبر.

ولنرجع إلى سياق ماجاء فى ذلك من الأحاديث والأخبار.

روى أبو الفرج عبـد الرحمن بن الجوزىّ بسـنده إلى أنس بن مالك رضى الله عنـه أنه قال: سمعت رسول الله صـلى الله عليه وسـلم يقول: "مَنْ قَبَّل غُلامًا بشهوة، عَذَّبه الله فى النار ألْفَ سنةٍ، ومن جامعه لم يَجِدْ رائحةَ الجنةِ، وريحُها يُوجدُ من مَسيرةِ خمسمائة عام، إلا أن يَتُوبَ".

وعن خالد عن إسمعيل بن كَثِير عن مجاهد، قال: لو أن الذى يعمل ذلك العملَ (يعنى عمل قوم لوط) آغتسل بكل قَطْرة فى السماء وكلِّ قطرة فى الأرض، لم يزل نجسا.

وعن عَبَّاد بن الوليد العنبرىّ قال : سمعت إبراهيم بن شَمَّاس يقول : سمعت الفُضَيل بن عياض يقول : لوأنَّ لُوطِيًّا آغتسل بكل قَطْرة من السماء، لَقِىَ الله تعالى غير طاهر .

وعن طلحة بن زيد عن بُرد بن سنان عن أبى المنيب عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما، قال : يُحشَر اللوطيون يوم القيامة فى صورة القِرَدة والخنازير .

وعن أبى الصهباء عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهم قال: مَن خرج من الدنيا على حالٍ، خرج من قَبْره على تلك الحال، حتَّى إن اللوطىّ يخرج يطق ذكره على دبر صاحبه مفتضحين على رءوس الخلائق يوم القيامة .

هذا ما أمكن إيراده فى هذا الفصل على سبيل الآختصار والإيجاز، و إلا فالأخبار فى العشق وتوابعه ومايتولد عنه كثيرة جدًا، ووقفنا منها على كثير، ولا يحتمل أن يُورد فى الكتب الشاملة لفنون مختلفة أكثرُ مما أوردناه. فلنذكر الآن نبذة مما قيل فى الغزل والنسيب .

ذكر نبذة مما قيل فى الغَزَل والنسيب

هذا الباب — أكرمك الله وعافاك، ووقاك من فتنه وكفاك — بابٌ متسع، قد أكثر الشعراء القول فيه، وتنوعوا فى أساليبه ومعانيه ؛ لو آستقصيناه لطال به هذا التصنيف، وآنبسط هذا التأليف ؛ وكان بمفرده كُتُبًا مبسوطة وأسفارا كبيرة، فلخصنا منه دررا نفيسة وأعلاقا خطيرة ؛ وآقتصرنا منه على ما رَقَّ معناه ورَاق، وحَسُن لفظه وشاق ؛ وآرتاحت إليه النفوس، وتحلت به الطروس ؛ ولَحَته النواظر، وآنجذبت إليه الخواطر . وقد تنوع الشعراء فى الغَزَل : فتغزَّلوا فى المحبوب باسمه،

وكَنَوْا عنه واستعاروا له ، ووصفُوا أعضاءه وشبهوها بأشياء ، فشبهوا العيون بالنَّرجس ، وأفعالَها بالخمر والسِّهام ؛ وشبَّهوا الحواجب بالقِسِيّ ، والجبين بالصَّباح ، والشُّعور بالليالى ، والسَّوالف بالغَوالى والصوالج والعقارب ؛ وشبهوا الوجه بالشمس والقمر ؛ وشبهوا الخدود بالورد والتُّفاح ؛ وشبهوا الثُّغور بالأُقْحُوان ، واللمى بالخَمْر ، والريق بالشَّهد ، والشَّفاهَ بالعقيق ، والأسنان باللُّؤلؤ ؛ وشبهوا النُّهود بالرُّمَّان ، والقَوام بالغُصون ، والأرداف بالكُثْبان . وغير ذلك . وقد تقدم إيراد ذلك كله مستوفًى فى موضعه ، وهو فى الباب الذى قبل هذا الباب .

وتغزلوا أيضا فى أصناف الفواكه المأكولة والمشمومة ؛ وتغزلوا فى الرياض والأزهار .

وسنورد إن شاء الله ذلك فى موضعه ، وهو فى القسم الثانى والثالث والرابع من الفن الرابع من كتابنا هذا ، فى السفر العاشر من هذه النسخة .

فلنورد الآن ها هنا من باب الغزل والنسيب خلافَ ما قدّمنا ذكره مما ذكرناه وما نذكره إن شاء الله تعالى .

والذى نورده فى هذا الباب نبذة مما قيل فى المذكّر ، والمؤنّث ، والمطْلق ، والمشترَك ، وطَيْف الخيال ، والرد على العَذْول ، ورُجُوع العذول ، والوِصال ، والفراق ، والبَيْن ، والتوديع ، والصدّ ، والهِجْران ؛ وما قيل فى الزيارة وتخفيفها ، وموانعها ، والمدامع ، والرضا من المحبوب باليسير ، والنُّحول ؛ وما قيل فى المحبوب إذا اعتلّ ؛ وما قيل على لسان الورقاء ، والمراجعات ، والمردوف ، والجناس ، والموشّحات .

فما قيل فى المذكر

قال العماد الأصفهانى الكاتب :

وأحْوَرَ يَسْبِي بِطَرْف يَكِلّ * وتَخْجَلُ منه الظُّبا والظِّباءْ.
بخدَّيْه من حُسْنِه والشبابْ * تَجمَّعَ ضِدَّان : نارٌ وماءْ.
وفى مُقْلتيــه وقد صَحَّتا * كما صَحَتا سَقَمٌ وانتشاءْ.
عَفَفْت وعِفْت الحَيَا فى هوا * ه حتَّى استوى صَدُّه واللِّقاءْ.
وكلُّ حياءٍ يَذُود العَفَا * فَ عن وُدِّه، فعليه العَفَاءْ!

(١٨)

وقال آخر :

وكأنَّ بهجةَ وجهِهِ فى شَعره * قمرٌ بَدَا فى لَيْلةٍ لَيْلاءِ.
وكأن عَقْربَ صُدْغه فى خَده * وقفَتْ مخافَةَ نارِه والماءِ.
قمرٌ رجوتُ من الزمان وِصالَهُ * يومًا، فأخلَفَ بالصُّدود رَجَائى!

وقال عبد الجليل بن وهبون :

وافَتْ به غَفلةُ الرَّقيبِ * والنجمُ قد مالَ للغُرُوب ،
نَشْوانَ قد هَزَّت الحُمَيَّا * منه قَضِيباً على كَثِيبِ !
يَعْثُرُ فى ذيله فيَحْكى * عَثْرةَ عينيه فى القُلُوبِ !
واللهِ لو نالَتِ الثُّرَيَّا * ما نال من بَهْجةٍ وطِيبِ ،
دَنَا إليها الهلال حتَّى * قَبَّل فى كَفِّها الخَضيب !

وقال ابن حجاج :

ومُذَلَّلٍ! أما القضيبُ فقَدُّه * شَكْلا وأمَّا رِدفُه فكَثِيبُ!
يَمْشِى وقد فَعَلَ الصِّبا بقَوامِه * فِعْلَ الصَّبا بالغُصْنِ، وهو رَطِيبُ.

مُتلوِّنٌ يُبدى ويُخفِى شخصَه * كالبدر يطلُع تارةً ويغيبُ.
أرمِى مَقاتِلَه فتُخطِئُ أسهُمِى * غرضِى، ويَرمِى مُهْجَتِى فيُصيبُ!
نفسى فِداؤُك! إنَّ نَفْسِى لم تَزَلْ * يَحْلُو فِداؤُكَ عندها ويَطيبُ!
مالِى ومالَكَ لا أراك تَزُورُنِى * إلا ودُونَكَ كاشِحٌ ورَقِيبُ!

وقال أبو نُوَاس :

شَبِيهٌ بالقَضِيبِ وبالكثِيبِ! * غريبُ الحسنِ ذُو دَلٍّ غَرِيبِ!
بعيدٌ . إن نظرْتَ إليه يومًا، * رجعْتَ وأنتَ ذُو أجلٍ قَرِيبِ!
تَرى للصَّمْتِ والحَركات فيه * سُوَاما لا يُذَادُ عن القُلوبِ.
ويمتحنُ القلوبَ بمقلتَيْه، * فينكشفُ البرىء من المُرِيبِ!

وقال الوأواء الدمشقىّ :

بَدْرٌ تَقَنَّــــع بالظَّلا * م على قَضِيب فى كَثِيبِ!
تَدْعُو محاسِــنُه القلو * بَ إلى مُشافَهة الذُّنوبِ.
فعلَتْ به ريحُ الصَّــبا * ماليس تَفْعل بالقَضِيبِ.
عُقِلتْ ركائبُ حُسْنِه * بعقُولنا عند المَغِيبِ.
وتلطَّمتْ وجَنَاتُنا * بيد الدُّموع من النَّحِيبِ!

وقال الأمير تاج الملوك ابن أيوب :

سَلَب الفؤادَ فلا عَدِمْتُ السالبا! * وَرِنًا، فكان اللحظُ سَهْما صائبا!
قمرٌ مَشَارقُهُ الجيوبُ، فلا تَرى * أبدًا له إلا القُلوبَ مَغَارِبَا!
ملَكَ الفؤادَ بمقلتين وحاجِبٍ * أمسى لحُسْن الصبر عَنِّى حاجِبَا.
وحكى القضيبَ شمائلا عَبِثَتْ به * أيدى النَّسيم شمائلا وجَنائِبا!

وقال أيضا :

يا أيُّها البدرُ الذى * مَطْلَعُهُ طَوْقُ القَبَا!
يا جَنَّةَ القلب الذى * أضرَمَ فيه لَهَبَا!
فَدَيْتُ هذا الوجهَ، ما * أحْسَنَه وأعجبا!
لم تَرَ عينى قَبْلَه * صُبْحا تردَّى غَيْهَبا!

وقال أبو نُوَاس :

يا بِدْعةً فى مِثَالٍ * يجُوزُ حدَّ الصِّفات!
فالوجهُ بدرُ تَمامٍ * بعَيْنِ ظَبْيِ فَلاةِ!
والقَدُّ قدُّ غُلامٍ * والغَنْج غَنْج فَتاةِ!
مذكَّر حين يبدُو، * مؤنَّثُ الحَلَواتِ!
زَهَا عَلَىَّ بصُدْغٍ * مُزَرْفَن الحَلَقات.
مِنْ فوق خَدٍّ أسِيلٍ * يُضِيءُ فى الظُّلُمات!

وقال كُشاجم :

مُعْتَدِلٌ من كُلِّ أعطافه! * مُسْتحسَنُ الإقبال والمُلْتَفَتْ!
لو قيستِ الدُّنْيا ولَذَّاتُها * بساعةٍ من وصله، ماوفَتْ!
سُلِّطت الألحاظُ منه على * قلبى، فلو أوْدَتْ به ما آشتَفَتْ!
وآستعذَبَتْ رُوحى هواه فما * تسلُو ولا تَصْحُو، ولو أُتْلِفَتْ!

وقال فضل الرَّقَاشىّ :

وشاطرٍ فاتكِ الشَّمائلِ قَدْ * خالَطَ منه المجونُ تَخْنِيثا.
تراه طَوْرا مذكَّرا، فإذا * عاقَرَ راحا، رأيتَ تأْنِيثا.

ألثغُ إن قلت يافديتك : قُلْ * مُوسى، يقُلْ من رُطوبة : مُوثَا.
ما زال حتّى الصباح معتنِقِى * مُطارحِى فى الدُّجى الأحادِيثا.

وقال كُشاجم :

بليتُ بوجْدَيْنِ[1] وجْدِى بظَبْيٍ * يَصُدّ، وما به إلا لجَاجُ.
وعذَّبنِي قضيبٌ فى كَثِيبٍ * تَسَاوى فيه لِينٌ وانْدِماجُ.
أغارُ إذا دَنَتْ مِنْ فيه كأسٌ * على دُرٍّ يقَبِّلُه زُجَاجُ.

وقال أيضا :

يالَقَوْمِى! مَنْ لمُكْتَئِبٍ * دمْعُه فى الخَدِّ مُنْسَفِحُ؟
لامَهُ العُذَّال فى رَشَإٍ * عُذْرُه من مِثْلِهِ يَضِحُ.
وادْعَوْا نُصْحِى! وأخْوَنُ ما * كان عُذَّالى إذا نَصَحُوا!
خوّفُونِى من فَضيحَتِه، * لَيْتَه وافى وأفتَضِحُ!
كَيْفَ يسْلُوالقَلْبُ عن غُصُنٍ، * عَلَّه من مائِه المَرِح؟
ذهَبِىُّ الحُسْن تحسَبُ من * وجنَتَيْه النارَ تقْتَدِحُ!
وكأنَّ الشمسَ نِيطَ لها * قمَرٌ، يُمناه والقَدَحُ.
صَدّ أنْ ما زَحْته غَضَبا! * ماعلى الأحباب إن مَزَحُوا؟
وهو لا يدرى لنَخْوتِه * أننا فى النَّوْم نَصْطَلِحُ!
ثُمَّ لا أنسى مقالَتَه : * أطُفَيْلِىٌّ ومقْتَرِح؟

(١) كذا فى الأصول، وهو مخالف للوزن الشعرى، والذى فى ديوان كشاجم المطبوع :
* بليت ولَجّ بى وجد بظبي * الابيات.

وقال تاج الملوك ابن أيوب :

فَدَيْتُ وجهَ الحبيبِ بَدْرا! * والبَدْرُ يُفْدى، وليس يَفْدى!
سَبى فُؤادِى بلَيْلِ شَعرٍ * وصُبْحِ وجهٍ وغُصْنِ قَدّ.
فى فِيهِ عَنْبَرٌ مُدَافٌ * فى قَهْوةٍ خُولِطَتْ بشَهْدِ.
كأنّما خَدُّه شقيقٌ، * نُقِّط مِنْ خالِه بنَدِّ.
ظَبْيٌ من التُّرك ذُو دَلال * يَستَحْسِنُ الجورَ والتَعدّى.
كأنّهُ غُصْنُ خيزُرانٍ، * إذا ٱنثَنى أو قَضيبُ رَنْد.
يَحُلُّ فى الحُبِّ عَقْد صَبْرِى * إن شَدَّ فى الحَصْر عقد بَنْد!

وقال أبو نُوَاس :

أيا مَنْ بُحُبِّى علَىّ ٱجترى؟ * ومَنْ بلسانى علىّ افترى؟
ومَنْ بيَدى غَلَّنِى للهوى، * فأصبَحْتُ للحُبِّ مستأسِرا؟
أمَا والذى جَعل المُسْتَهام * صَديقَ السُّهادِ عَدُوَّ الكَرى!
لقد ذهبَتْ مُهْجتِى باطلًا، * لئن متُّ منك على ما أرى!

وقال آخر :

ومُهَفهفٍ طاوِى الحَشَا * خَنِثِ المَعاطِف والنظَرْ!
مَلَأَ القلوب بصُورةٍ * تُلِيَت محاسِنُها سُوَرْ!
فإذا رَنَا وإذا شَدَا * وإذا سقى وإذا سَفَرْ:
فَضَح الغَزالَة والحَمَامة والمُدامةَ والقَمَرْ!

وقال آخر :

إذا أكثَرَ الواشُونَ فينا مَقالَهُمْ * وليس لهم عندى وعندَك من ثار،

وشَنُّوا على أسماعِنا كُلَّ غارةٍ * وقَلَّتْ حُماتِي عندَذاكَ وأنصارِى،
لَقِيناهُمُ من مُقْلَتَيْكَ وأدمُعِى * وأنفاسِنا بالسَّيف والسَّيْل والنار.

وقال آخر، من شعراء اليتيمة :

وأغَنَّ أغيدَ حُبُّه * مستأنس لِى، وَهْو نافرْ!
إنْ قُلتُ : زُرْنى! قال : نَمْ، * فالطَّيْفُ ليس يَزُور ساهِرْ!
كيفَ السبيلُ إلى الرُّقا * دِ كما رَسَمْتَ، وأنت هاجِرْ؟
ويقولُ لى فيما يقو * لُ : نَعَمْ! وما للقَوْل آجِرْ!
حتَّى أُشاوِرَ! قلت : لكِنِّى هوِيتُ ولم أُشَاوِرْ!

وقال تاج الملوك :

يا قمرًا أقبلَ يَسْعى على * دعْصٍ من الأغصان مَهْزُوز!
وصْلُك، واويلى! على طِيبِه * أصبَح ذا مَنْع وتَعْزِيز.
ما كانَ إلا بَيْضةَ الدِّيك لى * أو مَطْرةً فى شهر تَمُّوز.

وقال أبو نُوَاس :

عَذَّبَنِى قلبِى بمَنْ قَلْبُه * للصَّبِّ مثْلُ الحَجَر القاسِى.
أحْورَ فَتَّانٍ قَطُوفِ الخُطَا * أغْيَدَ مثل الغُصْنِ مَيَّاسِ.
أبِيتُ لَيْلِى ونَهارِى مَعًا * مُعَلَّقًا منه بوَسْوَاس.
إنِّى وإنْ لم يَكُ لِى نائلٌ * مِنْه لَأَرْجُوه على يَأس.

وقال سيف الدين المشد :

إلى قَدِّكَ اللَّدْنِ يُعْزى الهَيَفْ! * فما هبَّتِ الرِّيحُ إلا انْعطَفْ!
قَوامٌ أرادَ قَضيبُ النَّقا * يُحاكيه، لَمَّا انْثنى، فانقصَفْ!

فيارَامِيًا قد رَمانِي هَواهُ * بنار الأسى فى بحار الأسَفْ!
سِهَامُ جُفونِك قَلْبِي غَدَا * لها غَرَضًا، وضُلُوعى هَدَفْ.
وأوْردْتَنِي فى الهَوى مَوْرِدًا * تجرّعْتُ فيه مَرِيرَ التَّلَفْ.
وأعرضْتَ عنّى، ولاذَنْبَ لِى! * فكَمْ ذا الدلال! وكَمْ ذَا الصَّلَفْ!
وتُخْطَفُ خَصْرٍ على رِدْفه، * فكلُّ فُؤادٍ به مختَطَفْ!

وقال أبو القاسم العطار :

وبِي غَزالٌ، إذا صادَفْت غِرَّتَهُ * جنَيْتُ من وجْنَتَيْهِ رَوضةً أُنُفَا!
كالبَدْر مكتَمِلا، كالظَّبْي ملتَفتا، * كالروض مُبْتَسِما، كالغُصن مُنْعطفا!

وقال تاج الملوك :

ياقمرًا فى غُصُنٍ من بانَةٍ، * يَميلُ عُجْبا فى كَثِيبٍ من نقا!
أصبَح قَلْبُ المُستهامِ مَغْرِبا * له، وأطْواقُ القَبَاءِ مَشْرِقا!
أغيدُ، لا يَقْصد إلّا تلفِي! * ولم يَزَلْ قلبِي به مُعَلَّقا.
ذَكَّرنِي حسنُ ابتسامٍ ثَغْرُه الـ * ـواضِح لَمْعَ البَرْقِ إذ تألّقا.
وطالَمَا ذكّرنِي رُضابُه الـ * ـباردُ صِرْفَ الراح إذ تَعَتَّقا.
أغنّ، مافَوْقَ سَهْمِ لَحْظِه * إلا أصاب القَلْبَ لمّا فَوّقا.
حاجبُه قوسٌ ولَحْظُ عينِه * سهمٌ، فما يُخْطِى إذا مارَشَقا.

وقال أبو نُوَاس .

جالَ ماءُ الشَّباب فى خَدَّيْكا، * وتَلالَا البَهاءُ فى عارِضَيْكا.
ورمى طَرْفُك المُكَحَّلُ بالسِّحْـ * ـرِ فُؤادى فصار رَهْنا لَدَيْكا.

أنا مستهتر بحبك صب * لستُ أشكو هواك إلا إليكا.
يا بديعَ الجمالِ والحسن والدلّ، حياتي وميتتي فى يديكا،
بأبي أنتَ! لو بُليتَ بوجدي * لم يهُنْ ما لقيتُ منك عليكا!
أصبحتْ بالهوى سهامُ المنايا * قاصداتٍ إلىَّ من عينيكا!

وقال أيضا :

يا مَنْ جَدَاه قليلُ * ومَنْ بلاه طويلُ!
ومَنْ دعانى إليه * طَرْفٌ أحَمُّ كحيلُ،
وواضحُ النبتِ يَحكى * مزاجَهُ الزَّنجبيلُ،
ووَجْنة جائلٌ ما * وُها وخدٌّ أسيلُ.
وغُصْنُ بانٍ تثنّى * قدّا، وردْفٌ ثقيلُ،
ويجمع الحسنَ فيه * وجْهٌ وسيمٌ جميلُ!
فكلُّ ناحيةٍ من * قلبى إليه تميلُ!

وقال الوأواء الدمشقى :

رماهُ ريمٌ فأصا * بَ القلبَ منه، إذ رمى.
واحتجَّ فى قتلتِه * بأنه ما علما.
يا معشرَ الناسِ! أما * يُنصفُنى مَنْ ظَلَما؟
علّم سُقْمُ طَرْفِه * جسْمِىَ منه سَقَما.
فسُقْمُ جسْمِى فى الهوى * من طَرْفِه تعلّما.
لو قيلَ لى: ما تشتهى؟ * مخيَّرا محكّما.
لقلتُ أنْ ألثمَه: * نحرا ووَجْها وفَما!

وقال الوزير أبو مروان عبد الملك بن جَهْوَر :

أحْوى النواظِرِ، ألْعَسُ الشَّفتين، عذْبُ الرِّيقِ، ألْمَى!
لو زارَنِى طَيْـفٌ له * عِنْد الهُجُوع ولو ألَمَّا،
لأفادَ رُوحا أو لفـرَّجَ من هُمُوم النفس هَمَّا!

وقال آخر :

وأهيفَ، مهزوزِ القَوامِ إذا انثنَى * وهبْتُ لعُـذْرى فيه ذَنْبَ اللَّوائم.
بثغرٍ كما يبدُو لك الصُّبْحُ باسِماً، * وشعرٍ كما يبدُو لك الليـلُ فاحِم.
مَليحِ الرضا والسُّخْط، تلقاه عاتِباً * بألْفـاظِ مظـلومٍ وألحـاظِ ظالِم.
ومما شَجَانى أنَّنِى يومَ بَيْنِهِمْ * شكوتُ الذى ألقى إلى غير راحِم.
وحَمَّلتُ أثقالَ الجَوى غيرَ حامِلٍ * وأودعتُ أسرارَ الهوى غيرَ كاتِم.
وأبرحُ مالاقَيْتُـه أنَّ مُتْلِفى * بما حَلَّ بِى فى حُبِّـه، غيرُ عالِم.
ولو كنتُ مذ بانُوا سهِرْتُ لساهِرٍ * لهانَ، ولكنِّى سَهِرْتُ لنـائم.

وقال أبو نُوَاس :

يا رِيمُ هات الدَّوَاةَ والقَلَما * أكْتُبُ شَوْقِى إلى الَّذِى ظَلَما!
غَضْبانُ قد غَرَّنى رضَاه ولَوْ * يُسْئَلُ ممَّا غضِبْتَ، ما عَلِما.
فليْسَ ينفَكُّ منـه عاشِـقُهُ * فى جَمْعِ عُذْرٍ لغيْرِ ما اجترَما.
أظَـلُّ يَقظانَ فى تَذَكُّره * حتَّى إذَا نِمْتُ، كان لى حُلُما.
لو نَظَـرَتْ عينُه إلى حَجَرٍ، * ولَّد فيـه فُتُـورُها سَقَما!

وقال سيف الدين المشدّ :

وبِى رَشِيقُ القَوامِ لَدْنٌ * لِقَـدِّه يُنْسَب الرُّدَيْنِى!

ما نظرته العيونُ إلّا * فدته من نظرةٍ وعَيْنِ!
قابَلَ بالكأس وجْنَتَيْه، * فخُفَّ نَجْمٌ بنَيِّرَيْنِ.
وَزَيَّنَتْ كَفُّه الحُمَيَّا! * ما أحسَنَ التِّبرَ فى اللُّجَيْنِ!

وقال كُشاجِم:

٩ بالله يا مُتفرِّدًا فى حُسْنِه * ومقلِّبًا هارُوتَ بينَ محاجِرِه! (٨١)
ومُحكِّمًا أردافَهُ فى خَصْرِه، * ومُصافِحًا خَلْخالَهُ بضَفائِرِه!
لا تغضبَنَّ على فتًى يَرْضى بما * أوْلَيْتَه، ولو انتعلْتَ بناظِرِه.
ويُكاتِمُ الأسرارَ حتّى إنه * ليَصُونُها عن أن تمرَّ بخاطِرِه.

وقال أبو تمام الطائى:

١٠ لَهَا، وأعارنى ولَهَا! * وأبصَرَ ذِلَّتى فزَهَا!
له وَجْهٌ يعِزُّ به، * ولى حُرَقٌ أذِلُّ بها!
دقيقُ محاسِنٍ، وُصِلَتْ * محاسنُ وجْنَتَيْه بها.
أُلاحِظُ حسنَ وجْنَتِه، * فتَجْرَحُنِى وأجْرحُها.

وقال أيضا:

١٥ نشَرْتُ فيك رَسِيسًا كُنْتُ أطْوِيه! * وأظهَرْتَ لَوْعتِى ما كنتُ أُخْفِيه!
إن كان وجهُك لى تَثْرى محاسِنُه، * فإنّ فِعْلَك لى تَثْرى مَساوِيه!
مُرْتَجَّةٌ فى تَهاديه أسافِلُه، * مهْتَزَّةٌ فى تثَنِّيه أعالِيه!
تاهَتْ على صُوَر الأشياءِ صُورتُه * حتّى إذا كُمِّلَتْ، تاهَتْ على التِّيهِ!

وقال المخزومىّ :

أىّ مُحِبٍّ فيك لم أحكِهِ ؟ * وأىّ لَيْـلٍ فيك لم أبكِهِ؟
إنْ كان لا يُرْضيك إلا دَمِى، * فقَدْ أذِنّا لك فى سَـفْكِهِ!

وقال أبو نُوَاس :

يا قابِرِى بمَـــلالَهْ * ودامِرِى بمِطَـالَهْ!
ويا مُبَـدِّلَ لَيْـلِى * قِصارَه بطِـوَالَهْ!
أعوذُ مِنْـك بوَجْـهٍ * بدْرُ الدُّجى فى مِثالَهْ!
لكنّه مِنْـه أحلى * لحُسنِ موضعِ خالَهْ.
هَلّا رَحِمْتَ صَرِيعًـا * تحتَ الرّدى وطِلالَهْ؟
مَنْ لا يُرى منه فوق الْـ * ـفراش غيْرُ خَيَـالَهْ.
مثلَ الخلَال نَحِيـلًا * يَخْفى على عُـذّالَهْ.
فَمَنْ بَغى لكَ سُـوءًا، * فكان فى مِثْل حالَهْ!

وقال محمد بن عبد الله السلامىّ، شاعر اليتيمة :

ومُخْتَصِرِ الخَصْرِ، من بُعْدِهِ * هَرَبْتُ فأُلْقِيتُ فى صَدِّهِ!
وقابَلَنِى وَجْهُـه مُقْبِـلا * بحَـدِّ الحُسَـامِ وإفْرِنْدِه.
فما زِلْتُ أعْصِرُ من خَمْرِه * وأقْطِفُ من مُجْتَنى وَرْدِهِ.
وأظْمأ فأرْشُفُ من رِيقِهِ! * فيا حَرَّ صَـدْرِىَ من بَرْدِهِ!

وقال أبو هلال العسكرىّ :

أقولُ لَمّا لاحَ مِنْ خِدْرِهِ، * واللّيلُ يُرْخِى الفَضْلَ من سِتْرِهِ:
أبَدْرُهُ أحسَنُ من وَجْهِـه، * أم وجْهُـه أحسَنُ من بَدْرِهِ؟

قد مالَتِ الرِّقَّةُ فى شَـطْرِه، * ومالَتِ الغِلْظَـةُ فى شَـطره.
فأزْرُهُ غَصَّتْ بأردافِـه، * ووُشْحُـه جالَتْ على خَصْرِه.
أصبَحْتُ لا أدرى ـ وإنْ لم يَكُنْ * فى الأرض شَىءٌ أنا لم أدرِه ـ
أشَـعْرُه أحسَنُ من قَدِّه؟ * أم قَدُّه أحسنُ من شَـعْرِه؟
ودُرُّه يؤخَذُ من لفظِـه، * أم لفظُـه يُؤخَذُ من دُرِّه؟
ونَثْـرُه ينظَمُ من عِقـدِه، * أمْ عِقْـدُه ينظُمُ من نَثْـرِه؟
فمَنْ عَذِيرُ الصَّبِّ من صَـدِّه؟ * ومَن مُجِـيرُ القَلْبِ من هَجْرِه؟
يالَيْتَـهُ يَعْـرِفُ حُبِّى له ! * عَسَاه يَحْزِنِى على قَـدْره!

وقال تاج الملوك بن أيوب :

يا هِلالًا لاحَ فى غُصْنٍ، * تُشْرِقُ الدُّنيَـا بطَلْعتِـه!
وغزالًا طالَمَا خضـع * الأَسَـدُ الضارى لهيبَتِـه!
ما رَنَا إلَّا وجَـرَّد لِى * صارِمًا من لَحْظ مُقْلتِـه.
صلْ عَلِيلا، أنتَ أعْلَمُ من * كلِّ مَخْـلوقٍ بعلَّتِـه.
قـد أطالَتْ مُقْلتاكَ بِلا * سببٍ تَعْـذِيبَ مُهْجَتِـه.
كُلَّمَـا لَجَّتْ عَـواذِلُهُ * أجَّجَتْ نِيرانَ لَوْعَتِـه.
فَتَئِدْ من طُولِ عَذْلِكَ لى، * يا عَـذُولِى فى محبَّتِـه!
من بَنِى الأتْراكِ مُعْتدِل، * قـد تَمَـادى فى قَطِيعتِـه.
ليس يَشْفِى القَلْبَ من ظَمإٍ * غيرُ رَشْـفِى راحَ رِيقَتِـه!
لا، ولا يُطْفِى لَظَى كَبِدى * غَـيْرُ تَقْبِيلِى لوجْنَتِـه!
لَيْتَ أن الدَّهْرَ مَكَّنَنِى * بيـدِى من حَلِّ تِكَّتِـه!

وقال آخر :

ومُهَفْهَفٍ! عنّى يَميـــلُ ولم يَمِـــلْ * يومًا إلىّ، فقُلْتُ من ألَمِ الجَـــوى :
لِمَ لا تَميـــلُ إلىّ، ياغُصْنَ النَّقـا؟ * فأجابَ: كَيْفَ، وأنتَ من جِهَةِ الهَوى؟

وقال آبن منير الطرابلسىّ :

(٨٣) مَنْ رَكَّبَ البَدْرَ فى صَدْرِ الرَّدَيْنِىِّ، * ومَوَّهَ السِّـــحْرَ فى حَدِّ اليَمَـانِىِّ؟
وأنْزَلَ النِّـيِّرَ الأعْلى إلى فَـلَكٍ * مَـدَارُه فى القَبَـاءِ الخُسْرُوانِىِّ؟
طَرْفٌ رَنَا أمْ قِرَابٌ سُلَّ صارِمُهُ؟ * وأغْيَدٌ ماسَ أم أعْطافُ خَطِّىِّ؟
وبرقُ غادِيَةٍ أم بَرْقُ مُبْتَسِـــمٍ، * يفْتَرُّ من خِلَلِ الصُّدْغِ الدَّجُوجِىِّ؟
وَيْلاهُ، من فارِسِىِّ النَّحْرِ مفْتَرِسٍ * بفـاترٍ أسَـــدِىِّ الفَتْكِ رِيمِىِّ!
يُكِنُّ ناظِـرُه ما فى كِنَانَتِـهِ! * فليس يَنْفَكُّ من إقْصـادِ مَرْمِىِّ!
أذلَّنِى بعْـــدَ عزٍّ، والهوى أبدًا * يَسْـتَعْبِدُ الليثَ للظَّبْىِ الكِنَاسِىِّ.
ماماتَ مانِىٌّ(١)، لولا ليلُ عارِضِهِ * ما شَـــدَّ خيلَ المنـايا بالأمانِىِّ.
تَكَنَّفَ الحسنُ منه وجْهَ مُشْتَمِلٍ * نَهَـارَ أحْوَرَ فى تأنيثِ حُورِىِّ.
أمَا وذائبِ مِسْـكٍ من ذوائبِـهِ * على أعالِى القَضِيبِ الخَيْزُرانِىِّ؟
لوقيلَ للبَدْرِ: مَنْ فى الأرضِ تحسُدُه؟ * إذا تَجَـلَّى، لقالَ آبنُ الفُلانِىِّ!
أربى علىّ بشَـتَّى من مَحَاسِـــنه * تألَّفَتْ بين مسمُوعٍ ومَرْئِىِّ.
إباءُ فارِسَ مَـعْ لينِ الشَّآمِ مـع الظَّـرفِ العِراقِىِّ فى النُّطْقِ الحِجازِىِّ.
وما المُـدامةُ بالألبابِ ألعَبُ من * فَصاحةِ البَـــدْوِ فى ألفاظِ تُرْكِىِّ!
أشـبهتُه ببعادِى، ثم كانَ له * مَزِيَّةُ الخَـلْقِ والأخْلاقِ والزِّىِّ.
من أينَ لى لَهَبٌ يَجْرِى على ذَهَبٍ * فى صَحْنِ أبيضَ صافِى المـاءِ فضِّىِّ؟

(١) الإشارة إلى مانى القائل بالثنوية أى بالنور والظلام .

وروضةٌ لم تحكها كفُّ سارية * ولا شكا خدُّها من لثم وسميِّ
يحفُّها سوسنٌ غضٌّ يغازلُه * بنرجس بنطاف السحر مولِّ .
من مُنقذى أو مجيرى من هوى رشإٍ * أفتى وأفتكُ من عمرو بن معديِّ ؟
لا يعشق الدهرَ إلا ذِكرَ معركةٍ * أوخوضَ مهلكة أو ضربَ هنديِّ .
ولا يحدِّثُ إلا عن ربابته * من المهار العوالى والمهارىِّ .
والصافناتُ ولُبسُ الضافياتِ وشُر * بُ الصافياتِ وإطرابُ الأغانىِّ ،
أشهى إليه من الدَّوح الظليلِ على الـ * ـروح العليل وتغريدِ القمارىِّ ،
شدّ الجياد لأيام الجلاد وإر * شاد الصِّعاد إلى طعن الأناسىِّ ؟
وحثّ بازٍ على نأىٍ وحمل قطا * مىٍّ تكدَّر منه عيشُ كُدْرىِّ ؟
فى غلمةٍ كغصون البانِ يحملُها * كُثبانُ بُردٍ على غادات بَردىِّ ؟
يعشُون فى الوشى أسراباً ، فتحسبُهم * روضَ الربيع على بَيْض الأداحىِّ .
والساحرُ الساخرُ الغرَّارُ بينهم * كالشمس تكسف أنوارَ الدراريِّ .
مُهفهفُ القدِّ ، سَهلُ الخد ، أغربُ فى الـ * ـحجال من لُثغةٍ فى لفظ نَجْديِّ .
يُلهيه عن كُتُبٍ تُروى ونُصرته * لشافعىٍّ فقيهٍ أو حنيفىِّ .
عُوجُ القسىِّ وقُبُّ الأعوجيَّةِ والشُّـ * ـهبُ المماليجُ تُربى فى الأوَارىِّ .
والشَّعرُ فى الشَّعر الداجى على الغَنج السَّاجى يُلَيِّنُ منه قلبَ حُوشىِّ .
فلو بَصُرتَ به يَصْغى وأُنشِدُه ، * قلتَ النُّواسىُّ يَشجو قلبَ عُذْرىِّ .
أو صائدُ الإنس قد ألقى حبائلَه * ليلا فأوقع فيها صيدَ وَحْشىِّ .
أغراه بى بعدَ ما جَدّ النِّفارُ به * شَدْوُ القريض وألحانُ السُّريجىِّ .
فصار أطوَعَ لى منه لمُقلتِه ، * وصرتُ أعرَف فيه بالعَزيزىِّ .

ومما قيل فى المؤنث، قال ابن الرومى :

مخفّفةٌ مثقّلةٌ، تراها * كأنْ لم يَعْدُ نِصْفَيها غِذاءُ!

إذا الإغبابُ جدّد حُسْنَ شيْءٍ * من الأشياء، جدّدها اللّقاءُ.

لها رِيقٌ تَشِفُّ له الثّنايَا، * ويَرْوى عنه — لامنه — الظّماءُ. (٨٣)

وأنفاسٌ كأنفاس الخُزامى * قُبيلَ الصُّبح، بَلّتْها السّماءُ!

تنفّسَ نَشْرُها سَحَرا، فجاءتْ * به سَحَريّةَ المَسْرى رُخاءُ!

وقال أبو نُوَاس :

ماهَوًى إلا له سَبَبُ * يبتدى منه ويَنْشَعِبُ.

فتنَتْ قَلْبى مُحَجَّبةٌ، * وجْهُها بالحُسن منتقِبُ.

خُلِّيَتْ والحُسْنَ تأخُذُه * تَنْتقِى منه وتَنْتخِبُ.

فاكتسَتْ منه طَرائفَهُ * واستزادَتْ بعضَ ماتَهَبُ.

صار جِدًّا ما مَزَحْتُ به * رُبَّ جِدٍّ ساقه اللّعِبُ!

وقال أيضا :

ياقَمَرا، أبصرْتُ فى مأتَم * ينْدُب شَجْوا بينَ أتْرابِ!

يَبْكى فيُذْرِى الدُّرَّ من نَرْجس، * ويَلْطِمُ الوردَ بعُنّاب.

أبرَزَهُ المأتَمُ لى كارِهًا، * برَغْم دايَاتٍ وحُجّاب!

لاتَبْكِ مَيْتا حَلَّ فى رَمْسه، * وأبك قَتيلاً لكَ بالباب!

وقال سيف الدين المشد :

و بُهْجَتِي! مَنْ لو بَدَتْ * للشمسِ من تَحْتِ النِّقابْ،
سَتَرَتْ محاسِنَ وجْهِها * خَجَلا، ولاذَتْ بالسَّحابْ!

وقال القاضى أبو على التَّنُوخى، شاعر اليتيمة :

أقولُ لَهَا والحَيُّ قد فَطِنُوا بنا * ومالِيَ عن أيدِى المَنُون بَرَاحُ:
لَمَا ساءنِى أنْ وشَّحَتْنِي سُيُوفُهم * وإنِّى لَكُمْ دُونَ الوِشاح وِشَاحُ.

وقال عمارة اليمانى :

طَرَقَتْها، والليلُ وَحْفُ الجَنَاحْ، * وما تَلَبَّستُ بثَوْب الجُنَاحْ.
فى ليلةٍ بات نجَادِى بها * ذوائبًا يَخْفُقْن فوقَ الوشَاحْ.
والحسنُ قد ألَّفَ أشتاتَهُ * غُصْنٌ تثَنَّى فوقَ رِدْف رَدَاحْ.
نامَ رقيبُ الصُّبْحِ عن لَيْلَتِي، * وباتَ لِي كلُّ مَصُون مُبَاحْ!
أجمَعُ من خَدٍّ ومن مَبْسِمٍ * بُحْمَرَةِ الوَرْد بَياضَ الأَقَاحْ.
حصَلْتُ من رِيقٍ ومن مَنْطِقٍ * على أقْتِراحٍ ونَمِيرٍ قَرَاحْ.
ترَنَّحتْ مِنْ نَشَوات الصِّبا * فبِتُّ مَسْرُورًا بنَشْوانَ صاحْ.
وفاحَ مِن نَشْرِ الصَّبا عَنْبَرٌ * أحْرقه الفَجْر بجَمْر الصَّبَاحْ!

وقال أبو نُوَاس :

وذاتِ خَدٍّ مُوَرَّدْ * قُوهِيَّةِ المتجَرَّدْ.
تأمَّلُ العَينُ منها * محاسِنًا ليس تَنْفَدْ.
فالحُسْن فى كل جُزْء * منها مُعادٌ مُرَدَّدْ.

فبعضُه فى انتهاءٍ * وبعضُه يتولّدْ.
وكلّما عُدْتُ فيه * يكونُ لى العودُ أحمدْ!

وقال علىّ بن عبد الرحمن بن المنجم :

شبّهتُها بالبدرِ فاستضحكتْ * وقابلتْ قولِى بالنُّكرْ.
وسفّهتْ قولِى وقالتْ : متى * سَمُجْتُ حتّى صِرتُ كالبَدْرِ.
البدرُ لا يرنُو بعَيْنٍ كما * أرنُو، ولا يَبْسِمُ عن ثَغْرِ.
ولا يُميط المِرْطَ عن ناهدٍ، * ولا يَشُدُّ العِقْد فى نَحْرِ.
مَنْ قاسَ بالبدرِ صِفاتِى، فلا * زالَ أسيرًا فى يَدَىْ هَجْرِى!

وقال العماد الأصفهانىّ :

لُثْنَ الأهلّةَ بالمَعاجِرْ * وكَحَلْنَ بالسُّقْمِ المَحاجِرْ.
ونظَرْنَ عن حَدَقٍ حَجَرْ * نَ بِهَا على آرام حاجِرْ.
شَهَرتْ لِحاظُ ظِبائِهِنّ على القُلُوب ظُبًا بواترْ.
آرامُ خِدْرٍ باللّحا * ظ تَصيدُ آسادًا خَوادِرْ.
غِيدٌ لسَفْكِ دَمِ المُحِبّ تَظافَرتْ منها الظَّفائِرْ.
بيضُ التَّرائب حُمرُها * خُضْرُ اللّمى سُودُ الغدائِرْ.

وقال كُشاجِم :

جعلتُ إليكِ الهوى * شَفِيعا فلم، تُشْفِعِى!
وناديتُ مستعْطِفا * رضاكِ فلم تَسْمَعِى.
أتاركتِى مُدْنَفًا * أخا جَسَدٍ مُوجَعِ!
ومُغْرِيتِى والدّمو * عُ قد أحرقَتْ مَدْمَعِى.

أحينَ سَبَيْتِ الفُؤا * دَ بالنظـــر المُطْمِعِ،
جفَوْتِ وأقصيتِنِي؟ * فهَـــلَّا، وقَلْبِى مَعِى؟

وقال آبن المعلم :

صَعْدةُ القَدِّ وسيفُ الكَحَلِ * حَكَما حُكْمَ الهوى فى أجلِي.
يالقَومِى! حَمَلتْ ثِقْلَ دَمِى * غادةٌ يُثْقِلُها حَمْلُ الحُـــلِي!
قَدُّهـا مُعتَـدِلٌ يَظْلِمُنِى! * حَزَنِى من قَدِّها المعتدل!
خَصْرُها يَنْشَطُ، لكن رِدْفُها * أبدًا يَقْـــهَرُهُ بالكَسل.
نظرةٌ من مُقْلَتَىْ جاريَةٍ * وثَنَتْ عِطْفَ القَضيبِ الثَّمِلِ.
لستُ أدرِى: قمـر فى كِلَّةٍ * ما أرى، أم دُمْيَةٌ فى هَيْكل؟
سألتْ جِسْمِىَ عن ساكنِه! * ومن الجَهْـل سُؤالُ الطَّلَل!

وقال سيف الدين المشد :

وغادةٍ، أعشَقُ من أجْلِهـا * بدرَ الدُّجى والظَّبْيَ والخَيْزُرانْ.
لأنَّ ذا يُشْبِهُها بهجةً، * وذاكَ ألحاظًا، وهذا بَنانْ.

وقال أبو نُوَاس :

يامُنْسِيَ المَـــأْثَم أشجـــانَهُ * لمـا أتاهُـــمْ فى المُعَزِّينَـا!
حَلَّتْ عِجَارَ الوَشْى عن صُورةٍ * ألبسهـا اللهُ التَّحاســـينَا!
اســـتَفْتَنَتْهنَّ بِتِمْثالِهـا * فهُنَّ للتَّكليفِ يَبْكِينا.
حَقَّ لذاك الوجه أن يَزْدَهِى * عن حُزْنِه مَنْ كان مَحْزُونَا.

وقال أيضا :

أيا لَيْتَ شعْرِى أمِنْ صَخْرةٍ * فُؤادُكِ هـذا الذى لا يَلِينْ!

تقولُ إذا ما اشتكيتُ الهوى، * كما يَشتكى البائسُ المُسْتَكينْ:
أفى النَّومِ أبصَرْتَ ذا كُلَّه؟ * فخيراً رأيتَ، وخيرًا يكُونْ!

وقال المشوق الشامى:

أتُرَى بشارٍ أو بدَيْنِ * عَلِقتْ محاسنُها بعيْنِى؟
فى خَصْرِها وقَوَامِها * ولِحَاظِها ما فى الرَّدَيْنِى.
وبوَجْهِها ماءُ الشَّبا * ب خليطُ نار الوجنَتَيْن.

وقال السرىُّ الرفَّا، شاعر اليتيمة:

قامتْ وخُوطُ البانة الـ * ـمَيَّاسُ فى أثوابِها.
ويَهُزُّها سُكرانِ: سُكـ * ـرُ شَرابِها وشَبَابِها!
تَسْعى بصَهْبَاوَيْنِ من * ألحاظِها وشَرابِها.
وكأنَّ كأْسَ مُدامِها * لَمَّا ارتدَتْ بحُبابِها:
توريدُ وَجْنتِها إذا * ما لاح تحتَ نِقابِها.

وقال ابن الرومىّ:

مِنْ بناتِ الرُّوم، لا يَكْذِبُنا * لونُها المُشْرِقُ عن مَنْصِبِها.
قامةُ الغُصْنِ - إذا ما اعتدلَتْ، * قامةُ الغُصْنُ - إلى مَنْكِبِها.
شهِدَ الشاهدُ من أحسنِها، * فحكى الغائبَ من أطْيبِها.
تَشْفَعُ الحسنَ بإحسانٍ لها * يَجْلُبُ الأفراحَ من مَجْلِبِها.
تَشْرَعُ الألحاظُ فى وَجْنتِها * فتُلاقِى الرِّىَّ فى مَشْرَبِها.
وجَنَةٌ للغنج فيها عَقْرَبٌ، * وبَلاءُ الصبِّ من عَقْرَبِها.

وإذا قامَتْ إلى مَلْعَبِهـا * كَمَهَاةِ الرَّمْـلِ فى مَلْعَبِهـا،
سألت أردافُهـا أعطافَهَا: * هَلْ رأتْ أوطَأَ من مَرْكَبِهـا؟

وقال أبو الحسين بن فارس :

مَرَّتْ بنا هَيْفاءُ مَقْـدُودةٌ * تُرْكِيَّةٌ تُنْـمى لـتُرْكِىّ.
ترنُو بطَـرْفٍ فاترٍ فاتنٍ * أضعَفَ من حُجَّةِ نَحْوِىّ.

ومما قيل فى المُطْلَق والمشترك، قال الطغرائى :

فيمَ التعَجُّبُ من قَلْبى وصَـبْوتِهِ * كأنَّكُم لم تَرَوْا من قَبْلِهِ عَجَبا!
ذوقُوا الهَوى ثم لُومُوا مابَدَا لكُمُ، * أولا، فخَلُّوا مَلامِى وآرتَحُوا التَّعَبا!

وقال ايضا :

وكنْتُ أُرانِى مُفْلِتًا شَرَكَ الهَوى، * وقد صادنِى سحرُ العُيونِ النَّوافِثِ.
وأسْمَعَـنِى داعِى الغَـرامِ نِداءَه، * فقمتُ إليـه مُسْرِعا غير لابِثِ.
وأعطيْتُ إخْوانَ البَطالةِ صَفْقتِى، * وبعتُ قديما من غَرامِى بحادِثِ.
فما صَفْقَتِى فى البيعِ صَفْقةُ خاسِرٍ، * ولا بَيْعَتِى للحُبِّ بيعـةُ ناكِثِ.
فلا تعذُلُونى فى غرامِى بعـدَ مَا * تولَّى الصِّبا، فالعَذْلُ أوَّلُ باعِثِ!
ولا تبحَثُوا عن سِرِّ قلبِى إنَّه * صَفًا، ليس يَمضِى فيه معْولُ باحِثِ.
أرى صَبَواتِ الحبِّ قد جَدَّ جِدُّها، * وقد كان بدءُ الحب مَزْحةَ عابِثِ!

وقال الأرّجانىّ :

قفَـا مَعِى فى هـذه المَعَاهِدِ! * لا بُدَّ للصَّبِّ من المُسَاعِدِ!
لا تَبْخَـلَا يا صاحِبَىَّ وآسمحَا * بوقْفَـةٍ على المُعَـنَّى الواجِدِ.

فى منزلٍ عَهِدْتُ فى عِرَاصِه، * لو ردّ معهودا بكاءُ عاهِد،
كواعبًا من الدُّمى لواعبًا * مُشْبِهةَ الثُّغور لا القلائد.
يمشين من فرط النَّعيم والصِّبا * كالقُضُب المَوائل المَوائد.
فيهنّ ظَبْيٌ عَلِقَ القلبُ به * من الظِّباء النُّفْرِ الشوارد.
إذا تَبَدّى مرضٌ بطَرْفِه، * لم يخلُ من أفئدة عوائد.
رميتُه، فصادنى . فمن رأى * صيْدًا يمرّ بفؤاد الصائد؟
قطعتُ من قلبى رجائى فى الهوى! * والقَطْعُ طِبُّ كلّ عُضو فاسد!

وقال أبو القاسم عبد الله الدينورىّ، شاعر اليتيمة :

يا لِعَصْرِ الخَلاعةِ المودود * ولظِلِّ الشَّبِيبة الممدُود!
وارتشافِ الرُّضابَ من بَرَد الثَّغـ * ـر وثَنْى عليه وِرْدَ الخُدُود!
وبُكُورى إلى مجالس عِلْم * ورَواحى إلى كواعبَ غيد!
فى قميص من السُّرور مُذَال * ورداء من الشَّباب جَديد!

وقال تاج الملوك بن أيوب :

(٨٥) ألَا رحِمْتُمْ متيما دنفا * مأزالَ من جَوْرِكم بكُمْ عائذْ!
صَبًّا قضى الله أن يَهيم بكُمْ * ولا مردّ لحكمه النافذْ!
يلوذُ حُبًّا دُونَ الأنام بكم * وحَسْبُه أنه بكُمْ لائذْ!

وقال فخر الدين الوركانى، شاعر الخريدة :

أأحبابَنَا أمّا حياتِى بَعْدكُم * فموتٌ، وأما مَشْربِى فمَنَغَّصُ
وأسعَدُ شىء فىّ قلبى لأنّه * لدَيْكم، وجسْمى بالبِعاد مخصَّصُ!

وقال العماد الأصفهانى :

بذلتُ لهم ـ أبْغِى رِضاهُم ـ مودَّتِى * وقلبِى وصَبْرِى والرُّقادَ، فما رَضُوا.
وهنَّنِى عن كلِّ تعوضتُ بَعْدَهم * فقُلْ لى : بماذا عنهُمُ أتعوّض؟
وما كان ظنِّى أنَّ عيشِىَ ينقضِى * ونجمَ الصِّبا ينقَضُّ والعَهْدُ يُنْقَضُ.

وقال الطغرائى :

إن الأُلى أرضاك قولُهُمُ * بالأمس، تحتَ رضاهُمُ سُخْطُ!
لَمَّا صَفا ذاك الجمالُ لَهُمْ، * تاهوا على العُشَّاق وآستَطُوا.
هَمُّوا بَبَيْنٍ فاستطارَ له * قلبى، فكيفَ يكُون إن شَطُّوا؟

وقال الطغرائى أيضا :

فى القَلْب من حَرِّ الفراق شُوَاظُ، * والدمعُ قد شَرِقتْ به الألحاظ.
ولقد حفِظْت عُهودَكُمْ، وغدرتُم. * شتَّانَ غَدْرٌ فى الهوى وحفاظُ!
لله أىُّ مَواقِفٍ رقَّتْ لنا * فيها الوسائلُ، والقلوبُ غلاظُ!

وقال أيضا :

وسائلٍ عن جَوى قلبى، فقلتُ له : * ما أنتَ عِنْدِى على سِرٍّ بمُتَّهَمِ!
طابَ الجَوى فى الهَوى حتَّى أَنِسْتُ به، * فهو المَرارةُ يحلُو طَعْمُها بفمى!

وقال أحمد بن محمد بن عبد ربه :

أتقتُلُنِى ظُلْما وتجحَدُنِى قَتْلِى، * وقد قام من عينيكَ لى شاهِدَا عَدْل!
أُطَلَّابَ ذَحْلِى، ليس لى غيرُ شادِنٍ * بعينيه سِحْرٌ فاطلُبُوا عِنده ذَحْلى!
أغَارَ على قلبى، فلما أتيتُهُ * أُطالِبُه فيه، أغارَ على عَقْلى!
بنفسِى التى ضَنَّتْ بَرَدِّ سلامها! * ولو سألَتْ قتلى، وهبْتُ لها قَتْلِى!

إذا جئتها صَدَّتْ حَياءً بوجهها، * فتَهْجُرُنى هَجْرا ألَذَّ من الوصْلِ.
وإن حَكَمَتْ جارتْ عَلَىّ بحُكْمِها، * ولكنَّ ذاكَ الجورَ أشهى من العَدْلِ.
كتمتُ الهوى جَهْدِى، فجَوده الأسى * بماء البُكا، هذا يَخُطُّ وذا يَمْلِى!
وأحبَبْتُ فيها العَذْلَ حُبًّا لذِكْرها، * فلاشَىءَ أحلى فى فُؤادى من العَذْلِ!
أقولُ لقلبِى كُلَّما ضامه الأسى: * إذا ما أبيتَ العِزَّ، فاصبِرْ على الذُّلِّ!
برأْيِكَ لا رأيى تعرَّضْتَ للهوى، * وأمرِكَ لا أمرِى وفعلِكَ لا فِعْلِى.
وجدْتَ الهوى نصلا من الموت مُغْمَدا * فجَرَّدتَهُ ثم ٱتكأتَ على النصل!
فإن كنتَ مقْتُولًا على غيرِ رِيبةٍ * فأنتَ الذى عَرَّضتَ نفسَكَ للقَتْلِ!

وهذه الأبيات معارضة لصريع الغوانى فى قوله:

أدِيرَا علَىَّ الكأسَ، لا تَشْرَبَا قَبْلِى * ولا تطْلُبَا من عندِ قاتلتِى ذَحْلِى!
فما حَزَنى أنّى أموتُ صَبابةً، * ولكنْ على مَنْ لا يَحِلُّ لها قَتْلِى!
فَدَيْتُ التى صَدَّتْ وقالت لِتِرْبِها: * دَعُوه، الثُّرَيَّا منه أقربُ من وَصْلِى!

وقال ٱبن عبد ربه:

صَحا القلْبُ، إلا خَطرةً تبعثُ الأسى * لها زَفْرةٌ موصولةٌ بحَنِينِ.
بلى، رُبَّما حلتْ عُرَى عَزَماتِهِ * سوالِفُ آرام وأعيُنُ عِينِ.
لواحظ حَبَّات القلوب إذا رنَتْ * بسِحْرِ عيُونٍ وٱنكسارِ جُفُونِ.
ورَيْط من المَوْشِىِّ أينَعَ تحتَهُ * ثِمارُ صُدورٍ، لا ثِمارُ غُصُونِ.
بُرُودٌ كأنوارِ الربيعِ لبِسْنَها * ثيابَ تَصابٍ لا ثيابَ مُجُونِ.
فَرَيْنَ أَدِيمَ الليلِ عن نُورِ أوجُهٍ * تُجَنُّ بها الألبابُ كلَّ جُنونِ.
وجوهٌ جرى فيها النعيمُ فكُلِّلَتْ * بوَرْدِ خدودٍ يُجْتَنى بعيُونِ.

سألبَسُ للأيّام دِرْعًا من العَـزَا، * وإنْ لم يكُن عند اللّقَا بحَصينِ.
وكيف، ولى قَلْبٌ إذا هَبَّت الصَّبا * أهابَ بشَوْقٍ فى الضُّلوع دَفِينِ؟

وقال آخر:

هَزُّوا القُدودَ وجَرَّدوا الأجْفانَا! * فاطلُبْ لنفسك، إنْ قدَرْتَ أمانَا.
وألقِ السِّلاحَ إذا ٱنثَنَوْا وإذا رَنَوْا، * وكُنِ الجَبانَ وإن مَلَكْتَ جَنَانا.
وٱحذَرْ ضِرَاما بالعُيون، وسَلْ به * مِثْلِى، وجانب بالقُدُود طعَـانا.
فلقد رأيتُ الأُسْـدَ وهى كواسرٌ * تَخْشى بمعـتَرَك الهوى الغزْلانا.
لا تعبَثَنَّ بذابِـلٍ وبباتِرٍ! * وخَفِ المُهفْهَفَ وٱحذر الوَسْنانَا!
لولَا تشابُهُ مقـلةٍ أو قامـةٍ، * ما خِفْتُ يوما صَـعْدةً و سِنَانا.
وأنا الَّذى حَضَرَ الوقائعَ فى الهوى * وأقامَ فى أَسْـرِ الغَرام زَمانَا.
ولكَمْ رأيتُ به الشَّـدائدَ مُرَّةً! * ولَـكَمْ رأيتُ به المَمـاتَ عيَانا!
وثبَتُّ بينَ مَعَاطِفٍ ولواحِظٍ * فى مَوْقِفٍ يَذَرُ الشُّجاعَ جَبَانا!
مُسْتَسْلِمًا للعِشْق: لا مُسْتَصْرِخا * صَبْرًا، ولا مستَنْجِدًا سُـلْوانا.
أرجُو الشهادةَ إن قُتِلْتُ به، وما * ولَّيتُ فيـه ولا ثَنيتُ عِنَـانا.
ياوَيْحَ قلبٍ ما خَلَا من شُـغْلِهِ * بصَبابةٍ ومَحبَّـةٍ مذ كانَا!
لو فَتَّشُوه لمـا لَقُوا لِسِوى الهوى * فيـه ولا غَيْرِ الغـرام مَكانَا.

وقال التلعفرىّ:

هـذا العَذُول عليـكُم، مالى ولَهْ؟ * أنا قد رَضِيتُ بذا الغَرامِ وذا الوَلَهْ!
شـرْطُ المحبـةِ أنّ كلَّ متـيَّمٍ * صَبٌّ يُطِيع هَواه، يَعْصِى عُذَّلَهْ.
وأخذْتُمُونِى حينَ سار بحبِّـكُم * مَثَـلِى، ومِثْلِى سِرّه لن يَبْـذُلَهْ!

ما أعربَتْ واللهِ عن وَجْدِى بكُمْ * وصـــباتِي إلَّا دُمُوعى المُهْمَلَهْ.
جُزْتُم مَـــدَاكم فى قطيعتِكُمْ، فلا * عطفٌ لعـائدكُمْ يُرامُ، ولا صلَهْ.
أألُومُكُمْ فى هَجْرِكم وصُدُودِكُم، * ما هـــذه فى الحُبِّ منكم أوّلَهْ!
قسَمًا بكم، قد جِرْتُ مما أشتكى! * حَسْبِيَ الدَّجى، فعَدِمتُه ما أطْوَلَهْ!
لَيْـلِي كيومِ الحَشْرِ معنًى إن يكن * لا ليلَ ذاكَ له، فذا لاصُـبْحَ لَهْ.
ياسـائلى منْ بعـدِهم عنْ حالتِي! * تركُ الجوابِ جوابُ هذى المسألَهْ!
حالِي إذا حَـدَّثتُ لا لُمَعًا ولا * جُمَلا لإيضاحى لمـا من تَكْلَمُهْ(١).
عِنْدِى جَوًى يَذَر الفصيحَ مبَلْدًا: * فاترُكْ مفَصَّـله! ودُونَك مجمَـلَهْ(٢)!
القلبُ ليس من الصِّحاحِ فيُرْتجى * إصـــلاحُه، والعينُ سُحْب مُثْقَلَهْ(٣).
يانازِحِينَ، وفى أكِلَّةِ عِيسِهِمْ * رَشَأٌ عليـه حَشَا المُحِبِّ مقَلْقَلَهْ!
قمَرٌ له فى الطَّرْف بل فى القَلْب بل * فى النَّثْرة الحَصْداء أشرفُ مَنْزِلَهْ(٤).
الصُّدْغ منـه عَقْربٌ، ولِحـاظُه * أَسَدٌ، وخلفَ الظَّهْر منه سُنْبُلَهْ(٥).
ما أجورَ الألحـاظَ منـه إذا رَنَا! * وإذا انثنى، فقَوامُه ما أعْـــدَلَهْ!
لو لم يُصِبْ صُدْغَيْه عارضُ خدِّه، * ما أصبحَتْ فى عارِضَيْه مُسلْسَلَهْ.
لله منـــه مهَفْهَـــفٌ أجْنيتُـــهُ * عَسَلَ الهوى فجَنَيْتُ منه حَنْظَلَهْ!
لو كنتُ فيه قَبِلتُ نُصْحَ عَواذلى، * ما أدبَرَتْ أيامُ حَظِّى المُقْبِـــلَهْ!

(١) إشارة إلى الكتب الشهيرة: اللمع، الجمل، الإيضاح، التكملة. وكلها فى علم العربية.
(٢) يشير إلى "الفصيح" لثعلب، و"المفصل" للزمخشرى، و"المجمل" لابن فارس. وكلها كتب فى اللغة.
(٣) الاشارة إلى "الصحاح" للجوهرى، و "العين" للخليل بن أحمد. وهما من كتب اللغة.
(٤) يشير إلى بعض منازل القمر، وهى: الطرفة، والقلب، والنثرة.
(٥) يشير إلى بعض البروج، وهى: العقرب، والأسد، والسنبلة.

وقال الطغرائى :

رُوَيدَكُمُ! لا تَسْبِقُوا بقَطِيعتِي * صُروفَ الليالى، إنَّ فى الدهر كافيَا.
ويا قلبُ، عاوِدْ ما ألِفْتَ من الجَوى! * مَعاذَ الهوى أن تُصبِح اليومَ سالِيَا!
ويا كبِدى، ذُوبى! ويا مقلتى، اسْهَرى! * ويا نفْسِ لا تُبْقِى من الوجْد باقيَا!
فلا تَطْمَعُوا فى بُرْء مابِى، فإنَّه * هو الداءُ قد أعيَا الطبيب المُداوِيَا!

ومما قيل فى طَيْف الخيال، قال قيس بن الخطيم : (٨٧)

إنى شَرِبْتُ، وكنتُ غيرَ شَرُوب! * وتُقرِّبُ الأحلامُ غيْرَ قَرِيب.
ما تَمْنعِى يَقْظَى، فقد تُؤْتِينَهُ * فى النوم غيْرَ مُكدَّر مَحْسُوبِ.
كانَ المُنى تِلْقاءَها، فلقيتُها * ولهَوْتُ من لَهْوٍ امرئٍ مَكْذُوبِ!

وقال عمرو بن قَمِيئَة :

نَأَتْكَ أُمامةُ، إلا سُؤالَا * وإلَّا خَيالًا يُوافِى خَيالَا.
خَيالًا يُخَيِّل لى نَيْلَها، * ولو قَدَرتْ لم يُخَيِّلْ نَوالَا!

قال أبو هلال العسكرى : ومن هاتين القطعتين أخذ المحدَثونَ أكثرَ معانيهم فى الخَيال.

وقال البَعِيث :

أزارَتْكَ ليلى، والرِّكابُ خَواضِع؟ * وقد بَهَر الليلَ النجُومُ الطَّوالِعُ!
وأعطَتْكَ غاياتِ المُنى غير أنَّها * كَواذبُ إنْ حَصَّلتَها وخَوادِعُ.

وقال أبو تمام :

اِستَزَارَتْه فِكْرَتِي فى المَنَامِ، * فأتاها فى خِفْيَةٍ واكْتِتَامِ.
يا لها لَيْلَةً تَوَارَتِ الأَرْ * واحِ فيها سِرًّا عنِ الأَجْسَامِ!
مجلِسٌ لم يكن لنا فيه عَيْبٌ * غيرَ أنَّا فى دَعْوة الأَحْلامِ!

وقال الحمدونىّ :

لم أَنَلْه، فنِلْتُــه بالأَمَانِى * فى مَنَامى سرًّا من الهِجْرَانِ!
واصل الحُلْمُ بيننا بَعْدَ هَجْرٍ، * فاجتمَعْنا ونحنُ مُفْتَرِقَانِ.
وكأنَّ الأرواحَ خافَتْ رَقِيبًا، * فطَوَتْ سِرَّها عن الأَبْدَانِ.
مَنْظَرٌ كان نُزهةَ العَيْنِ إلَّا * أنه مَنْظَرٌ بغَــيرِ عِيَــانِ.

وقال ابن الرومىّ :

طَــرَقَتْنا، فأنالَتْ نائــلًا * شُكْرُه — لو كان فى النَّبْه — الجُحُودُ.
ثم قالتْ، وأَحَسَّــتْ عَجَبِي * من سُراها حيثُ لا تَسْرِى الأُسُودُ.
لا تَعَجَّبْ من سُرَانا، فالسُّرى * عادةُ الأقمارِ والناس هُجُــودُ.

أخذ العسكرىّ المعنى، فقال :

رقَبَتْ غَفْلَةَ الرَّقِيبِ، فزارَت * تحتَ لَيْــلٍ مُطَرَّزٍ بنَهَــارِ.
فتعجَّبْتُ من سُراها، فقالتْ : * غَيْرُ مستَطْرَفٍ سُرى الأقمارِ!
ثم مالَتْ بكأسِها فسَــقَتْنى * جُلَّنــارِيَّةً على جُلِّ نارى!

وقال آخر :

فيا لَيْتَ طَيْفا، خيَّلَتْه لىَ المُنى، * وإنْ زادنى شــوقًا إليك، يَعُودُ!
أُكلِّف نفسى عنك صَبْرا وسَلْوَةً، * وتَكْلِيفُ مالا يُستطاعُ شديدُ!

وقال العسكرىّ :

طَرَق الخَيَالُ، فزارَ منه خَيَالا. * فسرى يُغازِل فى الرُّقاد غَزَالا.
يا كَشْفةً للكَرْب، إلَّا أنَّهُ * وَلَّى على دُبُر الظَّلامِ فزالا.
قَعَد المتيَّمُ، وهو أكثرُ صَبوةً * وأشَدُّ بِلبالًا وأكسَفُ بالَا!

وقال العماد الأصفهانىّ :

ظَبْيٌ طَرِبتُ لِطَيْفِه المتأوِّبِ * طَرَب العليلِ لرُؤْيةِ المتطبِّبِ.
لم أدرِ زَوْرَتَهُ، أكانت خَطْفةً * من بارقٍ أم لمعةً من كَوْكبِ.
زار الكَرى متهيِّبا رُقَباءَه، * أهْلا به من زائرٍ متهيِّبِ!
لَمَّا رأى وَجْدِى، تأوَّد رحمةً. * لله مِنْ مُتأوِّه متأوِّبِ!
وأتى ليقرُبَ من وِسادِ متيَّمٍ، * لَمَّا أحَسَّ بنارِه، لم يَقْرُبِ.

وقال محمد بن بختيار :

لو أنَّ طَيْف الخيالِ يَسْرِى، * بَلَّ سُراهُ غليلَ صَدْرِى.
ولو أرادَ الحبيبُ أن لا * يَضيمَنِى، ما استطابَ هَجْرِى.
يلومُنِى فى هَواه مَنْ لا * يعلَمُ أنَّ المَلامَ يُغْرِى.
كَمْ ليلةٍ زار فى دُجاها، * فكان تَحْتَ الظلامِ بَدْرِى.
يُثْخِنُنِى باحْمِرار خَدٍّ * مُوَرَّدٍ وابيضاض ثَغْرِ.
يجمَعُ لِى بينَ سُكْرِ لَحْظٍ * وسُكْرِ رِيقٍ وسُكْرِ خَمْرِ،
ودُرَّ لَفْظٍ ودُرَّ ثَغْرٍ * ودُرَّ كأس ودُرَّ نَحْرِ.

وقال آخر :

قلتُ للمُعْرِض الَّذى صَدّ عَنِّى : * إنَّ طيفَ الخيالِ لى عنكَ يُغْنِى.
قال : لا تَحْمَدِ الخيالَ فما زا * رَكَ إلَّا عنِ اختيارِى وإذْنِى.
كِدْتَ تَقْضِى أسًى، فقلتُ لطَيْفِى : * أَحْيِ لى روحَهُ بِزُورِ التَّمَنِّى!
ليس شُحًّا بأن تموتَ، ولكنْ * خِفْتُ أن تستريحَ بالموتِ مِنِّى!

وقال آخر :

فإنْ يحجُبُوها بالنهار، فَمَا لَهُمْ * بأن يَحْجُبوا بالليل عَنِّى خَيَالَهَا!

وقال المجنون : (٨٨)

وإنِّى لأستَغْشِى، وما بِى نَعْسَةٌ، * لَعَلَّ لِقاهَا فى المَنَامِ يَكُونُ!
تُخَبِّرُنى الأحلامُ أنِّى أراكُمُ، * ألَا ليْتَ أحلامَ المَنَامِ يَقِينُ!

وقال المؤمل :

أتانِى الكَرى لَيْلًا بشَخْصٍ أُحِبُّه، * أضاءتْ له الآفاقُ، والليلُ مُظْلِمُ.
فكلَّمَنِى فى النَّومِ غيرَ مُغاضِبٍ، * وعَهْدِى به يَقْظانَ لا يتكلَّمُ!

وذكر العباس بن الأحنف العلةَ فى طُروق الخيال، فقال :

خَيالُكَ حِينَ أَرْقُدُ نُصْبَ عينِى * إلى وقتِ انْتِباهِى لا يَزُول.
وليس يَزُورُنِى صِلةً، ولكنْ * حديثُ النفسِ عنكَ به الوُصولُ.

وتبعه الطائىّ فقال :

زار الخيالُ لها، لا بل أزارَكَهُ * فِكْرٌ، إذا نامَ فِكرُ الحالِمِ انتَبَهِ.
ظَبْيٌ تقنَّصْتُهُ لَمَّا نَصَبْتُ له * فى آخرِ الليلِ أشراكًا من الحُلُمِ.

ومما قيل فى الردّ على العذول، قال أبو نُوَاس :

ماحَطَّك الواشُونَ من رُتْبةٍ * عِنْدى، ولا ضَرَّك مُغتابُ.
كأنَّما أثنَوْا — ولم يَشْعُروا — * عليكَ عِندى بالذى عابُوا.

وقال تاج الملوك :

مَهْ ياعَذُولُ عن المحبِّ، فإنَّما * عَذْلُ المحبِّ يَزِيدُ فى بِلْبَالِه!
لا تَعْذُلَنّ على الصَّبابةِ مُغْرَمًا * حتَّى تَبِيتَ من الزَّمان بحالِه!

وقال أيضا من قصيدة :

ولقد قُلْتُ للذى لامَنِي فيـــك، وما زَال حالُه مِثلَ حالِى:
ياعَذُولِى فى حُبِّه، كُفَّ عَذْلِى. * أنا ما للعَــذُول فيه وما لِى!
كُلما زِدْتَ فى مَلامِى وعَذْلِى، * زِدتُ فى لَوْعَتِى وفى بَلْبالِى!

وقال الأرّجانى :

وَجْدِى بلَوْمِكَ، ياعَذُولُ يَزِيدُ! * فاستَبْقِ سَهْمَكَ، فالرمىُ بَعِيدُ!
بَلَغ الهوى من سِرِّ قلبِى مَوْقِعًا: * لا العَــذْلُ يَبْلُغُه ولا التفنِيدُ!
وَتَنِمُّ بالشَّــجْوِ المُكَتَّم عَبْرَتِى، * ومن الدُّموعِ على الغَرام شُهودُ!

وقال سيف الدين المشد :

ياعاذِلى، خَلِّ عَنِّى! * أسمعْتَ غيرَ سَمِيــع!
لا تَرْجُ مِنِّى سُلُوًّا! * فما فُؤادِى مُطِيعِى!
وكيْفَ أكتُمُ ما بِى * من لَوْعة ووَلُوعِ،
والذَّارِياتُ جُفُونِى، * والمُرْسَلاتُ دُموعِى! (١)

(١) إشارة إلى اسم السورتين الكريمتين : الذاريات والمرسلات .

وقال ابن الخيمى :

وتأمُرنِى العُذّال بالصبر عنكُمُ، * ومَنْ ذا الذى يَرْضى عن الحُلْو بالصَّبْرِ؟
ومِنْ أعجبِ الأشياءِ أنَّ عواذِلِى * يُطيلون لَوْمى فى الهوى، والهوى عُذْرى!

ومما قيل فى رجوع العذول، قال ابن وكيع :

أقبَلَ والعُذّالُ يَلْحُونَنِى، * فكلُّهم قال : مَنِ البَدْرُ؟
فقلت : ذَا مَنْ طالَ فى حُبِّه * منكم لىَ التعنيفُ والزَّجْرُ!
قالوا : جهِلْنا، فاغتفرْ جهْلَنا * فليس عنْ ذا لِامْرِئٍ صَبْرُ!
عُذْرُك فى الحُبِّ له واضِحٌ، * وما لَنَا فى لَوْمِنَا عُذْرُ!

وقال أيضا :

أبْصَرَه عاذِلِى علَيْه، * ولم يكنْ قبْلَ ذَا رآهُ.
فقال لى : لو عَشِقْتَ هذا، * ما لامَكَ الناسُ فى هَواهُ!
قل لى : إلى من عَدَلْتَ عنه * فليس أهْلَ الهوى سِوَاهُ؟
وظَلَّ من حيث ليس يَدْرى، * يأمر بالحُبِّ مَنْ نَهاهُ!

ومما قيل فى الوِصال، قال ابن الرومىّ :

ولقد يؤلِّفنا اللِّقاءُ بليلةٍ * جُعلَتْ لنا حتَّى الصباحِ نِظامَا.
نَجْزِى العيونَ جزاءَهُنَّ عن البُكَا * وعن السُّهاد ولا نُصيب أثامَا.
فنُبيحهُنَّ مَرادَهنَّ، يَرُدْنَهُ * فيما أدَّعِينَ، مَلاحةً ووَسَامَا.

ونُكافِئُ الآذانَ ، وهى حَقِيقة * إذ لا تَزالُ تُكابِدُ اللَّـوَّاما.
فنُثيبُهنَّ من الحديث مَثُوبةً * تَشْفِى الغليلَ وتَكْشِفُ الأسقاما.
ونُكافِئُ الأفـواهَ عن كِتْمانها، * إذْ لا يَزالُ لهـا الصُّماتُ لِجاما.
فنثيبهنَّ مَلاثِمًا ومَراشِـفًا، * ماضَرَّها أنْ لا تكُونَ مُداما!
نَجْزِى الثـلاثةَ أنصباءَ ثلاثةً * مقسـومةً آناؤُهـا أقْسـاما.

ومما قيل فى الفراق والبين ، قال بعض الكُتَّاب : فى الفراق مصافحةُ التسليم ، ورجاءُ الأَوْبةِ ، والسلامةُ من المَلَال ، وعمارةُ القلب بالشوق ، والدلالةُ على فضل المواصلة واللقاء .

قال شاعر :

جَزى الله يومَ البَيْنِ خيرًا ، فإنَّهُ * أزانَا على عِـلَّاتِهِ أُمَّ ثابت!

وقال ٱبن الرومىّ :

فإذا كان فى الفِراقِ ٱعْتِناقٌ ، * جعَـلَ اللهُ كلَّ يومٍ فِراقا!

وقال أبو حفص الشطرنجىّ :

مَنْ يكُنْ يكْرَهُ الفِـراقَ ، فإنِّى * أشْـتَهِيهِ لموضِـعِ التَّسْلِيمِ!
إنَّ فيه ٱعْتِناقَةً لِفِـراقٍ * وٱنتظـارَ ٱعتناقةٍ لقُـدومِ.

وقال سيف الدولة بن حَمْدان :

راقبَتْنِى العُيونُ فِيـكَ ، فأشْفَقْـتُ ، ولم أخْلُ قَطُّ من إشـفاقِ.
ورأيتُ العَـدُوَّ يَحْسُـدنِى فيـكَ مُجِـدًّا بأنْفَسِ الأعْـلاقِ.

فتمنَّيتُ أنْ تكونَ بَعيدًا ، * والذى بَيْنَنا من الوُدِّ باق!
رُبَّ هَجْرٍ يكُونُ من خوفِ هَجْرٍ * وفِراقٍ يكُونُ خَوْفَ فِـراقِ!

وأرى هذا كلَّه على سبيل التعلل ليس إلا ، وإنما الفراقُ لا شكَّ فى إيلامه للقلوب.

قال بعض الشعراء :

فـلِمْ لا تُسْبَلُ العَبَراتُ منِّى ، * ولسْتُ على اليقينِ من التَّلاقِ؟
فـلا وأبيكَ ، ما أبصَرْتُ شيئًا * أمَرَّ على النُّفُوس من الفِـراقِ!

وقال آخر :

يارَبِّ ، باعِدْ بَيْنَ جَفْنِي والكَرَى * مادام مَنْ أهواهُ فى هجْرانِى!
إنِّى لأخْشى أنْ أنامَ فألْتَقِى * بخَيالِه ، خَوْفَ الفـرَاق الثانِى!

وقال آخر :

فارقتُه وبُودِّى لو تُفـارِقُنِي * رُوحُ الحياة ، وأنِّى لا أُفارِقُهُ!

وقال أبو تمـام :

الموتُ عنْـدِى والفِـرا * قُ : كِلاهُمـا مالا يُطاقُ!
يَتَعـاونَانِ على النفُو * سِ : فذا الحِمامُ وذا السِّياقُ!
لو لم يكُنْ هذا كذَا ، * ما قيـل : مَوْتٌ أو فِرَاقُ!

وقال غريبُ بن سعيد شاعر "اليتيمة" :

أَلانَ يومُ الفِراق قَسْـوَتَهُ * حتَّى جَرى دَمْعُه وما شَعَرا.
خِلْتُ ما سالَ من مَدامِعه * دُرًّا على وجْنَتَيْـهِ مُنْتَـثِرا.
لم يَبْكِ شَوْقا ، لكِنْ بكى جَزَعًا * لهَوْلِ يومِ الفِراقِ إذْ حَضَرا.

فى مَشْهَدٍ لو أطاقَ شاهِدُه * فيه ٱستِتاراً لوجهه ، سَتَرَا.
أبَى أَساهُ وفيضُ أدْمُعِـه * إلا ٱشْتِهاراً فى الحُبِّ، فٱشْتَهرا.

وقال أحمد بن محمد بن عبد ربه :

هَيَّجَ البينُ دواعِى سَقَمِى، * وكَسَا جِسْمِىَ ثوبَ الأَلَمِ!
أيُّهـا البَـيْنُ ، أقِلْنِى مَرَّةً * فإذا عُدْتَ، فقد حَلَّ دَمِى.
ياخَلِىَّ الرُّوعِ، نَمْ فى غِبْطَةٍ! * إنَّ مَنْ فارَقْتَـه لم يَنَمِ.
ولقـدْ هاجَ لقَلْـبِى سَـقَما * ذِكْرُ مَنْ لو شاء، داوى سَقَمِى.

وقال آخر :

بكَتْ وبكَيْتُ لوَشْكِ الفِراقْ، * فقِفْ، تَرَ مِنْ مَدْمَعَيْنا العَجَبْ!
فذا فضَّـةٌ فى عَقيقٍ جَرَى، * وهـذا عقيقٌ جرى فى ذَهَبْ!

وقال آخر :

قلتُ له والرَّقيبُ يُزْعِجُـه * مستَعْجِلًا للفِراق: أيْنَ أنا؟
فمَـدَّ كَفًّا إلى ترائِبِـه * وقال : كُنْ آمِنًا، فأنتَ هُنا!

وقال آخر :

قد قلتُ إذ سارَ السَّفينُ به، * والشَّوقُ يَنْهَبُ مُهْجتِى نَهْبَا:
لو كانَ لِى مُلْكٌ أصُـولُ به، * "لَأخَذْتُ كُلَّ سَفينَةٍ غَصْبَا"

وقال كُشاجِم :

مُزِجَتْ دُموعُ العين مِنِّى يومَ بانُـوا بالدِّما.
فكأنَّمـا مَزَجَتْ بخَـدِّى مُقْلتِى خَمْـرا بمـا!

وقال آخر :

لم أنْسَ يومَ الفِـراقِ مَوْقفَها، * وطَـرْفُها فى دُمُوعِها غَرِق.
وقولَهَـا، والرِّكابُ سـائرةٌ : * تَتْرُكُنا هـكذا، وتَنْطَلِقُ؟

ومنه ماقيل فى مفارقة الأصحاب :

لَمَّا رأيتُ مُصاحِبِي ومعاشِرِى * لَجَـديد وُدِّى بالقطيعةِ مَزَّقَا،
فارقْتُه وسَلَلْتُ من يَده يَدى، * وقرأتُ لى وله : "وإنْ يَتَفَرَّقَا".

وقال آخر :

قالوا : قَطَعْتَ صديقَكَ البَرَّ الذى * منه آستفَدْتَ مَكارمَ الأخْلاقِ.
فأجبتُهـمْ : بعضُ المَفاصل رُبَّما * فسَدَتْ، فتُقْطَع فى صَلاح الباقى!

وقال آخر :

ولقد شَـكَرْتُ مُفارِقِى * إذْ ساءَ فى أخْلاقِـهِ.
لو كان أحْسنَ عِشْرتِى، * لهلَكْتُ يومَ فراقِـهِ.

ومثله قول الآخر :

علَّمتْنِى بهَجْرِها الصَّبْرَ عنها، * فهى مَشْـكُورةٌ على التَّقْبِيـحِ!
وأرادَتْ بذا قَبِيـحَ فَعَـالٍ * صنَعَتْـه، فكان عينَ المَلِيحِ!

ومما قيل فى التوديع، قال البحترى :

أقولُ له عِنْـدَ تَوْدِيعِـهِ، * وكُلٌّ بعَـبرتِه مُبْلِسُ :
لئن قعَدَتْ عنكَ أجسامُنَا، * لقد سافَرَتْ مَعك الأنفُسُ!

وقال أبو الطيب المتنبي :

ياراحلًا ، كلُّ مَنْ يودِّعُهُ * مُودِّعٌ دِينَــه ودُنْيــاه.

إنْ كان فيما نراهُ مِنْ كَرَم * فيــكَ مَزِيدٌ ، فزادَكَ اللهُ!

وقال البحترىّ :

ألم تَرَنِى يومَ فارقْتُــهُ * اوَدِّعُه ، والهوى يَسْتَزِيدْ

أُوَلِّى إذا أنا ودَّعْتُــهُ ، * فيغْلِبُنِى الشوقُ حتّى أَعُودْ.

وقال أبو تمـام :

نَأْىٌ وَشِيكٌ وٱنطلاقُ ، * وغَلِيلُ شَوْقٍ وٱحْتِرَاقُ.

بأَبِى فَتًى وَدَّعتُــه * تاهَتْ بصُحْبته الرِّفَاقُ!

بدرٌ يُضِىء لعاشِــقيــه فما يُطِيفُ به المِحَاقُ!

وقال ٱبن زيدون :

وَدَّعَ الصــبْرَ مُحِبٌّ وَدَّعَكْ ، * حافظٌ من سِرِّه ما ٱسْتَوْدَعَكْ!

يَقْرَعُ السِّنَّ على أنْ لم يَكُنْ * زاد فى تِلْكَ الخُطَا ، إذ شَيَّعَكْ!

يا أخا البَــدْرِ سَنَاءً وسَــنًا ، * حفِظَ اللهُ زمانًا أطْلَعَــكْ!

إن يَطُلْ بَعْــدَكَ ليلِى ، فلَكَمْ * بِتُّ أشكُو قِصَرَ الليل مَعَكْ!

وقال أبو عبد الرحمن شاعر "اليتيمة":

إذا دَهَاكَ الوداعُ فاصبر * ولا يهُولنَّــك البعــادُ!

وٱنتظر العود عن قريب ، * فانَّ قلبَ الوَداع عادُوا.

وقال آخر :

وَدَّعتُه حيثُ لا تُودِّعُهُ * رُوحى، ولكنَّها تسير معَهْ
ثم تَوَلَّى وفى القُلُوب له * ضيقُ مجالٍ وفى الدموع سَعَهْ

وقال الإمام الصولى :

لو كُنْتَ يوم الوَدَاعِ حاضِرَنَا * وهُنَّ يَشْكُونَ عِلَّةَ الوجد،
لم تَرَ إلا الدُّموعَ جاريةً * تَسْقُط من مُقْلةٍ على خَدِّ.
كأنَّ تِلكَ الدُّموعَ قَطْرُ نَدًى، * يَقْطُر من نَرْجِسٍ على وَرْدِ!

وقال أبو منصور أحمد بن محمد اللخمىّ :

وقَفْتُ يومَ النوى منهم على بَعَدٍ * ولم أُودِّعْهُمُ وَجْدا وإشْفاقَا.
إنِّى خَشِيتُ على الأظعان من نَفَسِى * ومن دُموعِىَ : إحراقًا وإغراقا.

وقال ابن نُبَاتة :

ولَمَّا اسْتَقَلَّتْ للرَّواحِ حُمولُهُمْ * ولم يَبْقَ إلا شامِتٌ وغَيُورُ،
وقَفْنا : فمِن باكٍ يُكَفْكِفُ دَمْعَه، * ومُلْتَزِمٍ قلبًا يَكادُ يَطِيرُ!

وقال آخر :

ولَمَّا وَقَفْنا للوَدَاعِ، وقَلْبُها * وقَلْبِى يَبُثَّان الصَّبَابةَ والوَجْدا،
بَكَتْ لُؤْلُؤًا رَطْبًا فقاضَتْ مَدَامِعِى * عقيقًا فصارَ الكُلُّ فى نَحْرِها عِقْدا.

(٩٦) وقال آخر :

وَدَّعتُها ولَهِيبُ الشَّوقِ فى كَبِدِى * والبَيْنُ يُبعِدُ بينَ الرُّوحِ والجَسَدِ،
وَدَاعَ صَبَّيْنِ لم يَمْكُنْ وَدَاعُهما * إلا بلَحْظَةِ عَيْنٍ أو بَنَانِ يَدِ.

وحاذَرتْ أعيُنَ الواشينَ فانصرفَتْ * تَغُضُّ من خَوفِها العُنَّابَ بالبَرَدِ.
وكان أوّلُ عَهْـدِ العيْنِ يوم نأَتْ * بالدّمعِ آخرَ عهدِ القَلْبِ بالجَـلَدِ.

وقال الهيثم الكلاعىّ، من شعراء "اليتيمة":

ولم أنْسَها يومَ الوَدَاعِ، ومَسْحَها * بوادرَ دَمْعِ العَيْنِ. والعَيْنُ تَذْرِفُ.
أفانينُ تَجْـرِى من دُموعٍ ومن دَمٍ * على الخـدِّ منها تَسْتَهِلُّ وتَرْعُفُ.
وتكرارَنَا نَجْوى الهوى ذاتَ بَيْنِنا، * وكلٌّ إلى كلٍّ يلِينُ ويَعْطِف.
جعَلْنا هُناكَ الهَجْـرَ منّا بجانبٍ، * وللبَيْنِ داعٍ بالتَّرحُّـلِ يَهْتِفُ.
ولولا النوى، لم نَشْكُ ضَعْفا عن الأسى! * ومَنْ يَحمِلُ الاثمجانَ بالبَيْنِ يَضْعُفُ!
فقلتُ: كِلَانَا مُثقَلٌ من صَبَابةٍ، * ولكنّنى عن حَمْلِها مِنْكِ أضْعَفُ.

وقال الظاهر البصرىّ:

نَفْسِى الفِـداءُ لمن جاءَتْ تُوَدِّعُنِي * يومَ الفِراقِ بقَلْبٍ خافِقٍ وجِلِ!
قد كنتُ فارقتُ رُوحى يومَ فُرْقَتِها، * لكن حَيِيتُ بطيبِ الضَّمِّ والقُبَلِ!

وقال يزيد بن معاوية:

جاءتْ بوجْهٍ كأنّ البدْرَ رَقْعَهُ * حُسْنا على مِثلِ غُصْنِ البانةِ الثَّمِلِ.
إحْدى يَدَيْهـا تُعاطِينِي مُعَتَّقَـةً * تكنّها عَصْفَرتْه حُـمرةُ الخَجَـلِ.
ثُمَّ آستبدّتْ وقالت وهْىَ عالمـةٌ، * بما تقول وشمسُ الكأسِ لم تَفِلِ:
لا ترحَلَنَّ، فما أبقيْتَ لى جَـلَدا * مما أُطيق به تَوْدِيعَ مُرْتَحِـلِ!
ولا مِن الصـبْرِ ما ألقى الفِراقَ بِهِ * ولا من الدَّمعِ ما أبكِي على طَلَلِ!

ومن الناس من كره الوداع. وفى ذلك يقول البحترىّ:

اللهُ جارُك فى آنْطِلاقِـكْ * تِلقاءَ شامِـكَ أو عِراقِكْ!

لا تَعْـــذُلَنِّى فى مَسِيـــرى يومَ سرت ولم أُلاقِـكْ!
إنِّى خَشِـيتُ مَـواقفًا * للبَيْنِ تَسْـفَحُ غَرْبَ ماقكْ!
وعلمتُ أنَّ بُكاءنَا * حسبُ ٱشتياق وٱشتِياقكْ!
وذكَرْتُ مايَجِـدُ المودَّعُ عنـد ضَمِّـكَ وٱعتناقكْ،
فـتَرَكْتُ ذاكَ تعمُّـدًا * وخرجتُ أهْرُبُ من فراقكْ!

وقال آخر:

الله يعلَمُ ما تَرَكْت وَدَاعَهُ، * ولقد جَزِعْت لِبُعْده وفِراقِه،
إلا مخافـةَ أنْ يُذيبَ فُؤادَهُ * مافى فُؤادِى منه عنْد عِنَاقِه!

وقال آخر:

إنّ تَرْكِى فَضِـيلةَ التشْيِيع * لٱجتِنَـابِى مَشَـقَّةَ التَّوديع.
مايَفِى أُنْسُ ذا بوَحْشة هذا، * فـرأيتُ الصَّوابَ تَرْكَ الجميع!

وقال آخر:

ما تركْتُ الوَداعَ يوم ٱفـترقْنا * عن مَلَالٍ ولا لوجهٍ قَبِيـح.
أنتَ رُوحِى على الحقيقـة ما زِلْـتَ، وما ٱخترْتُ أن أُودِّعَ رُوحى!

ومما قيل فى الصدّ والهِجْران، قال أبو عُبادة البحترى:

هَجَر الحبيبُ، فمتُّ من شَغَفٍ * لَمَّا حُرِمْتُ عَزِيمةَ الصَّـبْرِ!
فإذا قضَيْتُ، فنـادِ: ياحَزَنِى، * هـذا قَتِيلُ الصَّـدّ والهَجْرِ!
والبـدرُ فى حلٍّ وفى سَـعَةٍ * من سَفْكه دمَ عَبْـدِه الحُرِّ!

وقال ابن مَيَّادة :

كانُوا بَعِيدًا، فكنتُ آمُلُهُمْ * حتَّى إذا ماتقارَبوا، هَجَرُوا.
فالبُعْدُ منهم على رجائِهِمُ * أنفَعُ من قربهم إذا هَجَرُوا!

وقال أبو الحسن أحمد بن عمر النهروانىّ : (٩٢)

على قَلْبِي الاحِبَّةُ بالتمادِى فى الهوى غَلَبُوا.
وبالهجْرانِ من عينىَّ طِيبَ النومِ قد سَلَبُوا.
وما طَلَبُوا سِوى قتلى، * فهانَ عَلَىَّ ما طَلَبُوا!

ولما سمع الشيخ العالم صدر الدين محمد بن الوكيل هذه الأبيات، عارضها، وأنشدنى لنفسه فى صَفَر الأغر الميمون سنة ثلاث عشرة وسبعمائة .

لَئِنْ غَلَبُوا على عَقْلِي، * لقد سَلَبُوا لَمَنْ غَلَبُوا!
وإنْ أبْكِى تبَسُّمَهُمْ، * نخُلَّبَ بَرْقِهِمْ خَلَبُوا!
وإن تَرْجُ العيونُ، فَقَدْ * إليها السُّهْدَ قد جَلَبوا!
وإنْ عطَفُوا برِقَّتِهم، * فدَرَّ مَدامعى حَلَبُوا.

ومما قيل فى الزيارة، قال الوزير أبو عبد الله بن الحداد :

إذا جاءنى زائرا حُسْنُهُ * أقامَ عليه رَقِيبا عَتِيدَا.
إذا ما بَدَا، سَرْبَلَتْهُ العُيون * وخَرَّتْ وُجُوهٌ إليه سُجُودَا.
هوالبَدْرُوالغُصْن: خَدَاوقَدًّا، * كما أنهُ الظَّبْىُ: لَحْظًا وَجِيدَا.
أتى زائرا وفُؤادِى خَلِىّ، * فمرَّ به مُسْتهامًا عَمِيدَا.
وغادَرَنى بعْدَه فى غَرَام * تضَرَّم بين ضُلُوعى وَقُودَا!

وقال نصير الخُبْزَأَرْزِى، شاعر "اليتيمة" عفا الله عنه :

خَلِيلَيَّ ! هَلْ أبصَرْتُما أو سَمِعْتُما * بأكرَمَ من مَوْلًى تَمَشَّى إلى عَبْد!
أتى زائرًا من غَيْرِ وَعْدٍ وقال لى: * أَصُونُكَ عن تعليق قَلْبِك بالوَعْد!

وقال الوأواء الدمشقى :

زارَ بليلٍ على صَبَاحٍ * على قَضِيبٍ على كَثِيبِ!
حتَّى أتت ألْسُنُ الليالِى * مُعْتذِراتٍ من الذُّنُوبِ.
فيالَهَا زَوْرَةً أخَذْنا * بها أماناً من الخُطُوب!

وقال أبو عبد الله الحدّاد :

يازائرًا، مَلَأَ النَّواظِرَ نُورا * والنَّفْسَ لَهْوًا والفُؤادَ سُرورا!
لوأسْتَطِيعُ، فرشْتُ كلَّ مَسَالِكى * حَدَقًا وبِيضَ سَوَالِفٍ ونُحورَا.

وقال آخر :

أهْلًا وسَهْلًا بطارِقٍ طَرَقَا، * أحبَبْتُ فيه السهاد والأرَقا!
زارَ على غَفْلةِ الرقيب ويُمْناه تُدارِى وِشَاحَه القَلَقا.
فبِتُّ منه مُعانِقًا صَنَمًا * يَنْفَحُ مِسْكًا وعَنْبرًا عَبِقَا.
لوشِئْتُ، أنشأْتُ من ذَوَائبِه * لَيْلا، ومن نُورِ وجْهِه فَلَقَا!

وقال أبو عبد الله الحامدىّ من شعراء "اليتيمة" :

مُشتاقةٌ طَرَقَتْ فى الليل مُشْتاقَا! * أهلًا بمَنْ لم يَخُنْ فى العَهْدِ مِيثاقَا!
أهْلًا بمن ساقَ لِى طَيْفَ الأحِبَّةِ فى * لَيلِ الدُّجُنَّةِ، بل أهْلًا بما ساقَا!
يازائرًا زارَ من قُرْبٍ على بَعِدٍ، * آنَسْتَ مستوحِشًا! لا ذُقْتَ ماذاقَا!

اللهُ يعْـلَمُ لو أنى ٱستَطَعْتُ، لقد * فرَشْتُ مَشْـاكَ آماقًا وأحْداقا!
يالَيْـلُ، عَرِّجْ على إلفَيْنِ قد جَعَلا * عَقْـد السـواعِدِ للأعنـاق أطْواقا!

وقال مؤيد الدين الطغرائى :

وزائرةٍ وافَتْ، فأجللْتُ خَـدّها * وقبَّلْتُ إكراما لمَوْرِدِها الأرضـا!
ويا زَورةً جاءتْ على غـيرِ مَوْعِدٍ، * فقَرَّتْ عُيونٌ وٱشتفَتْ أنفُسٌ مَرْضى!
فـلَمْ أرَ إلَّا ما ألَذُّ وأشْـتَهِى، * ولم أرَ إلَّا ما أوَدّ وما أرضى!
على أنَّهـا وَلَّتْ ولم أقْضِ سُـنَّةً * — من الوَطَرِ المطُولِ دَهْرا — ولا فرضا!
وما سوّغَتْنا ليـلةَ الوصـلِ قَرْضَها * إلى أنْ بَدَا الإصْباحُ يَسْتَرْجِع القَرْضا.

وقال ٱبن سُكَّرة، من شعراء "اليتيمة" :

أهلًا وسَهْلًا بمَنْ زارتْ بلا عِدَةٍ * تحْت الظلامِ ولم تحْـذَرْ من الحَرَسِ!
تستَّرتْ بالدُّجى عَمْدا، فما ٱستَتَرَتْ * وباتَ إشراقُهـا لَيْـلًا على قَبَسِ!
ولو طَوَاها الدُّجى عنَّـا، لأظْهَرَها * برقُ اللِّثـات وعطْرُ النَّحْر والنَّفَسِ!

ومما قيل فى تخفيف الزيارة وموانعها، قال شاعر الحماسة : (٩٣)

ولَمَّـا رأيتُ الكاشِحِينَ تَتَبَّعُوا * هَوانَا وأبْدَوْا دُونَنـا نَظَرا شَزْرا،
جعَلْت ـ ومابى من جَفاءٍ ولاقِلًى ـ * أزورُكُمُ يومًا وأهْجُرُكُمْ شَـهْرا!

وقال مسلم بن الوليد :

أقْلِلْ زيارَتَك الصَّـدِيـ * ـقَ، يَرَاكَ كالثَّوبِ ٱستَجَدَّهْ!
إنَّ الصَّـدِيق يُمِلُّه * أنْ لا يَزَال يَرَاكَ عِنْـدَهْ.
إلَّا الكِرَامَ ذَوِى النُّهـى، * إنَّ الكريمَ يُدِيمُ عَهْدَهْ!

وقال آخر:

إذا ما كثرتَ على صاحبٍ * وقد كان يُدْنيك من نَفْسِه،
فلا بُدّ من مَلَلٍ واقِعٍ، * يُغَيِّرُ ما كان منْ أُنْسِه!

وقال آخر:

لَئِنْ تأخَّرتُ عن مَفْروضِ خِدْمَتِكمْ * تجَشُّما، فضَمِيرِى غيرُ مُتَّهَمِ!
سعى وِدادِى إليكُمْ بالوفاءِ لكم، * والسَّعْيُ بالقَلْبِ فوقَ السعْيِ بالقَدَمِ!

وقال ابن المعلم:

لم أَطْوِ بَحْرَ نَدالكَ ـ مع قُرْبِى ـ قِلًى * إلا مَخافةَ مَوْجِهِ المُتراكب.
وعَلِمْتُ أنِّى إن أتَيْتُك زائرًا، * ثَقُلتُ، والتثقيلُ ليس بواجب.

وقال المعوّج:

ثلاثةٌ منعَتْها من زيارَتِنا، * وقد طوى الليلُ جَفْنَ الكاشِحِ الحَنِق:
نُورُ الجَبِين، و وَسْواسُ الحُلِيّ، وما * يَمَسُّ أردانَها من عَنْبَرٍ عَبِق.
هَب الجَبِينَ بفَضْلِ الثوبِ تسْتُره، * والحَلْىَ تَنْزِعه، ما الشأْنُ فى العَرَق؟

وقال أبو فراس الحمدانىّ:

لقد نافَسَنِي الدّهْرُ * بتأْخيرى عن الحَضْرهْ.
فَما ألْقى من العِلّةِ * ما ألقى من الحَسْرهْ!

ومنها التأخر عن عيادة المرضى، قال ابن زُرَيق الكوفىّ الكاتب:

يامَرِيضًا لِسُقْمِه، * مَرِضَ العِلْمُ والوَفا!
لم يَكُنْ تَرْكَ العيا * دةَ هَجْرًا ولا جَفَا.

لم أُطِقْ أنْ أراكَ يا * أكرمَ الناسِ مُذْنِقا!
طالَ خَوْفِى عليك، والـ * ـحمدُ لله إذ كَفى!

وقال آخر:

منَعَتْنِى عليـكَ رِقَّةُ قَلْبِى * من دُخُولِى عليكَ فى العُوّادِ.
لو بأُذْنِى سمعتُ منكَ أنِينًا، * لتَفَـرّى على الأَنِينِ فُؤادى.

وقال آخر:

فواللهِ! لَيْسَ ٱنْقطاعِى جَفًا * وفى كَبِدِى منك نارٌ تشبّ!
ولكنّنى قَطُّ لا أشْـتَهِى * أرى مَنْ أُحبُّ كما لا أُحبّ!

ومما قيل فى المدامع، قال العسكرىّ: أبلغُ ما قيل فى ٱمتلاء العين من الدمع قولُ بعض الأعراب:

فَظَلْتُ كأنّى من وَراءِ زُجاجةٍ * إلى الدّار من فَرْط الصّبابة أنظُرُ.

وقال البحترىّ:

ويحسُنُ دَلُّها والموتُ فيـه، * وقد يُسْتَحْسَنُ السيفُ الصّقيل!
وَقَفْنا والعُيونُ مُثَقَّلاتٌ * يُعالِجُ دَمعَها طَـرْفٌ كَلِيـلُ!
نَهَـتْهُ رِقْبَـةُ الواشينَ حتّى * تَعَلّق: لا يَغيضُ ولا يَسِـيلُ!

وقال السرىّ:

بنفسِىَ مَنْ رَدَّ التحيـةَ ضاحِكًا، * بخَدّدَ بعد اليَأسِ فى الوَصْلِ مَطْمَعِى!
إذا ما بَدَا، أبدى الغَـرامُ سرائِرِى * وأظهَرَ للعُذّال ما بين أضْلُعِى.
وحالَتْ دُموعُ العينِ بينِى وبَيْنَه، * كأنّ دُموعَ العينِ تَعْشَقُه مَعِى.

وقال الصولىّ :

قد كانَ فى طُولِ البُكا لِى راحةٌ، * وعِنَانُ سِرِّى فى يَدِ الكِتْمانِ.
حتَّى إذا الإعْلانُ نَبَّــه واشِيًا، * رقَأَتْ دُموعى خَشْــيةَ الإعْلانِ!

وقال بشّار :

ماءُ الصَّــبابةِ، نارُ الشَّوقِ تَحْــدِرُه * فهــل سَمِعتُم بمــاءٍ فاضَ من نَارِ؟

وقال أبو هلال العسكرىّ :

أشــكُو الهوى بدُموعٍ قادها قَلَقٌ * حتَّى عَلِقْنَ بجَفْنٍ ردَّها الفَرَقُ.
ففى الفُــؤادِ سَبِيلٌ للأسى جَدَدٌ، * وفى الجُفُونِ مَقِيــل للكَرى قَلِقُ.
لَهِيبُ قلبِى أفاضَ الدَّمْعَ من بَصَرى، * والعُودُ يَقْطُر ماءً وهو يَحْــتَرِقُ!

وقال الصولىّ : أنشد أبو الحسن بن رجاء المبرّد يوما بيتَ ذى الرُّمّة :

"لعَلَّ انْحــدارَ الدمع يُعْقِب راحةً * من الوَجْدِ أو يَشْفِى شَجِىَّ البَلابِلِ!"

وقال : من قال فى مثله، فقد ملح .

وقال الحسن بن وهب :

إبْكِ! فمــا أكْثَرَ نَفْعَ البُكا! * والحُبُّ إشْــفاقٌ وتَعْلِيلُ!
افْزَعْ إليه فى ازْدِحام الجوى * ففيــه مَسْــلاة وتَسْهِيلُ.
وهــو إذا انت تأمَّلْتَــهُ * حُزْنٌ على الحَدَّيْنِ مَحْلُول!

وقال العباس بن أحمد بن الأحنف :

(٩٤) إنِّى لَأجْحَــدُ حُبَّــكم وأُسِرُّهُ * والدمعُ مُعْــتَرِفٌ به لم يَجْحَدِ.
والدمعُ يشهدُ أنَّنِى لكِ عاشِــقٌ * والناسُ قد علمُوا وإن لم يَشْهَدِ!

وقال آخر :

فلا تُنْكِرَنْ لَوْنَ الدموعِ فإنَّما * يُبَيِّضُها تصعيدُها من دَمِ القَلْبِ!

وقال العسكرىّ :

آفةُ السِّرِّ من دُمُو * عِ دَوامٍ دوامِـعْ!
كيفَ يخفى مع الدُّمُو * عِ الهوامِى الهوامِعْ؟
ما رأينا أخا هَوًى * سِرُّه غـيرُ ذائِعْ!
إنّ نيرانَ حُبِّـه * باديـاتُ الطلائِـعْ!

وقال خالد الكاتب :

بَكَيْتُ دمًا حتّى بقِيتُ بلا دَمٍ، * بُكاءَ فَتًى فردٍ على شَجَنٍ فَرْدِ!
أأَبْكِى الذى فارقْتُ بالدَّمْعِ وحدَه؟ * لقد جَلَّ قدرُ الدمعِ فيه إذًا عندى!

وقال آخر :

غدَتْ بأحِبَّتى كُومُ المَطَايَا، * فبانَ النومُ وامتَنَعَ القَـرارُ.
وكان الدَّمْعُ لى ذُخْرًا مُعَدًّا، * فأنفقْتُ الذخيرةَ يومَ ساروا!

وقال آخر :

طالَ عَهْدِى بها فلمّا رأتْنِى، * نظَمَتْ لُـؤلؤًا على تُفّـاحِ!

وقال آخر :

إذ لا جَوابَ لمُفْحَمٍ متحيِّرٍ * إلا الدموعُ تُصانُ بالأطْرافِ.

وقال آخر :

تقول غَداةَ البَيْنِ عِنْـدَ وَدَاعِها : * إلى الكَبِدِ الحَرّى : فَسِرْ، ولكَ الصَّبْرُ!
وقد سـبقَتْها عَبْرةٌ: فدمُوعُهـا * على خدِّها بِيضٌ، وفى نحرِها حُمْرُ!

معناه : أن الدّموع إذا انحدرت إلى نحرها احمرّت من الطِّيب .

قالوا : وأحسن ماقيل فى صفة الدموع إذا امتزجت بالدماء، قول أبى الشيص :

لَهَوْنَ عن الإخوانِ إذْ سَفَرَ الضُّحى * وفى كَبِدِى من حَرِّهِنّ حَرِيقُ.
مزجْتُ دَمًا بالدمْع حتَّى كأنما * يُذابُ بعيْنِي لؤلؤٌ وعَقِيقُ.

وقول أبى تمام :

نَثَرَتْ فَرِيدَ مَدامِعٍ لم تُنْظَمِ، * والدمعُ يَحْمِلُ بعضَ ثِقْلِ المُغْرَمِ!
وَصَلَتْ نجيعا بالدُّموع، فخدها * فى مثل حاشِيَةِ الرِّداءِ المعلم!

ومن أجود ماقيل فى بياض الدمع على حمرة الخد قول الصولى :

كأنَّ تلكَ الدُّموعَ قَطْرُ نَدًى * يَقْطُر من نَرْجِس على وَرْد!

وهى أبيات تقدمت فى التوديع .

ونحوه قول ابن الرومى :

لَمَّا دنَا البيْنُ وزاحَ الدَّلُّ، * ودّعتُها ودمعُها منهَلُّ.
وخدُّها من قَطْره مخضَلُّ * كأنه وَرْدٌ عليــه طَلُّ!

وقال آخر :

كأنَّ الدُّموعَ على خَدّها * بَقِيَّةُ طَلٍّ على جُلَّنَار.

ومما قيل فى الرضا من المحبوب باليسير، فمن ذلك قول حُمَيد بن ثور :

أُقَلِّب طَرْفِى فى السماء لعَلَّه * يُوافِقُ طَرْفِى طَرْفَها حين تَنْظُر!

ومثله قول ابن المَعْلُوط :

أليس اللَّيلُ يجمع أمَّ عمرو * وإيَّانَا؟ فذاكَ لنا تَدانِى!
بلى، وأرى السماء كما تَرَاها، * ويَعْلُوها النهارُ كما عَلانِى!

وقال جميـــل :

وإنى لأَرْضى منكِ، يابثن ، بالَّذِى * لو اسْتَيْقَن الواشِى لَقَرَّتْ بَلابِلُهْ !

بِلَا ، وبأنْ لاأَســتطيع ، وبالمُنى * وبالأملِ المكذوب قد خابَ آمِلُهْ !

وبالنَّظْرةِ العَجْلى ، وبالحولِ ينقضى ، * أواخِــرُه لا تلتَــقى وأوائِــلُهْ !

وقريب منه قول الآخر :

يَودُّ بأنْ يُمْسِى سقيما لعَلَّها * إذا سمِعَتْ منه بشَكْوى تُراسِلُهْ !

ويهتَزُّ للمعروف فى طَلَبِ العُــلا * لتُحْمَدَ يوماً عند سَلْمى شمائِلُهْ !

أخذ العسكرىّ المعنى فقال :

وقلتُ : عساها إن مَرِضْتُ تَعُودُنِى * فأحبَبْتُ لو أنِّى غَدَوتُ مَرِيضا !

وزِدتُ آنِّســاعا فى المَكارِمِ والعُلا * لِيُصْبِحَ جاهى عنــدهُنَّ عَرِيضا !

وقال أبو الفضل بن عبد العزيز :

يامَنْ تَهَجَّــرَتْ فلا تُبالِى ! * هل تَرْجِع دولةُ الوِصالِ؟

هل أطمَعُ ياعذابَ قلبى * أن يَنْعَم فى هــواك بالِى؟

الطَّرْف كما عَهِــدْتِ باكٍ * والجِســمُ كما تَرَيْنَ بالى !

ماضَرَّكِ أن تعلِّلِيــنى * فى الوَصْل بموعد المُحَال !

أهْواك وأنت حَظُّ غيرى ، * يا قاتِلَتِى ، فما أحْتِيــالى؟

ومما قيل فى النحول ، فمن ذلك قول المتنبى : (٩٥)

أبِلَى الهَوى أسَفًا يومَ النَّوى بَدَنِى ، * وفَرَّقَ الهَجْرُ بين الجَفْن والوَسَنِ !

رُوحٌ تَرَدَّدُ فى مثــل الخِلَال إذا * أطارَت الريحُ عنه الثوبَ لم يَبِنِ .

كفى بجسمى نُحُولا أننى رجلٌ * لولا مُخَاطبتى إيَّاكَ — لم تَرَنى!

وقال آخر :

أُسَرّ إذا بليتُ ، وذاب جِسْمِى * لعلَّ الريحَ تَحْمِلُنى إليهِ!

وقال ابن المعتزّ :

ماذا تَرى فى مُدْنَفٍ * يَشْكُوك طُولَ سُقْمِه؟
أضنَيْتَه فما يطيـ * ـق ضَعفُه حملَ اسْمِه،
ولا يَرَاك عائدًا * إلا بعَيْنِ وَهْمِه!

وقال كُشَاجم :

وما زَال يَبْرِى أعظُمَ الجسم حُبُّها * ويَنْقُصها حتَّى لطُفْنَ عن النَّقْص.
فقد ذُبْتُ حتَّى صِرْتُ لو أنا زُرْتُها، * أمنْتُ عليها أنْ يَرى أهلُها شَخْصى.

ومن أبلغ ماقيل فى ذلك، قول ديك الجنّ :

أنْحَلَ الوجْدُ جِسْمَهُ والحنينُ، * وبَرَاه الهوى فما يَستَبِينُ!
لم يَعِشْ أنَّه جليدٌ، ولكن * دَقَّ جِدًّا، فما تَراه المَنُونُ!

وقال نصير بن أحمد :

أنْحَلَنِي الحُبُّ فلو زُجَّ بِى * فى مُقْلةِ النائِم، لم يَنْتَبِهْ!
وكان لِى فيما مَضى خاتَمٌ * واليوم لو شِئْتُ، تمنْطَقْتُ بِهْ!

وقال الحسن بن وهب :

أبْلَيْتَ جسْمِى من بَعْدجدَّتِه، * فما تكادُ العيونُ تُبْصِرُهُ.
كأنه رَسْمُ مَنْزِلٍ خَلَقٍ * تَعْرِفُه العينُ، ثُمَّ تُنْكِرُهُ!

ومما قيل فى المحبوب إذا اعتلّ، قال العباس بن الأحنف :

زعمُوا لى أنّها صارَتْ تُحَمّ! * إبتلى اللهُ بهذا مَنْ زَعَمْ!
إشتَكَتْ أكمَلَ ما كانَتْ، كَمَا * يُكْسَفُ البَدْرُ إذا ما قيل تَمّ!

وقال أحمد بن إسحاق الطالقانىّ :

لقد حَلّت الحُمّى بساحةِ خَدِّهِ * فأبدلَتِ التُّفّاح بالسّوْسَنِ الغَضّ!

قال أبو هلال العسكرىّ : والأصل فى ذلك قول عبد بنى الحسحاس . ونقل فى كتابه ديوان المعانى بسند رفعه قال : كتب عبد الله بن عامر إلى عثمانَ بنِ عفّان رضى الله عنه : إنى اشتريت لك عبدا حبشيا شاعرا . فكتب إليه عثمان : لاحاجة لى فيه ، فإن قُصارى الشاعر منهم أن يهجو أعراضهم ويشبب بكريمتهم . فاشتراه بنو الحَسْحاس ، فرئى يوما وهو ينشد :

ماذا يُرِيدُ السّقامُ من قَمَرٍ * كلُّ جمالٍ لوجْهِهِ تَبَعُ؟
ما يَبْتغى — خابَ — من محاسنِه؟ * أما لَهُ فى القِباحِ مُتَّسَعُ؟
غيّرَ مِنْ لَوْنِه وصَفَّرَ ما * وردَّ منه الجَمالُ والبِدَعُ.
لو كان يَبْغِى الفِداءَ، قيل له : * ها أنا دُونَ الحبيبِ يا وَجَعُ!

ثم يقول لنفسه : أحسَنْتَ والله! يريد أحسَنْتَ . وكان العبد كما حَدَس عثمانُ، فما زال يهجو مواليَه ويشبّب بنسائهم، حتّى قتلوه . فضحكتْ منه امرأة وقد ذهبوا به ليقتلُوه ، فقال :

فإنْ تَضْحكى مِنّى، فيا رُبَّ ليلة * جعلْتك فيها كالقباء المفرّج!

وقال لهم :

فلقد تحـدَّر من جَبِـينِ فتاتِكُمْ * عَرَقٌ على ظَهْرِ الفراشِ وطيبُ!

وهو الذى مدح نفسه بقوله :

إن كنْتُ عبدًا ، فنَفْسِى حُرَّةٌ كَرَما ؛ * أو أسودَ اللونِ ، إنى أبيضُ الخُلُقِ!

ولم أورد هذه الواقعة هنا لأنه موضعها من كل وجه ، وإنما الشيء بالشيء يذكر.

وقال شاعر :

لو لم تَكُنْ حُمَّاه مشغُوفةً * تَعْشَـقُه طَوْرًا وتَهْواهُ ،
ماعانقَتْ إذ أقبلتْ جِسْمَه * وقَبَّلتْ إذْ فارَقَتْ فاهُ !

وقال آخر :

لو كانَ كُلُّ مَرِيض * يزدادُ مثلَكَ حُسْنَا ،
لكانَ كُلُّ صَحيح * يَودُّ لو كان مُضْنى!

وقال محمد بن العباس الخوارزمى ، من شعراء "اليتيمة" :

ولِى من أُمِّ مِلْدَمَ كُلَّ يومٍ * مَجِيعٌ لا يَـلَذُّ له مَنَامُ!
مقَبِّـلةٌ وليس لها ثَنَايَا ، * معانِقـةٌ وليْس لها ٱلْتِزامُ!
كأنَّ لها ضَرائرَ من غِـذَائِى ، * فيُغْضِـبُها شَرَابِى والطَّعـامُ.
إذا ماصافَحَتْ صَفَحاتِ جِسْمِى ، * غَدَا ألَمًا وأمسى وهو لامُ.

ومما يناسب هذا الفصل ما قيل فى شرب الدواء ، فمن ذلك قول أبى تمام :

أعْقبكَ اللهُ صِحَّـةَ البَدَنِ ، * ما هَتَفَ الهـاتِفَاتُ فى الغُصُنِ.
كيْفَ وجَدْتَ الدَّواءَ؟ أوْجَدَكَ اللهُ شِـفَاءً به مَـدى الزَّمَنِ!

وقال ابن حجاج :

يا مَنْ به تَتَبَاهى * مَجَالِسُ الخُلَفَاءِ!
ومَنْ تُقَصِّرُ عَنْهُ * مَدَائِحُ الشُّعَرَاءِ!
ياسيِّدى كَيْفَ أَصْبَحْتَ بَعْدَ شُرْبِ الدَّوَاءِ؟
خرجْتَ منه تُضَاهِى * فى الحُسْنِ بَدْرَ السَّمَاءِ!
فى ثوبِ صِحَّةِ جِسْمٍ * مُطَرَّزٍ بالشِّفَاءِ.

+ +

ومما قيل على لسان الورقاء — وكل مطوّقة عند العرب حمامة : كالدُّبَيْسِيّ والقُمْرِيّ والوَرَشَانِ وما أشبه ذلك . وجمعها حَمَامٌ . يقال للذكر والأنثى منه حمامة.

والحمامة تَبْكِى، وتُغَنِّى، وتَنُوح، وتُغَرِّد، وتَسْجَع، وتُقَرْقِر، وتَتَرَنَّم .

وإنما لها صوت سجيع لا يُفْهم : فجعله الحزينُ بكاءً، والطَّرِبُ غناءً .

قال حميد بن ثور :

مطوّقةٌ خَطْبَاءُ تَسْجَع كُلَّمَا * دنَا الصيفُ وانزاح الربيعُ فأنْجَما.
تغنَّتْ على غُصْنٍ عِشاءً فلم تَدَعْ * لنائحةٍ فى نَوْحِها متلوَّمَا.
فلم أرَ مِثْلِى شاقَهُ صوتُ مِثْلِها، * ولا عَرَبِيًّا شاقَهُ صوتُ أعْجَما!

وقال مجنون بنى عامر :

ألَا ياحمامات اللِّوى عُدْنَ عُدْوةً * فإنِّى إلى أصواتِكُنَّ حَزِينُ!
فعُدْنَ، فلمَّا عُدْنَ، كِدْنَ يُمِتْنَنِى * وكِدتُ بأسرارٍ لهُنَّ أُبِينُ!
فلم تَرَ عَيْنِى مثلَهُنَّ حمائمًا * بكَيْنَ، ولم تَدْمَعْ لهُنَّ عُيُونُ!

وقال أبو الأسود الدؤلى :

وساجعٍ فى فُروعِ الأَيْكِ هَيَّجنِي ! * لَمْ أدرِ لِمْ ناحَ ممَّا بِى ولِمْ سَجَعا؟
أباكيًا إلْفَه من بعدِ فُرْقتِه، * أمْ جازِعًا للنَّوى من قَبْلِ أن يَقَعا؟
يَدْعُو حمامَتَه، والطيرُ هاجِعةٌ: * فما هَجَعْتُ له لَيْلِى وما هَجَعا!
شَكَا النَّوى فبكى خَوْفَ الأسى فرمى * بَيْنَ الجَوانِحِ من أوجاعِه وَجَعا!
كأنَّه راهبٌ فى رأسِ صَوْمعةٍ * يتلُو الزَّبُورَ، ونجمُ الصُّبْحِ قد طَلَعا!

وقال مَحْذَر العُكْلىّ :

وقِدْمًا هاجَنى فازددْتُ شَوْقا * بُكاءُ حامتَيْنِ تجاوَبانِ.
تجاوَبَتَا بلَحْنٍ أعجَمِىٍّ * على عُودَيْنِ من غَرْبٍ وبانِ.
فكان البانُ أن بانَتْ سُلَيْمى * وفى الغَرْبِ اغْتِرابٌ غيرُ دانِى!

وقال عوف بن مُحلِّم :

ألا ياحَمامَ الأيْكِ إلْفُك حاضِرٌ * وغُصْنُكَ مَيَّادٌ! ففيمَ تَنُوحُ ؟

وقال ابن عبد ربه من ابيات :

وكَيْفَ، ولِى قَلْبٌ إذا هَبَّتِ الصَّبَا * أهابَ بشَوْقٍ فى الضُّلُوعِ دَفِينِ ؟
ويهتاجُ منه كُلّ ما كان ساكِنًا * دعاءُ حمامٍ لم تَبِتْ بوُكُون .
وإنَّ ارتياحِى من بُكاءِ حمامَةٍ * كذى شَجَنٍ داوَيْتُهُ بشُجُونِ .
كأنَّ حَمامَ الأيْكِ لمَّا تجاوَبَتْ ، * حَزِينٌ بكى من رَحْمةٍ لحَزِين !

وقال ابن قلاقس :

غَناءُ حَمامٍ فى مَعاطِفِ بانِ * إلى مَذْهَبِ الحُبِّ القَديمِ ثَنانِى.

تغنّى فأعطافُ الغُصونِ رواقِصٌ * وأحْداقُ أزهارِ الرِّياضِ رَوانِي.
فذكّرنِي شَرْخَ الزمانِ فدمْعى * سَفُوحٌ وقلْبِي دائمُ الخفَقانِ.

وقال أعرابيّ :

وقَبْلِيَ أبْكى كُلَّ مَنْ كان ذا هَوًى * هُتُوفُ البَوا كى والدِّيارُ البَلاقِعُ.
وهُنّ على الأغْصان من كُلِّ جانبٍ * نَوائحُ، ما تَخْضَلُّ منها المَدامِعُ!

وقال فتح الدين بن عبد الظاهر :

نَسَبَ النـاسُ للحَمامَـةِ حُزْنًا، * وأراها فى الحُزْنِ ليستْ هُنالكْ!
خَضبَتْ كَفَّها وطَوَّقت الجِيـ * ـدَ وغَنَّتْ، وما الحَـزينُ كذلكْ!

وقال ابن الرومىّ :

أشَجَتْكَ داعِيَـةٌ مع الإشْراقِ، * هتفَتْ بساقٍ من ذُؤابةِ ساقِ؟
أيْكِيَّـةٌ تدعُـو، ولم أر باكِيًا * رَيْبَ الزمانِ قَرِينَها لِفراقِ.
تَبْدُو أواميتُ[1] الشَّجَى فى صَوتِها * وتُرى عليهـا أنّةُ الإطْـراقِ.
لو تَسْتطيعُ، تسلَّبتْ من طَوْقِها * لو كان مُنْتحَلًا من الأطْواقِ.

ومما قيل فى المراجعات، فمن ذلك قول وضّاح اليمن :

قالَتْ : ألَا لا تَلجَنْ دارَنَا، * إنَّ أبانَا رجُـلٌ غائرُ!
أما رأيتَ البابَ من دُونِنا؟ * قلتُ : فإنِّى واثِبٌ طافِـرُ!
قالت : فإنّ القَصْر من دُونِنا! * قلتُ : فإنِّى فوقَهُ ظاهِـرُ!

(١) يطلق الامت فى اللغة على الضعف والوهن ويجمع على إمات وأمْوات ولم نر جمعه على أواميت .

قالت : فإنَّ الليثَ عالٍ به * قلت : فسيفى مُرْهَف باتِرُ!
قالت : فهذا البحرُ ما بيْننَا * قلت : فإنِّى سابحٌ ماهِرُ!
قالت : أليس اللهُ من فوْقنا؟ * قلت : بلى! وهو لنا غافِرُ. (١٧)
قالت : فإمَّا كنْتَ أعيَتْنَا، * فأْتِ إذا ما هَجَع السَّامِرُ!
وٱسقُطْ علينا كسُقُوطِ النَّدى، * ليلةَ لا ناهٍ ولا زاجِرُ!

وقال المؤمل بن أميل :

وطارقاتٍ طَرَقْنى رُسُلا، * والليلُ كالطَّيلسانِ مُعْتكِرُ.
فقُلْنَ : جِئْنا إليكَ عن ثِقةٍ * من عند خَوْدٍ كأنَّها قَمَرُ!
هَلْ لكَ فى غادةٍ مُنعَّمةٍ * يَحارُ فيها من حُسْنِها النَّظَرُ؟
فى الجِيدِ منها طُولٌ إذا ٱلتفتَتْ * وفى خُطاها إذا خطَتْ قصَرُ.
فقُمتُ أسْعى إلى مُحَجَّبةٍ * تُضىء منها البُيوتُ والحُجَرُ.
فقلتُ لَمَّا بدا تخَفُّرُها : * جُودى، ولا يمنعَنَّك الخَفَرُ.
قالت : تَوقَّرْ، ودَعْ مقالَكَ ذا * أنتَ ٱمرُؤٌ بالقَبيحِ مشْتَهِرُ!
واللهِ لا نِلْتَ ما تُحاوِلُ أو * يَنْبُتَ فى بطنِ راحتى شَعَرُ!
لا أنتَ لى قَيِّمٌ فتجْبُرَنِى * ولا أميرٌ علىَّ مُؤْتَمَرُ.
قلتُ : ولكِنْ ضَيفٌ أتاكِ به * تحتَ الظلامِ القضاءُ والقَدَرُ.
فاحتَسِبى الأجْرَ فى إنالَتِه، * ويا سِرى قد تطاوَلَ العُسرُ!
قالتْ : فقد جئْتَ تبْتغِى عَمَلا * تكادُ منه السماءُ تَنْفَطِرُ.
فقلتُ : لَمَّا رأيتها حَرِجَتْ * وغَشِيَتْها الهمومُ والفِكَرُ :
لا عاقَبَ اللهُ فى الصِّبا أبدًا * أنثى ولكنْ يُعاقِبُ الذَّكَرُ!

قالت : لقد جئتنا بمبتدع، * وقد أتتنا بغيره النُّذُرُ .
قد بيَّنَ اللهُ فى الكتابِ فلا * وازرةٌ غيرَ وِزرها تَزِرُ .
قلتُ : دَعى سورةً لهِجْتِ بها * لا تحرمنَّا لذَّاتِنا السُّورُ .
وجْهُك وجهٌ تمَّتْ محاسنُه، * لا وأبى لا تمسُّه سَقَرُ .

وقال آخر :

خَطَرتْ فقلْتُ لها مَقالةَ مُغْرَمٍ : * ماذا عَلَيْكِ من السَّلامِ فسَلِّمى .
قالتْ : بمَنْ تَعْنِى فحُبُّكَ بيِّنٌ * فى سُقْمِ جِسْمِكَ؟ قلت : بالمتكلِّمِ .
فتبسَّمتْ، فبكَيْتُ، قالت : لا تُرَعْ * فلعَلَّ مثْلَ هَواكَ بالمتبسِّمِ .
قلتُ : اتَّفقْنَا فى الهَوى، فزيارةً * أو مَوْعدًا قبْلَ الزيارةِ قَدِّمى .
فتضاحكَتْ عجَبًا، وقالتْ : يافَتى * لو لم أدَعْكَ تنام، بِى لم تَحْلُمِ .

وقال آخر :

ولَمَّا نَزَلْنا على زَمْزمٍ، * ونحنُ نُريد طَوافَ الإفاضَهْ،
بكَيْتُ، فقالت : علامَ البُكَا؟ * فقلتُ : على الوُدِّ أخْشَى انتقاضَهْ .
فقالت : ثَكِلْتُكَ من عاشِقٍ * تُشَمِّر ذيلَكَ قبل المَخاضَهْ .
فقلتُ : صَدَقْتِ، ولكِنَّنِى * أُعَلِّم نفْسِى طَرِيقَ الرِّياضَهْ .

ومما قيل فى المردوف، قال بعض الشعراء :

عيناكَ على سفكِ دمى أسرفتا * والجسم نحيلْ .
أطلِقْ برضاكَ فى الهوى أسرَ فتًى * حيرانَ ذليلْ .

فى ريقــكَ خمرتان قد حُرِّمتا من غير دليـلْ .
والعاشــق ظمآنُ فيا حرُّ! متى تســقيه قليـلْ ؟

وقال آخر :

فى خدّكَ وردتان قــد رُكِّبتا من فوق قضيبْ .
فى قلبىَ جمــرتان قــد أُضرِمتا: نارٌ ولهيــــبْ .
حلّفتــكَ بالإله ياخيرَ فــــتى رفقًا بكئيبْ .
حيرانَ يهــيم بين حتّى ومتى والأمر عجيبْ .

وقال آخر :

يابدرُ ! عصَيتُ فى الهوى عذّالى طوْعا لهــواكْ .
وآثقــدتُ لأمرك الكبير العالى ماقــلّ وفاكْ! .
إن كان رِضاكَ سقمَ جسمى البالى صــبرا لرضاكْ .
عذّبْ جســدى بسائر الأحوالِ إلا بجفــاكْ .

وقال آخر :

يامرتجــلا إلى الحِمَى مَصرَفُه بالله عليــكْ خذ معك كتابْ، فيه خبرى .
لى ثَمّ رشًا عساك تســتعطفُه إن هان عليكْ فى رد جــوابْ، للمتظــرِ .
إنْ عرَّضَ بى، فقل: نعم أعرفُهُ يشــتاق اليكْ قــد رقّ وذابْ، بين البشرِ .
ما يتركه هــواكَ أو نتلفَــه والأمر اليــكْ ما الهجر صوابْ، من مقتدرِ .

ومما قيل فى الجناس، قال ابو الفضل الميكالى :

مواعيده بالوصل أحلام نائم * أشــبّهها بالقــفر أو بسَرابِهِ
فمن لى بوجه لو تحيّر فى الدجى * أخو سفرٍ فى جُنح ليل سَرَى بِهِ

وقال أيضا :

صِلْ محبًّا، أعياه وصفُ هواه * فضناه ينوب عن تَرجُمانهْ.
كلّما راقه سواك، تصدّت * مقلتاه بدمعه تَرجُمانهْ.

وقال آخر :

ماضرّ مَن قد أباح قتلى * فى حبّه لو أباح رِيقَهْ.
أبَى فؤادى السلوَّ عنه * لكنه ما أبَى حريقَهْ.

وقال آخر :

أقول والليل مرخىّ غياهبه * والدَّيْر يَسمعنى حِسّ النواقيس:
يانفسُ كم بين مسرورٍ بلذّته * وبين مُبْلًى بتشتيت النوى قيسى.

وقال آخر :

يامن تنكّدت الدنيا لغيبته * أساخطٌ أنت عنى اليومَ أم راضى؟
أمرضتَ بالهجر قلبَ المستهام فما * عليك، بالوصل لو داويتَ أمراضى؟

وقال آخر :

لقد راعنى بدر الدجى بصدوده * ووكّل أجفانى برعيِ كواكبهْ.
فياعَبْرتى سُحّى دَمًا لفراقه * ويا كبدى صبرا على ما كواكِ بهْ!

وقال آخر :

قلت له : ما ذا السواد الذى * فيك تبدّى؟ قال: ذا غاليهْ.
فقلت : قَبّلنى إذًا قُبلة * فقال : خذها قُبلةً غاليهْ.
فقلت : ماتغلو على عاشق * فى حبكم، ذى كبدٍ غاليهْ.

وقال آخر :

شافَــهَ كفّى رشأٌ * بقُبــلةٍ ما شَــفَتِ.
فقلت إذ قبّلهـا : * ياليت كفّى شفتى!

وقال آخر :

لم يكفكم أخذُ قلبــه سَلَبًـا * حتى أخذتم عن طرفه وسَنَهْ.
كم ليــلةٍ بات للغــرام وكم * يومٍ وشهرٍ ما نامــه وسَــنَهْ.

وقال آخر :

يا من لحظاته أســودٌ وَثَبَتْ * قــد صحّ هواك فى فؤادى وثَبَتْ.
جرّدتُها ســيوفَ صبرى فنبت * يامن غرس الهوى بقلبى فنبتْ.

وقال آخر :

يامن بحشاشتى ـإذا غابـ سكنْ * هيّجتَ من الغرام ما كان سكنْ.
يا من شَرَع الصدودَ فى الحبّ وسَنّ * من بعدك مهجورُك ماذاق وَسَنْ.

وقال آخر :

أهوى قمرا ســفكُ دمى حلَّ لهُ * فى أىّ شريعــةٍ ومَن حلَّلَهُ.
ما بلَّــلَ شَــعرَه وما حلَّلَهُ * إلا سمــحَ البخيلُ وانحلّ لهُ.

وقال آخر :

مَن بلَّلَ صُدْغَ قاتلى مَن سَلْسَلْ؟ * مَن أودع ثغرَه رحيقا سَلْسَــلْ؟
مَن علّلنى فى حبّه ؟ مَن سَلْسَلْ؟ * يا عاذل إن جهلتَ مابى سَلْ سَلْ.

وقال آخر :

يا بانــةً لحبّهــــا * فى القلب أصلٌ قد نبتْ.

سيوف صبرى عن سيو * ف مقلتيك قد نَبَتْ.
تلك لحاظُ أعين * أم أُسْدُ غيلٍ وثبت؟
(١)
... ...
لواحظٌ لو برزتْ * فى يوم حربٍ، لسَبَتْ.
وعقربُ الصُّدغ التى * لكلّ قلب لَسَبَتْ.
أسْنَاؤُكم تاقت لها النفوس يوما وصَبَتْ.
لاسيّما إن حَملتْ * نشرَك ريح وصبتْ.
خيلهم دون بلو * غ السُّول فينا قد كَبَتْ.
أفدى حبيبا زارنى * فكم عدوٍّ قد كَبَتْ.
رعى حقوق فى الهوى * عليه لمّا وَجبتْ.
وسكّن الأحشاء بالوصال لمّا وَجَبَتْ.

وقال أيضا :

من لفتى، جار عليه طرفه فيما قضَى؟
صبٌّ إذا الدهر قضى * عليه بالبين، قضَى.
يبكى على دهر تولّى بالتدانى أو مضى.
تمطر عيناه إذا الشبرق الشآمِى أو مضا.

وقال آخر :

رمى حرَّ قلبى بهجرانه * رشًا مادرى قدرَما قد رمى.
وقد كان قدّم إحسانه * ولكنه قدَّ ما قدّما.
فتسليم أمرى به للقضا * ذَخَرتُ به أجرَ ما أجرما.

(١) لعل هنا بيتا سقط من الأصل ولم نعثر عليه .

ومما قيل فى الموشّحات، فمن ذلك ما قاله بعض الأندلسيين :

يد الإصباح، قدحتْ زناد الأنوار * فى مجامر الزّهر.
دهر جذلان، وٱعتدال ريْعان * فما الإظعان؟ عن طَلًا وغزلانْ.
راق الزمان، وشدَتْ على البان * ذاتُ الجناح، وٱنثنت قدودُ الأشجارْ.
* فى الغلائل الخُضر *
لنا أجساد، للسرور تتجذبُ * كما تنقاد، لربيعها العرب.
حتى الجماد، لا يفوته الطربُ * طافت بالراح، سحبٌ فسكر النوّارْ.
* من سُلافة القَطْرِ *
إن ٱنخلاعى، مع رشًا وصهباء * لدى بقاع، حكت وشى صنعاء.
وللشّعاع، لهبٌ على الماء * وللرياح، فى متون تلك الأنهارْ.
* شَبَكٌ من التِّبر *
وريم الى، بات بيدَه صدرى * كبدر تمًّا، وسط غُرّة الشهر.
شدوتُ لمًّا، راعنى سنا الفجر * قل للصباح: إن تدنُ بطرد الأقمارْ.
* فمع الدجى نسرى *
وغصن مائلْ، الهلال أعلاه * له من نابلْ، فى النفوس قتلاه. (٩٩)
سيف الحمائل، غمده عذاراه * طوع الجماح، إن يكن كثيرَ النِّفارْ.
* فهى عادة العُفْر *

وقال ٱبن بقى :

مابى شَمول، إلا شجون * مزاجها فى الكأس، دمع هتون.

لله ما بذّرْ ، من الدموع * صبّ قد آستعبرْ، من الوَلُوع.
أودى به جؤذَرْ ، يوم البقيع * فهو قتيلُ ؛ لابل طعينُ .
* بين الرجا واليأسْ، له منونُ *

[خرجْتُ للعينِ ، كفّى بكفّى * وحيل ما بينى، وبين إلفى.
لا شك بالبينِ ، يكون حتفى * حان الرحيلُ، ولى ديونُ.
* إن ردها العباسْ ، فهو الأمينُ (١) *]

أما ترى البدرا؟ بدرَ السعودِ * قد آكتسى خُضرًا، من البرود.
إذا آنثنى نَضْرًا ، من الفدودِ * أضحى يقولُ ، : مت ياحزينُ.
* قد آكتسى بالياسْ ، الياسَمينُ *

قلت وقد شرّد ، النومَ عنّى * وآيَس العوّد ، السقم منّى:
صدّ فلما صدّ، قرعتُ سنّى * جسمى نحيلُ، لايستبينُ.
* يطلبه الجُلّاسْ، حيث الأنينُ *

تجاوز الحدّا ، قلبى آشتياقا * وكلّفُ السهدا، مَن لا أطاقا.
قلتُ وقد مدّا، ليلى رُواقا * ليلى طويلُ، ولا مُعينُ :
* ياقلبَ بعضِ الناسْ، أماتلينُ؟ *

وقال سراج الدين عمر الكنّانى الحلبىّ، يمدح الملك المنصور صاحب حماه :

جسمى ذوَى ، بالكمدِ، والسهرِ، والوصبِ، من جانى
ذى شنبِ، كالبَرَدِ، كالدررِ ، كالحببِ، جمانى .

(١) الزيادة من نفح الطيب .

لى غصن بانٍ نَضِرُ * يسبيك منه الهَيَفُ.

يرتع فيه النظرُ * فزهره يُقتطفُ.

والخد منه قمرُ * والجسم منه ترفُ.

قد جاءنا يعتذرُ * عذاره المنعطفُ.

ثم ٱلتوى، كالزرد، مُعبقَرِى، مُعقْرَبى، رَيحانى

فى مُذْهَبٍ، مورَّدٍ، مدنَّرٍ، مكتَّبٍ، سَوسانى.

ظبيٌ له مرتَشَفُ * كالسلسبيل البارد.

غصنُ نقًا ينعطفُ * من لين قدّ مائد.

بدرٌ علاه سَدَفُ * من ليل شَعرٍ وارد.

مُقَرْطَقٌ مشنَّفُ * يختال فى القلائد.

بين اللَّوى، وشَهْمَد، بكُؤْذَرٍ، فى رَبْرَب، غِزْلانى

ذى ضَرَب، ذى غَيد، ذى حَوَر، ذى هُدُب، وَسْنَانى.

أمَا وَحلْىِ جيده! * ورنَّةِ الخلاخلِ!

والضمِّ من برده * قَدَّ قضيبٍ مائلِ.

والوردِ من خدوده، * إذْ نَمَّ فى الغلائلِ.

لا كنتُ من صدوده * متصلا بعاذلِ!

نارَ الجَوَى، لا تَخْمُدى، وٱستَعِرى، وكذِّبى، سُلْوانى

وأَسْبِلى، وٱطَّرِدى، وٱنْهَمِرى كالسُّحُبِ، أجفانى.

مولاىَ جفنى ساهرُ * مــؤرَّق كما ترى.

فــلا خيـالٌ زائرُ * يَطْرُقـنى ولا كَرَى.

إنّى عليــلٌ صـابرُ * فـما جَزَا من صبرا؟

إنْ سَحَّ دمعى الهامرُ * فلا تَلُمْه إنْ جَرَى.

جَالَ الهوى، فى جَلَدى، ومُضْمَرى، أضرَّبى، كتمانى

مؤنّبى، أتَّئِد، لا تَفْـتَرِ. وجَنِّبْ، عن عَانِى.

إنْ صَالَ بالهجر وصَـدْ * رحتُ بصبرى مرتدى.

عنــه وإن طال الأمدْ * إلى ذُرَى محمــدِ.

وكيف يخشى مَن قَصَدْ * مَلْـكا كريمَ المحتِـدِ.

الملكَ المنصـورَ قـد * سَمَا سَمَاءَ السُّـودَدِ.

ثم ٱسْتَوى، بأجْرَدِ، مضمَّرٍ، ومِقْضَبٍ، يَمَانِى

ذى شُطَبٍ، مهنَّدِ. وسَمْهَرِى. مضطَرِبٍ، مُرَّانِى.

مَلْـكا علت هِمَّاتُه * من فوقِ هَامِ المشترِى.

وبَخَّلَـــتْ راحاتُه * سُحَّ الســحابِ الممطرِ.

وعُــــوِّذَتْ راياتُه * بمحـكماتِ السُّـورِ.

بدرٌ بدتْ هــالاتُه * من الصباحِ المُسْــفِرِ.

تحت لِوَى، منعقدٍ، بالظَّفَر، فى موكبٍ، فِرْسَانِى

كالأَشْهُب، فى الأَسْعُد، كالأقمر. فى أعْذَبٍ، سَيْحَانِى.

يامَلِكًا دون الورى * تخطبُـــه المـالكُ.
ومالكا إذا سـرَى * تحْجُبُـــه الملائكُ.
بعضُ عَطَاك هل تُرَى * جادت به البرامـكُ.
فاسْتَجْلِهَا من عُمَرَا * ثغـرُ مُنَـاها ضاحكُ.

لا يُحْتَوَى : كالشُّهُدِ، كالسُّكَّرِ . كالضَّرَبِ، مَعَانِي
كالسُّحُبِ، كالعسجَدِ، كالجوهرِ، من حَلَبٍ، تَكَّانِي.

آنتهى ما أوردناه من الغزل والنسيب فى هذا الموضع ؛ وقد آن أن نأخذ فى ذكر الأنساب وبالله التوفيق .

الباب الرابع

من القسم الأوّل من الفن الثانى فى الأنساب

قال الله تعالى : ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ . ومعرفة أنساب الأمم مما آفتخرت به العرب على العجم ، لأنها آحترزت على معرفة نسبها، وتمسكت بمتين حسبها ؛ وعرفت جماهير قومها وشعوبها ، وأفصح عن قبائلها لسان شاعرها وخطيبها ؛ وآتجدت برهطها وفصائلها وعشائرها ، ومالت إلى أفخاذها وبطونها وعمائرها ؛ ونفت الدعىّ فيها ، ونطقت بملء فيها .

وسأورد منها إن شاء الله تعالى ما يكتفى به ، ويتمسك بأسبابه .

وقد وقفت على المقدّمة التى وضعها الشريف "أبو البركات الجوّانىّ" فرفعت له علماء ونصبت له إلى المعالى سلما : لأنه أتقن أصولها ، وحرّر فصولها ؛ وأورد

فيها من الأنساب ما ينتفع به اللبيب، ويستغنى بوجوده الكاتب الأريب . فوجدته بدأ فيها بذكر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم بآبائه ، وشرح جملة من نسبه الطاهر وأبنائه . فرأيت أن أسرد النسب من أصله ، وأبدأ بآدم عليه السلام، ثم بنسله ؛ وأجعل العمدة على سرد عمود النسب المتصل بسيد البشر . وأذكر من ذلك ما اشتهر عند أهل الأنساب وانتشر؛ إلى أن انتهى إلى اسمه الشريف فأجعله خاتمة النسب ، وأتمسك من شريعته ومحبته بأوثق سبب . وأرجو ببركته بلوغ مآربى، ونجح مطالبى؛ وستر عيوبى، ومغفرة ذنوبى؛ وتزكية عملى ، وسدّ خللى ، والتجاوز عن سيئاتى ، والمسامحة بفلتاتى ولفتاتى ؛ والخيرة فى حركاتى وسكناتى .

هذا والله رجائى من كرم ربى، وإن قل عملى وكثر ذنبى؛ وعلى الشريف العمدة فيما أوردته ، والعهدة فيما نقلته ؛ فمن تأليفه نقلت، وعلى مقالته اعتمدت .

قال السيد الشريف نقيب النقباء أبو البركات بن أسعد بن على بن معمر الحسينى الجوانى، النسابة رحمه الله : إن جميع ما بنت عليه العرب فى نسبها أركانها، وأسست عليه بنيانها، عشر طبقات .

الطبقة الأولى الجذم

وهو الأصل إما إلى عدنان وإما إلى قحطان ، والجذم القطع ، يقال : جِذْم وجَذْم؛ وذلك لما كثر الاختلاف فى عدد الآباء وأسمائهم فيما فوق ذلك ، وشق على العرب تشعب المناهج فيه وتصعب المسالك ؛ قُطع الخوض فيما فوق قحطان ومعدّ وعدنان، واقتُصر على ذكر ما دونهما، لاجتماعهم على صحته . ومنه قول سيدنا رسول الله

صلى الله عليه وسلم لما انتسب إلى معدّ بن عدنان : «كذب النسابون فيما فوق ذلك» لتطاول العهد. فمن كان من ولد قحطان، قيل يمنيّ. ومن كان من ولد معدّ بن عدنان ، قيل خِنْدِفى ، أو قَيْسى ، أو نِزَارى، وإن كان الجميع داخلا فى نِزَار، أعنى معدّ بن عدنان؛ وإنما كان بعد نِزَار جَمَاجِم استُغنى بالنسبة إليها عن نزار بن معدّ بن عدنان؛ ولأن جمهور العلماء طبقوا النسب على ما قدّمناه أربع طبقات : خندفىّ، وقيسىّ، ونزارىّ، ويمنىّ. فقولهم : خندفى أى كل من يرجع إلى الياس بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان؛ وهو جمّاع خندف، فتوسعت العرب فى ذلك إلى أن قالوا : إلياس هو خِنْدف ، لأن ولده وهم مُدْرِكَة ، وطَابِخَةُ ، وَقَمَعَةُ ، أمهم خندف ، وهى ليلى بنت حُلْوان بن عِمْران ، بن إِلْحَاف بن قُضَاعة، خندفت فى طلب ولدها أى أسرعت ، فقال لها إلياس : مالك تخندفين ؟ أى تهرولين فسميت خندف، فرجع إلى خندف أبطن عدّة : كُمَزَيْنَة، والرِّبَاب، وضَبَّة، وصُوفَة، والشُّعَيْرا، وتَمِيم، وهُذَيل، وأَسَد، والقَارَة، وكِنَانَة، وقُرَيْش، فقيل لولد إلياس "خندف" ثم قيل لإلياس نفسه خندف إذ كان أبا لمن أمه خندف لاغير ولا ولد له إلا من خندف. ولذلك نظائر وأشباه فى العرب، كما قيل لمالك بن خُزَيْمَة بن مُدْرِكَة بن إلياس بن مضر: "عائدة" لأن أم ولده عائدة بنت الحُمَس بن قُحَافة الخَثْعَمِيَّة .

وكما قيل لعَوْف بن وَائِل بن قَيْس بن عَوْف بن عبد مَنَاة بن أُدّ بن طَابِخَة بن إلياس بن مضر : "عُكْل" لأن أمةً يقال لها عُكْل حضنت ولده .

وكما قيل لعمرو بن أُدّ بن طابخة بن إلياس : "مزينة" لأن أم ولده مُزَيْنة بنت كَلْب بن وَبَرَة القُضَاعية .

وكما قيل لعمرو بن قيس بن عَيْلان بن مضر بن نزار "جَدِيلَةُ قَيْس" لأن أم ولده جَدِيلة بنت مُرٍّ، أخت تميم بن مر، بن أُدٍّ، بن طابخة .

وكما قيل للحارث بن عَدِيّ بن الحارث بن مُرَّةَ بن أُدَد بن زيد بن يَشْجُب بن عُرَيْب بن زَيْد بن كَهْلان بن سَبَإ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان "عاملة" لأن أم ولده عاملة بنت مالك بن وديعة القضاعية .

وكما قيل لأَشْرَس بن السكون بن أَشْرَس بن كِنْدَة "تُجَيبُ" لأن أم ولده تُجَيبُ بنت تَوْبَان المَذْحِجِيَّة، وغير ذلك مما يطول الكلام باستقصائه والله أعلم .

وأما قولهم قيسيّ، فالمراد به من ولد قَيْس بن عَيْلان بن مُضَر بن نِزَار بن مَعَدّ بن عَدْنَان، ويكون عيلان هاهنا أخا إلياس بن مضر، وكان[1] اسم إلياس عيلان . (١٠١)

وقال الوزير ابن المغربى : هو الناسّ بتشديد السين فيكون مضر أعقب إلياس والناس . ومن العلماء من قال : إن عيلان كان حاضنا، حَضَن قيسا وليس بأب فيقول قيس عيلان بن مضر، مضاف إليه بغير ذكر البنوّة، كما قيل فى لخذ من قضاعة سَعْد هُذَيْم، وهُذَيْمٌ حاضن، وغير ذلك فى العرب كثير والأوّل أصح . وهذا قيس بن عيلان بن مضر هو الذى قيل لقيس به قيس والله أعلم .

وذهب قوم إلى أن ولد معدّ بن عدنان كلهم يقال لهم : قيس وهو خطأ، وإنما هم يجوّزون ذلك على وجه بعيد ليميزوا بالعزوة إلى ذلك عين يمن وغيرها : فيقولون : قيس ويمن، فيظن السامع أنهما أخوان، وأين قيس من قحطان جدّ يمن : لأن قحطان أبا اليمن هو أخو الجدّ العشرين لقيس : وهو فالغ بن عابر، وقحطان بن عابر . وسيرد ذلك فى سرد النسب بعون الله ومشيئته .

(١) لعله أو كان اسم إلياس الخ ليستقيم الكلام .

وبيانه هاهنا أن قيس بن عيلان ، بن مضر ، بن نزار ، بن معدّ ، بن عدنان ، آبن أُد[1] ، بن أُدَد ، بن اسماعيل الذبيح ، بن إبراهيم الخليل ، بن تَارَحَ : وهو آزَر بن ناحُور ، بن سَاروغ ، بن أَرْغُو ، بن فالَغ ، بن عَابَر . فقالغ أخو قحطان ، وقحطان هو الجد الذى ترجع إليه يمن كلها ؛ وهو أحد جِذْمَى النسب كما تقدّم .

فقد بان أن قول من يقول قيس : ويمن قبيلة ليس بشيء ، وإنما قال ذلك لولد معدّ بن عدنان إشارة لإعلام السائل إذا سأل المعدىّ من أىّ نسب هو ، فكأنه يقول له من البطن التى منها قيس . وهذا بعيد وشاذ .

ومما يؤكد بعده أنا إذا جوزنا ذلك لمن ينتسب إلى جمجمة فوق قيس كربيعة آبن نِزار بن معدّ بن عدنان ، وإياد بن نزار وغير ذلك وان كان بعيدا فكيف يجوز أن يطلق ذلك على قريش . فنقول : هم قيس ، وإنما قريش بنو فهر بن مالك بن النَّضْر بن كِنانة بن خُزَيمة بن مُدْركة بن إلياس بن مضر بن نزار ، وإلياس هو عم قيس فيكون قريش دون قيس بهذه العدّة ، فلا يجوز أن يقال : إن قريشا من قيس ، وقيس إنما هو آبن عم الأب السادس من قريش : وهو مدركة ؛ ولو كان عمًّا له ، لكان ربما يجوز على وجه التعارف عند العرب بأن العم أب كما أخبر الله تعالى عن نبيه يعقوب عليه السلام فقال تعالى : ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِى قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَ إِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ﴾ ، والذى ذهب إلى أن العم أب قال : أنا أطلق على ولد معدّ بن عدنان قيسا لأن قيسا منهم ، فأقول : قريش من قيس . وهذا بعيد من وجه أن قيسًا ليس

(١) هكذا بالأصل . وفى كتاب الجوانى المنقول منه هذا الفصل والموجود منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية ، ناقصة الآخر (ابن أُدّ بن اليسع بن الهميسع بن سلامان بن نبت بن حمل بن قيذار بن إسماعيل الذبيح الخ) .

بعم لقريش، وإنما هو ابن عم، ولا ترجع العُزْوة فى الانتساب إلى ذيل الأعقاب، إنما يعزى لأعلى النسب ؛ لا لأسفل العقب ؛ ولو صح ذلك، لعُزِى الإنسان لابن ابن عمه وهذا لا يصح .

فقد وضح أن العزوة إلى قيس لاتصح إلا لمن يرجع إليه بالولادة منه : لأن ربيعة وإيادا ابنى نزار أعلى منه ، فلا يصح أن يُعْزوا إليه ؛ وقريش وكنانة أسفل منه فلا يصح أن يعزوا إليه .

وبالجملة فإنه ابن عم لهما، أعنى قريشا وكنانة ، وأخ لهما أعنى ربيعة وإيادا ؛ ولا يجوز أن يعزى الأب إلى ابنه إذ كانت النسبة فى ذلك لا ترجع إلى الابن إنما ترجع إلى الأب . ولو اعتمد ذلك فى الأنساب لاختلطت العزوة إلى كل أب بالأب الآخر فلم يتميز، ولم يقف عند حد دون الآخر . وهذا يؤول إلى الجهالة بالأبطن والأفخاذ والعشائر .

وأما شهرة العزوة إلى قيس، فلما فيها من الجماجم والرءوس والقبائل والأرحاء وهى عند النسابين أكبر من تميم ومن بكر ابنى مُرّ بن أد بن طابخة ؛ إذ كان فى قيس بنو عَبْس، وذُبْيان، وغَطَفان، وأَعْصُر، وهَوازن، وعُدْوان ، وفَهْم : وهم جَدِيلة قيس ، وسُلَيم ، وثَقِيف، وعامر، وجُشَم ، ونَصْر، وبَكْر، وسَعْد، وسَلُول ، وربيعة، وكِلاب، وقُشَير، وحَبِيب، وعُقَيل، وحَرِيش، وخَفَاجة، وطَهْفَة، وغير ذلك من الأفخاذ والعشائر التى تشرح فى مواضعها بمشيئة الله وعونه .

وأما نزار بن معد بن عدنان ، ففيها من الأبطن والأفخاذ والعشائر : كبنى رَبِيعَة الفَرَس، وضُبَيْعة أَضْجَم، وأَكْلُب، وأَسْلم، ويقدم، وأجلان، وهميم، وعبد القَيْس، ودُهْن، والنَّمِر، وتَغْلِب، ووَائِل، وبَكْر، وصعب، وعلى، وحبيب، وعَنَزَة، وعَنْز،

ورُفَيْدة، وإراشة، ويَشْكر، وعُكَابة، وعِجْل، وبُجَيْم، وحَنِيفة، وزِيَّان، والدول[1]، وشَيْبان، وذُهْل، ومَازِن، وسَدُوس، وبِلِيّ، وعَوْف، وبَدْر، ومَعْن، ودُغْمِيّ، وزُهْرة، وحُذَافة.

فأما أَنْمَار بن نِزَار، فانقلب فى يمن كما انقلبت قضاعة فى غير ذلك من الأفخاذ والعشائر مما بين فى موضعه إن شاء الله تعالى والحمد لله.

(١٠١) وأما يمن، فهم أولاد قحطان، بن عابر، بن شالخ، بن أَرْفَخْشَذ، بن سَام، بن نوح عليه السلام.

وفيها عدّة جماجم وقبائل وأبطن وأفخاذ وعشائر: كَسَبَا، وطَيِّئ، والأَشْعر، وحِمْيَر، وقُضَاعة، وغَسَّان، وأَوْس، والخَزْرَج، والأَزْد، ولَخْم، وجُذَام، وعَامِلَة، وخَوْلان، وغَافِق، ومَذْحِج، وحَرْب، وسَعْد العَشِيرة، ومَعَافر، وهَمْدان، وكِنْدة، وكَلْب، ومَهْرة، وصِنْهَاج[2]، وبَارِق، وبَجِيلَة، وثَعْلَبة، وذَرْما، وزُرَيْق، وعُنَيْز، وعَتَّاب، وبُحْتُر، وجَرْم، ومُرَاد، وعَبْس، وجُعْفِيّ، وسَلْمَان، وتُجِيب، وصدا، والنَّخَع، والصَّدف، وحَضْرَمَوْت وغير وذلك.

وكل ما ذكرناه فهو أبطن وأفخاذ وعشائر مختلطة، وما قصدنا فيها الترتيب، على طبقات النسب والتعقيب، وإنما جئنا من كل عُزْوة ببعض مشاهيرها التى تنسب إليها: ليتبين بعضها من بعض ويعلم غرضنا فى تحرير ما قدمناه والله أعلم.

---

(١) بضم الدال وإسكان الواو وهو غير الدؤل الذى ينسب اليه أبو الأسود الدؤلى.

(٢) الذى فى القاموس: وصنهاجة قوم بالمغرب من ولد صنهاجة الحميرى وفى تاج العروس: "قال ابن دريد بضم للصاد ولا يجوز غيره. قال شيخنا والمعروف عندنا الفتح خاصة فى القبيلة بحيث لا يكادون يعرفون غيره".

وأما عِزْوة العرب إلى يمن : وهم ولد قحطان، فلكونهم نزلوا اليمن؛ وكان منهم ملوك الحِيَرة وأصحاب سدّ مأرب فتيامنوا، فنسبوا إلى اليمن .

وقيل: إنما قيل لهم: يمن بأَيْمَن بن هَمَيْسَع بن حِمْيَر، وهو جدّ الملوك التبابعة؛ والأول أولى .

وأكثر العزوة لمن ينقلب عن نسبه إلى اليمن، لأجل أن الملوك كانت فى اليمن : مثل آل النُّعمان بن المُنْذِر من لَخْم، وآل سَلِيح من قُضَاعة، وآل مُحَرِّق، وآل العَرَنْجَج وهو حمير الأكبر بن سبإ كالتبابعة والأذواء وغيرهم .

والعرب يطلبون العزّ ولو كان فى شامخات الشواهق [و بطون[1] الأمالق البوالق فينتسبون الى الأعز لحماية الحمية و إباءة الدنيـة وسكون النفوس الى نفيس الكثرة والعصبية بطريق دقيق فى النظر لا على الظن المشتهر] : كما جرى لقضاعة بن معدّ ابن عدنان [لمّا[1] خلف على أمه الجرهمية بعدُ] مالك بن مرة بن عمرو بن زيد بن مالك ابن حمير أباه معد بن عدنان؛ فجاءت بقضاعة على فراش مالك بن مرة فنسبه العرب إلى زوج أمّه [مالك[1] بن مرة، عادة للعرب فيمن يولد على فراش زوج أمه]. وقيل إن اسم الجرهمية: قضاعة، فلما جاءت بولدها سمته باسمها. وقيل بل كان اسمه عميرا فلما تقضع عن قومه أى بعد سمى قضاعة . والعادة عند العرب أن تنسب الرجل إلى زوج أمّه؛ ألا ترى أنها قالت فى عبد مناة بن كنانة : بنو على وهو على بن مسعود الأزدىّ وكان حضن بنى أخيـه لأمّه وهم بكر وعامر ومرة أولاد عبد مناة بن كنانة، فغلب

(١) زيادات وجدت فى نسخة الجوانى المخطوطة ولم توجد فى الأصل «الفوتوغرافى» .

آسمه عليهم لما تزوج أمهم هند آبنة بكر بن وائل وخلف عليها بعد أخيه، فضم إليه بنى أخيه المذكورين مع أمهم هذه، وهم صغار فربوا فى حجره فنسبهم العرب إلى على . وسيأتى من هذا الباب أمثال له فى مواضعها إن شاء الله تعالى .

والطبقة الثانية الجماهير، والتجمهر : الآجتماع والكثرة؛ ومنه قولهم : جماهير العرب أى جماعتهم، ومنه ترجمة مجموع لغة العرب " الجمهرة " الكتاب الذى ألفه أبو بكر بن دريد و جمهرة "الأنساب" أى مجموعها والله أعلم .

والطبقة الثالثة الشعوب، واحدها شِعْب؛ ويقال شَعْب؛ ويقال فى القبيلة بالفتح وفى الجبل بالكسر : وهو الذى يجمع القبائل وتتشعب منه، ويشبه بالرأس من الجسد؛ قال الله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ﴾ الآية .

والطبقة الرابعة القبيلة، وهى التى دون الشعب تجمع العمائر؛ وإنما سميت قبيلة لتقابل بعضها ببعض وآستوائها فى العدد؛ وهى بمنزلة الصدر من الجسد .

والطبقة الخامسة العمائر، واحدها عِمَارة : وهى التى دون القبائل . وتجمع البطون؛ وهى بمنزلة اليدين .

والطبقة السادسة البطون، واحدها بطن : وهى التى تجمع الأفخاذ .

والطبقة السابعة الأنخاذ، واحدها نِخَذ ونِخْذ، مثل كبد وكبد : وهى أصغر من البطن . والفخذ تجمع العشائر .

والطبقة الثامنة العشائر، واحدها عشيرة : وهم الذين يتعاقلون إلى أربعة آباء. وسميت بذلك لمعاشرة الرجل إياهم، قال الله تعالى : ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ .. فدعا النبى صلى الله عليه وسلم علياء قريش إلى أن اقتصر على بنى عبد مناف؛ وهم يجتمعون معه فى الجد الرابع . فمن هاهنا جرت السنة بالمعاقلة إلى أربعة آباء؛ وهم بمنزلة الساقين من الجسد اللتين يعتمد عليهما دون الأنخاذ .

والطبقة التاسعة الفصائل، واحدها فصيلة؛ وهم أهل بيت الرجل وخاصته؛ قال الله تعالى : ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ (١٠٣) وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُؤْوِيهِ﴾ وهى بمنزلة القدم .

والطبقة العاشرة الرهط، وهم رهط الرجل وأسرته : بمنزلة أصابع القدم . والرهط دون العشرة، والأسرة أكثر من ذلك، قال الله عز وجل : ﴿وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ . قال السيد أبو طالب فى قصيدته المشهورة التى يمدح فيها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

وأحضرتُ عند البيتِ رهطى وأسرتى * وأمسكتُ من أثوابه بالوصائل .

ورهطه بنو عبد المطلب وكانوا دون العشرة . وأسرته من بنى عبد مناف الذين عاضدوه فى نصرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

تمثيل التفصيل — عدنان جذم، قبائل معد جمهور، نزار بن معد شعب، مضر قبيلة، خندف عمارة : وهم ولد إلياس بن مضر، كنانة بطن، قريش فخذ، قصى عشيرة، عبد مناف فصيلة، بنو هاشم رهط .

وحيث انتهى القول فى ذكر الطبقات فلنأخذ الآن فى بسط النسب وسرده فنقول وبالله التوفيق .

أصـــل النسب

(أبو البشر آدم عليه الســـلام)

وآدم هو الجدّ الخمسون لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمود النسب الطاهر المحمدىّ من آدم عليه السلام فى ابنه شيث بن آدم عليهما السلام : وهو هبة الله، وأمّه حواء أمة الله .

ولما قتل قابيل بن آدم أخاه هابيل، ولد شيث؛ وقال آدم عليه السلام : هذا هبة من الله وخلف صالح . وهو الذى بنى الكعبة — شرفها الله تعالى — بالطين والحجارة على موضع الخيمة التى كان الله تعالى وضعها لآدم من الجنة .

وقال وهب : إن الله تعالى أنزل على شيث خمسين صحيفة، ورزق عدّة من البنين والبنات .

والمنسب منه فى ابنه أنوش بن شيث وأمه لبود ابنة آدم عليه السلام . وهو الذى غرس النخلة وزرع الحبة، ونطق بالحكمة؛ وتدعى أمه محوايلة البيضاء .

والعقب منه فى آبنه قينان بن أنوش ، وله ولد آسمه أروى (أعنى لأنوش) ، اعقب وآنقرض عقبه .

والعقب من قينان فى آبنه مهلائيل بن قينان ولم يرزق غيره .

والعقب منه فى ولده يارد بن مهلائيل . وكان ليارد اخوة .

والعقب من يارد فى آبنه أخنوخ بن يارد ، وهو إدريس النبى عليه السلام ، وأمه تدعى برة . قيل سمى إدريس لدرسه الصحف الثلاثين التى أنزلها الله تعالى عليه ، وهو أول من خطّ بالقلم ، وكان له إخوة آنقرضوا .

والعقب منه فى آبنه متوشلخ بن أخنوخ ، وأمه بروخا .

وعقبه فى آبنه لمك بن متوشلخ ، وآسمه لامخ .

والعقب منه فى آبنه نوح النبىّ عليه السلام ، وأمه قينوش آبنة بركائل بن محوايل ، وهو عليه السلام آدم الثانى : لأنه لا عقب لآدم عليه السلام إلا من نوح وولده . وإخوة نوح عليه السلام جماعة : منهم صالح بن لمك . وسقطان . ومنان ، وترسيس ، وصدفا . وكان لهم أولاد آنقرضوا كلهم والعقب من نوح لا غير . ورزق لمك والد نوح عليه السلام نوحا ، وله من العمر مائة واثنان وثمانون سنة . وتوفى وقد مضى من عمر نوح خمسمائة سنة .

وآختلف فى عمر نوح : فقيل عاش ألف سنة إلا خمسين عاما : ستمائة قبل الطوفان وثلثمائة وخمسين سنة بعده . وقيل بل لبث قبل الطوفان ألف سنة إلا خمسين عاما ، على ما نذكر ذلك إن شاء الله تعالى فى قصته فى التاريخ . وعمود النسب من نوح فى آبنه سام بن نوح عليه السلام ، وسام هو الجد الأربعون لسيدنا رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، وأمه عمردة . وإخوة سام حام، ويافث، وبوناطل، وسالوم وهو الذى غرق فى الطوفان .

وأما سام بن نوح، فإن الله تعالى جعل فى ذريته الكتاب والنبوّة والملك والجمال والبياض ، ونزلوا ما بين ساقيد إلى البحر ، وما بين البحر إلى الشام : وهو وسط الأرض ، والحرم وما حوله ، والحرم إلى حضرموت ، وإلى عمان ، وإلى عالج والدهناء .

والعقب من يافث بن نوح طرسوس، وهمذان، والجبال ، والجزر ، وفرنجة ، والصقالبة الذين على تخوم القسطنطينية ، واشكار ، والترك، وقبرس ، ويأجوج، ومأجوج ، وكومر، والمصيصة، وأدنه ، وروادنيم ، وماسج ، وخراسان ، وباوال ، ويونان ، وبرجام ، وكرد بن مرد بن يافث .

قال : وهذه رواية العلماء بالنسب، وسنذكر خبر كرد بعد هذا فى موضعه .

ومن ولد يونان بن يافث الروم واليونانيون ؛ كان منهم الفلاسفة وأهل الحكمة كالإسكندر وغيره .

وولد بوناطل بن نوح : وهو الذى عقد الألوية للناس حين تفرقوا : الأرغار ، والبعاس ، والدكايك ، والدمشق ؛ وهم أمم لا يحصون خلف صين الصين .

والعقب من حام بن نوح، الهند والسند والنوب، والزنج ، والحبشة، والقبط، والبربر، ومصرايم أو اسمه مصر بن حام .

وذكر صاحب الشجرة : أن مصرايم أعقب من ابنه لوديم، وأن لوديم أعقب قبط مصر بالصعيد، والبيهيم، والتفوحيم، والبرنسيم ، والكشلوجيم ، والقابدقايين ، ومودشايا، وكوشايا، وهبورشايا

قال : وهؤلاء بأجمعهم ولد قوط بن حام ، وأندلش ، وكوشان ؛ فولد قوط بن حام مصر ، فولد مصر بن قوط قبط : وهم قبط مصر ؛ وبهم سمّيت مصر مصر . قال : هذا قول شيوخنا . وذكر أهل التاريخ : أن مصر سُمّيت بمصر بن بيصر بن حام ؛ كل ذلك قد قيل وهو الأكثر عن العلماء .

وقال أبو المنذر النسابة فى روايته : إن السند والهند وما بينهما من البلاد قتلهم يوشع آبن نون إلا بقيّة منهم يسيرة لحقوا بأطراف بلاد السودان : وهم الذين ما بين مصر إلى بلاد السودان ، ومنهم البربر والبجة .

وذكر صاحب الشجرة : أن كوش أبو الحبش ، وأنه كوش بن حام ، وأنه أعقب من نمرود أبى ملوك بابل ، ومن أحويلا وهو الواحات ، ومن سُفنا وهو أبو زغاوة ، ومن سبا ، ومن سفخا : وهو أبو الدمدم ، ومن رعما وهو أبو البقاقو من السودان ، والعقب من رعما هذا من سبا أبى الهند ومن دادان أبى السند .

وذكر أبو المنذر النسابة أن كنعان بن حام أعقب من حماة ، وحمص ، وارواد ودى وطرابلس ، وصيدون ، وهى صيداء ، وحاث ، ونفوسة ، وهوارة ، ومُزاتة ، وامورا ، وكركاسى ، ومزاتة من البربر .

قال الجوّانىّ : وهذا كلّه بيّن الخلاف بين النسابين ؛ ومن النسابين من يلحق لَواتة وهم ولد بَرّ بالبربر هذا بن كنعان بن حام ، ومن اللواتيّين من يقول فيهم : إنهم قيس ، ويعبرون أنهم من ولد جابر بن بَغيض ، بن رَيْث ، بن غَطَفان ؛ وأنّ جابرا جدّهم عمّ فزارة . ومن لواتة ومزاتة من يزعم أنهم قوم ناقلة صاروا إلى بلد البربر ، وأن البربر إنما هم هوّارة ، وصَنْهاجة ، وأن أباهم تزوّج آمرأة منهم يقال لها : تصوين ، فنُسبوا إلى أمهم ، وهوّارة تزعم أنهم قوم ناقلة من يمن جهلوا أنسابهم .

وولد لَوَاتة بن بَرّ : وهو لَوَاتة أربعة أفخاذ : وهم زُنَّارة ومَصَّانا ونَيْطا وتَطُوفَا، ولكلّ فخذ من هـذه الأفخاذ عدّة عشـائر، حصل الإضراب عن ذكرها رغبـة فى الأختصار . فلنرجع إلى عمود النسب فنقول :

إن عمود النسب الشريف من سام بن نوح فى ٱبنه أَرْفَخْشَذ بن سام، وأمه من بنات الملوك .

وكان لسام من الأولاد غير أَرْفَخْشَذ : إرم ولاوَذ وأَشُوذ وغُلَيم وماش (والموصل ولد وأبو الأرمن وخُوزِستان أولاد سام)[1] . وفيهم خلاف عند النسابين .

والعقب من إرم بن سام من عَوص وجاثَر وماش وأهلُوا وإيران أولاد إرم .

فالعقب من أهلوا بن إرم بن سام : قادسان .

والعقب من أكراد[2] جدّ القبيـلة المعروفة بالأكراد، فى قول أكثر النسّابين . ومن عشيرة القبيلة من يذكر أنهـم من بنى عمرو بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن العبسىّ كما نذكره فى بنى هوازن .

وفى الأكراد عدّة بطون : كالحَلالِيّة والمروانيّة وغيرهما .

وقد ذكر بعض النسابين أن كُرد بن مُرد بن يافث بن نوح . وفى ذلك خلاف .

والعقب من عَوص بن إرم بن سام : عاد، وبه سمّيت عاد إرم .

والعقب من ماش بن إرم بن سام من نَبِيط : وهو نَبَط سواد العراق .

---

(١) هكذا فى الأصل بحروفه وجاء فى "العبر" أن بنى أشوذ هم أهل الموصل وبنى غليم أهل خوزستان، ولعله الصواب .

(٢) لعله والعقب من إيران فى كرد الخ، أنظر "العبر" .

والعقب من جاثَر بن إرم : ثمود وجَديس . فالعقب من ثمود بن جاثَر : فالِج وهَيلع وبَنوق وأَرام ؛ من ولده صالح النبيّ عليه السلام ٱبن أسف بن كَماشِج بن أرام بن ثمود .

والعقب من لاوَذ بن سام : عِمْليق وهو أبو العمالقة والفراعنة والجبابرة بمصر والشام ، وطَسم بن لاوَذ وأُميم بن لاوذ . وفرعون موسى : هو الوليد بن مصعب ٱبن أَشْمير بن الهُون بن عمليق بن لاوذ بن سام .

وولد الفرس أَشُور[1] بن سام : تَيرش وهم الفرس ؛ وبهم سُمّيت فارس ؛ ومنهم الأكاسرة .

وولد غُلَيم بن سام : خُوزان وهم الخُوز الذين مساكنهم بلاد الأهواز مما يلى بحر الصين .

فلنرجع إلى سرد عمود النسب فنقول : إن عمود النسب منه فى شالَخ[2] بن أرفخشذ وكان له من الأولاد غير شالَخ مالك وقَينان ٱبنا أرفخشذ . قال : وزعموا أن قَينان أوّل من نظر فى علم النجوم بعد الطوفان وٱستنبط ذلك من تَنّورِ صُفْر كان فيه علمُها قبل الطوفان ، ودُفن فى الأرض فٱستخرجه وعَلِمَ مافيه .

والعقب من شالَخ فى ٱبنه عابَر بن شالخ ، وعابر : هو هود النبيّ عليه السلام ؛ وأمّه مَرجانة وهو جماع النسب . وله من الأولاد : فالغ ، وفيه عمود النسب ، وهو أبو قريش وقحطان ويَقْطُن . فولد يقطن بن عابر : جُرْهُم بن يقطن ، كانوا ولاة البيت الحرام فمكثوا ما شاء الله ، ثم ٱستحلّوا المحارم ، وكثرت فيهم المآثم ، فأخرجهم الله تعالى من جوار بيته ، ورماهم بالفناء فلم يبق منهم أحد . وفيهم يقول القائل :

* وبادوا كما بادت بقيّةُ جُرهُمِ *

---

(١) هكذا بالأصل وفى "العبر" : أنهم من ولد إيران بن أشوذ بن سام بن نوح - وفى ٱبن الأثير أنهم بنو فارس بن تيرش بن ماسور بن سام .

(٢) وردت هكذا فى كل المصادر التى يعتمد عليها فى النسب ووردت فى الكتاب المقدس فى سفر التكوين (شالح) بالحاء المهملة .

وقحطان بن عابر هو أبو اليمن كلها، وجذم نسبها .

وولد قحطان هم العرب المتعربة ؛ إذ العرب ثلاث فرق : عاربة ومتعربة ومستعربة .

فأما العاربة فهم تسع قبائل من ولد إرم بن سام بن نوح : وهم عاد ، ثم ثمود ، ثم أُمَيم، ثم عَبِيل، ثم طَسْم، ثم جَدِيس، ثم عِمْلِيق، ثم جُرْهُم، ثم وَبَارِ . فعاد وعبيل ابنا عوص بن إرم بن سام بن نوح، وطسم وعمليق وأميم : بنو لاوذ بن سام؛ وثمود وجديس ابنا جاثر بن إرم بن سام ؛ ووبار وجرهم ابنا قالغ بن عابر : فهذه العرب العاربة . (١٠٥)

وأما المتعربة فهم بنو قحطان بن عابر الذين نطقوا بلسان العرب العاربة وسكنوا ديارهم .

وأما المستعربة فهم بنو إسماعيل بن إبراهيم : وهم بنو عدنان بن أُدَ .

قال الشريف الجوّاني : وهذا مختصر من نسب اليمن . قال : إن العقب من قحطان ابن عابر من يَعْرُب بن قحطان : وهو الذى زعمت يمن أن العرب إنما سميت عربا به وأنه أوّل من تكلم بالعربية ونزل أرض اليمن فهو أبو اليمن كلّها .

وذكر بعض النسّابين أن حضرموت بن قحطان ، وإليه يُنسب كلّ حضرميّ . وقيل . حضرموت من ولد حمير، وإنه حضرموت بن عمرو بن قيس بن معاوية ابن جُشَم بن عبد شمس بن وائل بن الغَوْث بن قُطْن بن عَرِيب بن زُهَير بن أَيْمن ابن الهَمَيْسع بن حِمْير . قال : وعلى ذلك اعتماد شيوخنا فى النسب .

وقال آخرون : هو حضرموت بن يقطان بن عابر .

فولد يَعْرُب بن قحطان : يَشْجُب ؛ فولد يشجب بن يعرب : سبأ واسمه عبد شمس ؛ وإنما سُمى بسبإ لأنه أول من سَبَى من العرب ، فولد سبأ بن يشجب : حِمْير وكَهْلان .

وقالت طائفة من النسّابين : ومِراء بن سبإ . فولد مرّاء بن سبإ : شعبان قبيلة وصَرِيحان قبيلة ، ولهم عدد ومدد .

وولَد حمير بن سبإ بن يشجب : مالكا وعامرا وعوفا وسعدا ووائلة وعمرا وهميسعا .

فأما عمرو بن حمير فهم آل ذى رُعَين ملوك اليمن : وهم بنو الحارث بن عمرو آبن حمير .

ومن النسّابين من ينسب ذا رُعَين الى أنه ولد زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جُشَم بن عبد شمس بن وائل بن الغَوْث بن قُطْن بن عَرِيب بن زهير بن أيمَن بن الهَمَيْسع بن حِمْير : وهم عشيرة ذى أصبح وعشيرة سيف بن ذى يزن .

قال : وشيوخنا فى النسب ينسبون التابعة الملوك إلى أيمن بن هميسع بن حمير ولا خلاف عندهم فيه وأنهم يرجعون إلى أيمن .

وأما عامر بن حمير، فمنه قبائل يَحْصُب كلّها، وهو يحصب بن دُهمان بن عامر بن حمير . قال : ومن شيوخ النسب من قال : يحصب بن ذى يزن بن ذى أصبح بن زيد بن الغَوْث بن سعد بن عوف بن مالك بن زيد بن سَدَد بن زُرعة ، وهم حمير الأصغر .

وأما هَمَيْسَع بن حمير فمن ولده : صَنْهَاجَة : القبيلة المشهورة المعقبة بالمغرب وفى ذلك خلاف ؛ وهى من بنى زُهَير بن أَيمن بن هَمَيْسَع بن حِمْير ، وصَنْهَاجة آسم الجدّ للقبيلة كلها : وهو صَنْهَاجَة بن المثنّى بن المِسْور بن يَحْصب بن ذى يَزَن بن ذى أَصْبَح بن

زيد بن الغَوْث بن سعد بن عَوْف بن عَدِيّ بن مالك بن زيد بن سدد بن زرعة، وهم حِمْير الاصغر بن سَبَإ الأصغر بن كَعْب بن كَهْف الظلم، بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جُشَم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قُطْن بن عَرِيب بن زُهَير بن أَيْمَن بن هَمَيْسَع المذكور .

قال: وإلى ذى أَصْبَح هذا يرجع الإمام مالك بن أنس الأَصْبَحيّ . وقيل: ذو يزن آبن أسلم بن زيد، وذو أصبح بن مالك بن زيد .

قال : ومن عمرو بن قيس بن معاوية بن جُشَم بن عبد شمس هذا الذى فى عمود النسب ثلاث بطون غير سهل بن عمرو : وهم شَعْبان بن عمرو وحَيْوان بن عمرو وحضرموت بن عمرو ؛ وحضرموت هذا هى القبيلة التى يُنسَب إليها كلّ حضرميّ وقد تقدّم ذكره .

وأما سعد بن حمير، فمنه السَّلَف البطن المشهورة، وأَسْلم بطن : وهما آبنا ربيعة آبن سعد بن حمير .

وأما وائلة بن حمير، فمنهم السَّكاسِك : وهم بنو زيد بن وائلة بن حمير، وهى غير سكاسك كندة .

وأما مالك بن حِمْير فمن ولده قُضاعة : وهم قُضاعة بن مالك بن مُرَّة بن عمرو بن زيد بن مالك بن حمير البطن المشهورة على ماذكره. وقيل: إنها من ولد مَعَدّ بن عَدْنان وفى ذلك يقول القائل :

أبوكم مَعَدّ كان يُكنَى ببكره * قُضاعةَ ما كنّى به من تمجمجا.

ومن قضاعة ثلاث بطون : وهم عِمران بن الحاف بن قضاعة وعمرو بن الحاف وأَسلَمُ بن الحاف بن قضاعة .

فأما البطن الأولى من قضاعة : وهم ولد عمران ، فأعقب حُلْوان بن عِمران بن الحُلف بن قضاعة من خمس قبائل : وهم تَغلِب الغَلْباء، ويقال : تَغلبىّ قُضاعىّ أو يمنىّ، يراد به هذا الأب ؛ وتَغلبىّ مَعَدّىّ أو نِزارىّ، فيراد به تَغلِب بن وَائل بن قاسِط الذى فى أَسَد بن رَبيعة بن نِزار؛ وعَشْم بن حلوان، وزَبّان بن حلوان، وعمرو بن حلوان وهوْ سَلِيح وتَزيد بن حُلوان (بالتاء باثنتين من فوق وفتحها) .

والعقب من تَغلِب بن حُلْوان بن عِمْران بن الحاف بن قُضاعة : وَبَرَة بن تَغلِب .

والعقب من وَبَرة بن تَغلِب من خمس أفخاذ : كَلْب بن وَبَرة، وإليه يُنسب كلّ كَلْبىّ، وفيهم عدة أفخاذ وعشائر : كبنى عَوف وبنى ضَمْضَم وبنى غُلَيم وبنى زهير وبنى كِنَانة، والجميع عشائر يرجعون إلى عُدْرة بن زيد الله بن رُفَيدة بن ثور بن كلب، وعُرَيْنة بن ثور بن كلب بن وبرة، وإليه يرجع كل عُرَنىّ، وأَسَد بن وَبَرة، والبُرَك ابن وَبَرة، والنَّمِر بن وَبَرة، والتغلب بن وبرة ، وفهد، وضبع ، ودبّ، وسِيد، وسرحان ، وذئب أولاد وَبَرة بن تَغلِب الغَلْباء .

فمن أسد بن وَبَرة : بنو القَيْن بن جَسْر بن شَيْع الله بن أسد ، وتَنُوخ : وهو مالك بن زهير بن عمرو بن فَهْم بن تَيْم الله بن أَسَد ؛ والى تَنُوخ هذا يُنسب كلّ تَنُوخىّ؛ وإليه يرجع أبو العلاء المَعَرّى الشاعر .

وأعقب نَمِر بن وَبَرة بن تَغلِب فى ثلاث أفخاذ : خُشَيْن، وإليه يرجع كلّ خُشَنىّ وهو نُمَيْر، منهم أبو ثَعْلَبة الخُشَنىّ الصحابىّ رضى الله عنه ؛ ومَشْجَعة بن تَيْم بن النَّمِر بن وَبَرة، وإليه يرجع كلّ مَشْجَعىّ، وغَاضِرة بن النَّمِر وعاتية بن النمر إلا أنهما دخيلان فى سُلَيم . قالوا : عاتية وغاضرة ابنا سليم بن منصور .

وأما زَبّان بن حُلْوان فأعقب من جَرْم بن زَبّانَ، واليه يرجع كلّ جَرْميّ . وفى جَرْم عدة بطون : منها مَلَكان بن جَرْم بفتح الميم واللام ؛ بطن .

وأما عمرو بن الحاف بن قضاعة فأعقب من ثلاث أفخاذ : بَلِيّ بن عمرو، وبَهْرَاء ابن عمرو، وحَيْدان، وقيل: حُدّان بن عمرو؛ والى بَلِيّ هذا يُنسب كلّ بَلَوِيّ ككعب ابن عُجْرة البَلَوِيّ، وبنو العَجلان، وبنو أنَيف، وبنو عصية[1] : وهم كلّهم حلفاء الأنصار: بنى عمرو بن عوف من الأوس وهى قبائل من بَلِيّ فى الأنصار، منهم: المُجَذَّر ابن ذِياد وطلحة بن البرّاق، وأبو بُرْدة بن نيار الصحابيّ بَلَوِيّ حليف الأنصار واسمه هانئ .

وأما بَهْرَاء بن عمرو بن الحاف بن قُضاعة، فإليه يُنسب كلّ بَهْرَانِيّ كالمِقْداد بن الأَسْوَد الكندىّ ولم يكن كنديّا ولكن كان بَهْرَانيّا قُضاعيّا : لأنه المِقْداد بن عمرو بن ثَعْلبة بن مالك بن رَبيعة بن ثُمامة بن مطرود بن عمرو بن سعد بن لؤىّ بن ثعلبة ابن مالك بن الشَّرِيد بن أبى أهون بن قيس بن دُرَيم بن القين بن أهود بن بهراء . وإنما قيل المِقْداد بن الأَسْود لأن الأَسْود بن عبد يَغُوث بن وهْب بن عَبْد مَنَاف ابن زهرة تبنّاه لحلف كان بينهم فنُسب اليه ، وكان أبوه عمرو حليفا فى كندة . وفى بَهْراء بطون .

وأما حَيْدان، ويقال : حُدّان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة، فمن بطونه خمس: عَريب بن حيدان، وعُرَيْد بن حيدان، وتزيد بن حيدان؛ واليه تُنسب الثياب التَّزِيدِيّة، ومَهْرة بن حَيْدان . وإلى مَهْرة هذا يُنسب كلّ مَهْرىّ، وفى مَهْرة أفخاذ، وحَيَادَة بن حَيْدان .

(١) هكذا فى الأصل، وفى الجوّانى : "عُصَيْنة" .

وأما أَسْلَم بن الحاف بن قضاعة، فأعقب من نخذين: حَوْتكة وسُود؛ فأما سُود ابن أسلم بن الحاف، فأعقب من زيد وليث ابنى سود، وأعقب زيد بن سود من أربع بطون: جُهَيْنة، واليه يرجع كلّ جُهَنىّ، ونَهْد: رهط أبى عثمان النَّهدىّ؛ واليه يرجع كلّ نَهْدىّ، وسَعْد هُذَيْم، وعُذْرة؛ واليه يرجع كلّ عُذْرىّ أولاد زيد بن سود بن أَسلَم بن الحاف بن قضاعة.

وقال ابن الكلبىّ: عُذْرة بن زيد اللات بن رُفَيْدة بن كلب بن وَبَرة.

فأما جُهَيْنة بن زيد، فرهط عُقْبة بن عامر الجُهَنىّ الصحابىّ. وفى جُهَيْنة الحُرْقة وهم بنو أَحْمَس بن عامر بن مُودَعَة بن جُهَيْنة.

وفى نَهْد بن سُود المقدّم ذكره: بنو حُرْقة بن خُزَيْمة بن نَهْد.

وفى عُذْرة بن زيد بن سُود بن أسلم: بنو ضِنَّة بالنون بن عَبْد بن كبير بن عُذْرة بن زَيْد ابن سُود بن أَسْلُم بن الحَاف بن قُضَاعَة.

ومن ولد لَيْث بن سُود بن أَسْلم: بنو عِلَّة بكسر العين مشدّدة اللام بن غَنْم بن سَعْد ابن زَيْد بن لَيْث بن سُود، وفى سَعْد هُذَيْم بن زيد بن سُود: بنو عِلَّة بن غَنْم ابن ضِنَّة بن سَعْد هُذَيْم بن زَيْد بن سُود بن أَسْلُم.

قال: فهذا نهاية الاختصار فى نسب حِمْير. وهذا ولد كَهْلان أخيه.

قال: وولد كَهْلانُ بن سَبَإ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطَان بن عابر عليه السلام: زيدا، فولد زَيْد بن كَهْلان بن سَبَإ بن يَشْجُب بن قَحْطَان: مَالِكًا وعَرِيبًا وهما نخذان.

فالعقب من عَرِيب بن زَيْد بن كَهْلان من يَشْجُب.

والعقب من يَشْجُب بن عَرِيب بن زيد بن كَهْلان من زيد بن يَشْجُب .
والعقب من زيد هذا : أُدَد بن زيد بن يَشْجب .

والعقب من أُدَد فى طَيِّئ بن أُدَد ، واسمه جُلْهُمة ؛ وهو البطن العليا ، واليه ينسب كل طائىّ ، والأَشْعَر بن أُدَد ، واليه يرجع كل أَشْعَرى ، واسم الأَشْعَر نَبْت ، وإنما قيل له الأَشْعَر : لأنه وُلد أَشْعَر الجسد ، ومالك بن أُدَد وهو مَذْحِج ، واليه يرجع كل مَذْحِجىّ . وقيل : إن مَذْحِج أُمّ مالك بن أُدَد فنُسب اليها ولدها . وقيل : بل هى أَكمة حمراء وُلد عليها مالك ، فعُرف بها ولدُه . وقيل : بل اجتمعوا على الأَكمة باليمن ، والأَكمة تسمى مَذْحِج ، فقالوا : تعالوا نجعل مذحِجا أُمًّا .

وذكر ابن عبد البرّ فى روايته : أن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "أكثر القبائل فى الجنة مَذْحِج" : ومَذْحِج إحدى الجماجم التسع من جماجم العرب ، سُمُّوا جماجم لأن ميلادها استوى بميلاد قبائل بإزائها من أفناء العرب ، ثم تفرّعت منها قبائل اجترأت بأسمائها والانتساب إليها فبعدت عنها واكتفت بانتسابها إليها . ومُرّة بن أُدَد : أربع أبطن لأدد .

والعقب من طيِّئ بن أُدَد بن زَيد بن يَشْجُب بن عَرِيب بن زيد بن كَهْلان من فخذين : فُطْرَة والغَوْث ابنى طيِّئ .

(١٠٧) والعقب من فُطْرة بن طَيِّئ بن أُدَد من سَعْد بن فُطْرة . ومنه فى خَارِجَة بن سَعْد ومنه فى جُنْدَب ، ومنه فى رُومَان بن جُنْدَب .

والعقب من رُومَان بن جُنْدَب بن خَارِجَة بن سَعْد بن فُطْرَة من بطنين : ذُهْل وثَعْلَبة ، وهما الثَّعْلَبَتَان وجماعة صغار .

والعقب من الغَوْث بن طَيِّئ من عَمْرو بن الغَوْث .

والعقب من عَمْرو بن الغَوْث بن طَيِّئ من ثُعَل : بطن ، ونَبْهَانَ : بطن ، وهِنَاء آبن عَمْرو : بطن ، وثَعْلَبَةَ بن عَمْرو : بطن ، ومَزْرُوعَة بن عَمْرو : بطن ، وحَسَّانَ بن عَمْرو : بطن ، وزَيْد بن عَمْرو : بطن ، وخُشَين بن عَمْرو : بطن ؛ وإلى نَبْهَانَ هذا ينسَبُ كل نبهانىّ .

والعقب من نَبْهَانَ بن عَمْرو بن الغَوْث بن طَيِّئ من آبنيه : سَعْد ونَائِل ، ومن بنى سَعْد بن نبهان : بنو اليُسْر بن ثَعْلَبَةَ بن نَصر بن سَعْد بن نَبْهان : فَخِذ ، وإلى هِنَاء آبن عمرو هذا يُنسب كلّ هنائىّ .

والعقب من ثُعَل بن عَمْرو بن الغَوْث (١) . فأما سَلَامَانُ فالعقب منه من عُنَيْز وثَعْلَبَةَ وسل (٢) أولاد سلامان لصلبه ؛ وعُنَيْز هذا جدّ القبيلة المشهورة ؛ وثَعْلَبَةُ هذا جدّ ثَعْلَبَةَ طائفة من العربان المجاورين للدّارُوم من الشام [وهم] بطنان : دِرْما وزُرَيْق ، فالعقب من عُنَيْز بن سَلَامَانَ بن ثُعَل بن عَمْرو بن الغَوْث بن طَيِّئ من فخذين : فُرَيْر بن عُنَيْز ، له عدد ، وعُتُود بن عُنَيْز .

والعقب من عُتُود ، من مَعْن وبُحْتُر آبنيه ، وإليهما يرجع كلّ مَعْنىّ وبُحْتُرىّ ، والشاعر البُحْتُرىّ منهم .

والعقب من مَعْن بن عُتُود من ثلاث : ثُوَب ، ووُدّ ، ومَالِك : بنى مَعْن بن عُتُود .

---

(١) أسقط الناسخ الخبر وهو " من سلامان وجرول فأما الخ " كما يؤخذ مما يأتى فى التفصيل فتنبه .

(٢) كذا بالأصل . ولعلها محرفة عن "نابل" أنظر نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب ؛ للقلقشندى . فى الكلام على بنى نابل .

والعقب من ثُوَب بن مَعْن : غَنْم له عدد ، وأبو حَارِثَة فأعقب من غَنْم بن ثُوَب بن مَعْن بن سِلْسِلَةَ الفخذَ التى يرجع إليها كلّ بنى سِلْسِلَة المَعْنِيّون .

وأما بُحْتُر بن عُتُود بن عُنَيْز بن سَلَامَانَ فالعقب منه فى تَدُول بن بُحْتُر .

والعقب من تَدُول من ستة أفخاذ : وهم جُدَىّ ، وسَنام ، وأَيْمَن ، وخَيْثم ، وأَعْور ، وسَالِم أولاد تدول .

وأما ثَعْلَبَةُ بن سَلَامَانَ بن مُعَل بن عَمْرو بن الغَوْث بن طَيِّئ فأعقب من عَوْف ابن ثَعْلَبة ، وأعقب عَوْفٌ من فخذين : دِرْمَا وزُرَيْق ، ودِرْما هو عَمْرو بن عَوْف ودِرْما أمّه . فأعقب دِرْما بن عَوْف بن ثَعْلَبة بن سَلَامَانَ من خمس أفخاذ : سَلَامَة والأَحمر وعَمْرو وقَصير والأَوْس : أولاد دِرْما . وأعقب زُرَيْق بن عَوْف بن ثَعْلَبة من فخذين : لُبْنَى والأشعث ولدى زُرَيْق .

وأما جَرْوَلُ بن مُعَل بن عَمْرو بن الغَوْث بن طَيِّئ ، فأعقب من ابنيه : مُعَاوِيَة ورَبِيعَة ، فأعقب مُعَاوِيَةُ بن جَرْوَل من سِنْبِس[1] : القبيلة المشهورة ، وعَدِىّ ولَوْذَان : أولاد مُعَاوِيَة .

والعقب من سِنْبِس بن مُعَاويه بن جرول من ثلاث أفخاذ : عَمْرو ، ولَبِيد ، وعَدِىّ ؛ فأما لَبِيد بن سِنْبِس ، فأعقب من حِرْمِز ، فأعقب حِرْمِز من يَحْصب وجَرْم ؛ وعُقْدَةُ أولاد لَبِيد فخذان . وإلى لبيد هذا تُنسب العرب السَّنَابِسَةُ الذين بالبحيرة من أعمال مصر ، وهم من فخذ يقال لها : قُنَّةُ بن خَلَّاد .

وأما عَدِىّ بن سِنْبِس بن مُعَاوية ، فأعقب من أَبَان بن عدِىّ ، وهو فخذ .

(١) ضبط فى الأصل بضم السين والباء وكذا فى صبح الأعشى : وضبطه السويدىّ فى سبائك الذهب بفتح السين . وذكر فى القاموس أنه بالكسر وكذا هو فى الصحاح واللسان وكتاب المعارف لابن قتيبة .

والعقب من رَبيعة بن جَرْوَل بن أبي أَحْزم: هَزومة، وأعقب هَزومة من أَحْزَم، وأعقب أَحْزَم من عَبشَمْس مكسور الباء متصلا .

وأما مَذْحِج : وهو مالك بن أُدَد بن زَيْد فأعقب من أفخاذ أربعة : سَعْد العَشيرة، ومُراد : هو يُحابِر، وعَنْس، ولُمَيس، وجَلْد أولاد مالك وهو مَذْحِج . وإلى مُراد هذا يُنسب كلّ مُرادىّ، وسُمّى مُرادا لتمرده، وإلى عَنْس يُنْسب كلّ عنسىّ، منهم عَمّار بن يَاسِر الصحابىّ والأسود العنسىّ الكذّاب .

والعقب من سَعْد العشيرة بن مالك من ثلاث عشرة فخذا : وهم زَيْد اللات، وعَابِد اللات، وعَبْد اللات، وجا[1]، وجُعْفِىٌّ، وجَرْد، وحَكَم، وأَوْس اللات، ونَمِرة، وأَنَس اللات، وسَعْد اللات، وعَمْرو. وصَعْب : أولاد سعد العشيرة لصلبه. فإلى جعفىّ هذا يُنسب الجعفيّون، وإلى نمرة يُنسب النمريّون، وفى نمرة فخذان : جَدَا، على وزن ندا، وسِلْهِم ابنا نمرة .

وأما جُعْفِىّ فالعقب منه فى فخذين : مَرّان، وحَرِيم ابنى جعفىّ بن سعد العشيرة، يرجع بنو سِلْهِم بن حكم[2] فخذ بكسر السين وإلغاء .

وأما صَعْب بن سعد العشيرة، فالعقب منه فى زُبَيد، واسمه مُنَبِّه، وإليه يرجع كل زبيدىّ، وفيهم عدّة أفخاذ منهم بنو حرب وغيرهم . وقيل للفخذ زُبَيْد وهم بنو منبّه الأكبر لأن مُنَبِّها الأصغر بن صَعْب بن سعد العشيرة بن مالك بن أُدَد قال : من يَزْبُدُنى رِفدَه؟ فأجابه إلى ذلك أعمامه كلهم بنو مُنَبِّه الأكبر، فقيل لهم جميعا زُبَيْد . ومن بنى زُبَيد مَازِن بن منبّه .

(١) كذا بالأصل وصوابه "خارجة" .

(٢) كذا بالأصل والكلام مبتور .

والعقب من مُرَاد بن مَذْحِج من نخذين : نَاجِية وزاهر ابنى مُرَاد بن مَذْحِج .

والعقب من ناجية : جَمَل بن كِنَانة بن نَاجِية بن مُراد : رهط هند بن عمرو الجَمَلىّ الذى قتله ابن يَثْرِبى فى يوم الجمل ؛ وجمل هـذه رهط سِيفَوَيْهِ القاص . قال : وينزلون بنهر الملك ؛ وعُطَيف بن ناجية بن مراد رهط فَرْوَة بن مُسَيْك العطيفىّ الصحابىّ ، وسَلْمَان بن يشكُر بن ناجية بن مراد رهط عُبَيْدة السَّلْمانىّ ؛ وهو جاهلى إسلامىّ من كبار التابعين . ١٠٨

ومن نَاجِية : قَرَنُ بن رَدْمَانَ بن نَاجِية بن مُرَاد : رهط أُوَيْس القَرَنىّ نفعنا الله والمسلمين ببركته .

وفى مراد ، تَجُوب : وهو رجل من حِمْيَر ، كان أصاب دَمًا فى قومه فلجأ إلى مُراد فقال : جئت اليكم أجوبُ البلاد لأحالفكم ؛ فقيل له : أنت تَجُوب ، فسُمِّىَ به ؛ وهو فى مُرَاد رهط عَبد الرحمن بن مُلجَم المُرادىّ التَّجُوبىّ لعنه الله ، قاتل علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه .

وأما جَلْد بن مَذحِج ، فاعقب منه عِلَّة بن جَلْد ؛ والعقب من علة من ثلاث أفخاذ : عَمْرو وعَامِر وحَرْب . فمن بنى حرب بن علة : رَهَاء : وهو رهاء بن منبّه بن حرب ابن علة : منهم مالك بن مُرَارة الرَّهاوىّ الصحابىّ ، ويَزِيد بن شَجَرة الرّهاوىّ ، وصُدَاء : وهو يزيد بن حرب بن علة ، منهم زِيَاد بن الحارث الصُّدَائىّ الصحابىّ .

وأما عَمْرو بن علة بن جَلْد بن مَذْحِج ، فالعقب منه ثلاث أفخاذ : النَّخَع القبيلة المشهورة ، وكَعْب ، وعَامِر .

فأما النَّخَع بن عَمْرو ، فاعقب منه فخذان : مَالِك وعَوْف ابنا النَّخَع .

وأما كَعْب بن عَمْرو، فأعقب منه فخذان : الحَارث ، وهم بَلْحَارِث بن كَعْب ورُعَيل بن كَعْب .

وأما عَامِر بن عَمْرو بن علة، فالعقب منه فى فخذ واحدة : وهى مُسْلِيَة بن عَامِر .

وأما مرّة بن أُدَد بن زَيْد بن يَشْجُب بن عَرِيب بن زَيْد بن كَهْلَان بن سَبَا ، فأعقب من فخذين : مرهم والحارث آبنى مرّة بن أدد؛ فالعقب من الحارث من فخذين : عَدِىّ ومَالِك ولديه . فالعقب من مَالك بن الحَارِث بن مُرّة خَوْلَان بن عمرو بن مالك وإليه يُنسب كل خَوْلَانىّ ، ومَعَافِر بن يَعْفُر بن مالك بن الحارث آبن مُرّة بن أدد بن زيد بن يَشْجُب ؛ وإليه ترجع المعافر فى أنسابها ، ولهم خطة بمصر، ومنهم فخذ بنى قَرَافَة وهى أمهم : وهم الذين عُرفتْ بهم القَرافةُ بمصر ، ومسجدهم المسجد المعروف بمسجد الرحمة بالقَرافة ؛ وهم بنو عِضّ بن سيف بن وائل بن الحرىّ بن المَعَافر بن يعفر .

وأما عَدِىّ بن الحارث بن مُرّة فأعقب من أربع أبطن لصلبه : وهم عُفَيْر ولَخْم : قبيلة ؛ وآسمه مالك بن عدىّ ، وجُذَام بن عدىّ : قبيلة ؛ وآسمه عامر، والحارث بن عدىّ وهو عَامِلة : قبيلة . وإنما سُمِّيا لخما وجُذاما : لأن أحدهما لَخَم وجهَ أخيه فسمّى لخما ، واللخمة : اللطمة ، وجَذَم الآخرُ إصبعَ أخيه فقطعها فسُمِّى جُذاما : وهما القبيلتان المشهورتان ؛ والحارث بن عدىّ وهو عاملة وإليه يرجع كلّ عاملىّ ، وعاملة وهى بنت مالك بن وَدِيعَة بن قُضَاعة ؛ وهى أم ولد الحارث المذكور .

فأما عُفَيْر بن عدىّ بن الحارث فأعقب من ثَوْر بن عُفَير، وثَوْر هو كِنْدة الملوك فأعقب كِندة من فخذين : مُعَاوِيَة وأَشْرَس آبنى ثور . والعقب من معاوية هذا من آبنيه مُرَتِّع وزيد؛ فمن ولد مُرَتِّع : بنو آمرئ القيس وبنو الرائش وبنو معاوية

الأكرمين وبنو وهب . وبنو بدًّا مشدد، خمسة : بنو الحَارِث بن مُعَاوية بن ثَوْر بن مُرَتِّع . وإلى مُعَاوية بن الحَارِث يرجع امرؤ القيس بن حُجْر بن الحارث بن عَمْرو ابن حجر آكل المُرَار بن معاوية المذكور الكندىّ الشاعر . والنسب إلى امرئ القيس بن الحارث بن معاوية المقدم ذكره : مَرْقسىّ، مسموع عن العرب، وكلّ امرئ القيس غيره فى العرب فالنسب مَرْئىّ بوزن مَرْعىّ .

والعقب من أَشْرس بن ثَوْر وهو : كِندة بن عُفَير بن عدىّ : السَّكُون بن أشرس، والسَّكاسك : وهو حُمَيس السَّكْسَك بن أشرس ، وإليهما يُنسب السَّكُونيون والسَّكْسَكِيّون؛ ومن السكونيين معاوية بن حُدَيج السكونىّ الصحابىّ، وحاشد بن أشرس، ومالك بن أشرس .

والعقب من السكون بن أشرس من نفذين : شَبِيب وعُقْبة ابنى السَّكون . أعقب شبيب بن السكون من أشرس وشُكَامة، فأعقب أشرس بن شبيب بن السَّكون ابن أشرس من عدىّ وسعد : وهم تُجيبُ البطن المشهورة ؛ ولهم خطة بمصر، وعرفوا بتُجيب : وهى أمهم بنت ثَوْبان بن سُلَيم بن رَهاء بن منبّه بن حرب بن علة ابن جَلْد بن مَذحِج .

والعقب من مالك بن أشرس بن شبيب المذكور: الصَّدِف، واسمه عمرو بن مالك، وإليه يُنسب كلُّ صدَفىّ بالفتح كما قالوا : شقَرىّ ونمَرىّ وسلَمىّ : فى شقرة تميم ونمر ابن قاسط وسَلَمة من الأنصار . ومن النسّابين من قال: الصدف هو سِماك بن عمرو ابن دُعْمىّ بن حضرموت .

وأما لخم بن عدى، فأعقب من نفذين وهما لصلبه : نُمارة وجَدِيلة، ويقال: جُديلة؛ وذكر الوزير أبو القاسم بن المغربىّ أنه قيل فيها : جُدَيْلة بالياء بواحدة .

والعقب من نُمارة بن لخم بن عدىّ بن الحارث بن مُرّة بن أُدَد بن مالك بن نُمارة نخذ، وحبيب بن نمارة، وهو عَمٌّ [وعدىّ بن نُمارة[1]] سُمّى بذلك لأنه أوّل من أعتمّ، وهو الذى عمّم ملوك العراق؛ ولهم إخوة صغار: كالوجفا بن نُمارة وقَبيصة وعمرو وعوف ومجن أولاد نُمارة أعقبوا؛ ومن يُنسب اليهم يُعزَى لجدّهم لخم وأمّهم نُمارة.

ومن بنى مالك بن نمارة الفخذ الأولى: بنو راشدة بن مالك بطن مشهورة.

ومن بنى عدىّ بن نُمارة، وهم عَمّ بن لخم: بنو نَصْر بن ربيعة من ربيعة بن نصر.

ومن ولد نصر بن ربيعة: النعمان بن المنذر بن ماء السماء: وهى أمّه، بضمّ ما فى غسّان، لأن غسّانَ عامرا ماءَ السماء أبٌ فهو ثمّ "أبٌ" وهاهنا "أمٌّ"، وماء السماء هاهنا هو امرؤ القيس بن النعمان بن امرئ القيس بن عمرو بن عدىّ بن نصر بن ربيعة. قال: وفى ذلك خلاف.

ومن بنى حبيب بن نُمارة: بنو الدار بن هانئ بن حبيب بن نُمارة، ينتسبُ كلُّ دارىّ إلى هذه البطن، وهم رهط تميم الدارىّ الصحابىّ المعروف بالمختطف، وقد انقرض تميم الدارىّ ولا عقبَ له.

وأما جَرِيلة[2] بن لَخْم ويقال: جُرَيلة، فأعقب من أَرَاش وحجر وحُلَيل ويشكُر وعمرو، أولاد جزيلة بن لخم. فمن بنى أراش بن جزيلة أَرْش بن أراش لا غير؛ ويقال: أُرَيْش مصغّرا.

---

(١) الزيادة عن "السبائك" وتؤخذ أيضا من كلامه الآتى قريبا.

(٢) كذا فى الأصل وفى السبائك أيضا بالزاى وأوردها القاموس فى مادة (ج ز ل) وهو مخالف لما سلف له قريبا من قوله (جديلة) فتنبّه.

والعقب من أَرْش بن أَراش من لخمين : غَنْم وحَدَس — بالحاء المهملة والدال المهملة المحركتين — والحمراء القبيلة ؛ لها خطة بمصر ، والأشعث لخم ، وهذه الحمراء في غيرها من الحمراء من قُضاعة ، وفَهْم ، وعَدوان ، والأَزْد ، وهُذَيل بن مدركة وبني الأزرق وهم من الروم ؛ ومنهم سُمِّيت الحمراوات .

فأعقب غَنْم بن أُرَيش بن أَرَاش بن جَزِيلة بن لخم من صعب وفَهْم وزِرّ وعمرو : أولاد غنم .

ومن شيوخ النسب من قال : إن النعمان بن المنذر بن ماء السماء بن امرئ القيس ابن المنذر بن النعمان بن امرئ القيس بن عُيَيْنة بن أبي الحرام بن العَمَرَّط بن غَنْم ابن عَوْدة بن عُبيد بن زِرّ المذكور .

والعقب من حَدَس بن أُرَيش بن أراش بن جَزِيلة بن لخم من ربيعة ورَمِيمة .

والعقب من ربيعة بن حَدَس أربع عشائر : مَنارة ، وسعد ، وكعب ، والهُذَيم : بنو ربيعة .

والعقب من هُذَيم هذا من حُدَاد وعامر والحارث : بنى الهُذيم .

والعقب من رميمة بن حَدَس بن أُريش بن أراش بن جَزِيلة من عمرو وجدّه .

والعقب من عمرو بن رميمة هذا : الحارث وصعب وعَلَامة وعدىّ والمنذر وثعلبة .

فأما الحارث بن عمرو فأعقب من أُبَىّ بن الحارث ، فأعقب أُبَىّ من كليب وعدىّ .

وأعقب من كُلَيب بن أُبَىّ [بن] الحارث من أربع أفخاذ : فيض وحارث وغَنْم وعُمَيْت : أولاد كليب .

والعقب من فيض بن كليب من أربع أفخاذ : أبى الشتاء ، ورَقَاش ، وقران ، وصابى : أولاد فيض بن كُلَيب .

والعقب من الحارث بن كليب بن أبىّ من سعد وجدّه . وولد كعب بن غَنْم ثلاث أفخاذ : بنى قرقر بن كعب وبنى بَرّ بن كعب وبنى مُرقّش بن كعب . ومن بنى برّ بن كعب : بنو واسع بن كعب : وهم بنو رومى وزُهَير وزير وحسان وبرّ : أولاد واسع ، كلٌّ منهم فخذ .

والعقب من عُمَيت بن كليب بن أبىّ من دَعْجان وجدّه ، ومن أفخاذه : مُغالة بن دعجان : الفخذ المعروفة فى آخرين .

وأما حجر بن جزيلة بن لخم ، فأعقب من ثلاث أفخاذ : أَزْدة وزُغَر وأَذَبّ . فأعقب أزدة من فخذين : منيع وعوف آبنى أزدة بن حجر . وأعقب زغر بن حجر من مالك بن دَعِن ، وهو الذى آستخرج يوسف الصدّيق عليه السلام من الجبّ ، وله عقب . فهذا مختصر فى نسب لخم .

وأما جذام وآسمه عامر ، فالعقب منه فى بطنين : حَرام وحِشْم آبنى جُذام .

والعقب من حَرام بن جذام من فخذين : إياس ومالك آبنى حرام بن جذام .

والعقب من إياس بن حرام من رَبِيل بن إياس ، ومن سعد بن إياس ، فأعقب سعد هذا من أَفْصَى ، فأعقب أفصى بن سعد بن إياس من فخذين : زيد ومالك آبنى أفصى ، وأعقب مالك هذا من سعد بطن المنسوب اليها بنو سعد جذام ، وإن كان فى جذام عدّة سعود ، لكن هذه ذات القُعُدد والبيت والصيت .

ومن ولد زيد بن أفصى بن سعد بن إياس بن حرام بن جذام: سعد بن مالك بن زيد المذكور: بطن؛ ووائل بن مالك ولَهْبَة؛ وإلى وائل بن مالك بن زيد[1]: يرجع زيد بن زنباع فى نسبه.

والعقب من مالك بن حرام بن جذام، من وائل وسعد. أعقب وائل بن مالك من حُبَيش وجمع ومازن. من ولد حبيش: شُعيب النبيّ عليه السلام: وهو شُعيب بن ثُوَيْب بن حُبَيش المذكور ابن وائل بن مالك بن حَرام بن جذام. وأعقب سعد ابن مالك بن حرام بن جذام من غَطَفان: البطن الأكبر فى جذام. وأعقب غطفان ابن سعد من يامة بن عَنْبَس بن غطفان وغنم بن غطفان. وأعقب يامة بن عنبس ابن غطفان من علّ بن يامة. وأعقب علّ من كعب بن علّ. وأعقب كعب بن علّ من ثلاثة أفخاذ لصلبه: عُبَيد ومطرود وعوف؛ من ولد عبيد بن كعب هذا: الضُّبَيب بن قُرط بن حفيد بن مدلج[2] بن عبيد: فخذ. وأعقب مطرود الضبيب هذا من ثعلبة بن أميّة بن الضبيب: فخذ، وعمرو بن مالك بن الضبيب: فخذ. وأعقب مطرود بن كعب بن علّ من خالد وعمرو ومبذول ونُفَاثة.

فأعقب غنم بن غطفان بن سعد، من نَضْرة بن غنم فى آخرين، فأعقب نضرة ابن غنم بن صَبِرَة الفخذ المشهورة ابن نصر.

والعقب من حِشْم بن جذام من بُدَيل بن حِشم. فالعقب من بديل: بكر وشَنُوءَة ابنى بُدَيل. والعقب من بكر هذا من سود بن بكر. والعقب من سعد: أسود وعمرو

(١) لعل الصواب "روح".

(٢) كذا بالأصل ولم نعثر على صحتها فى كتب الأنساب.

آبنا سود . والعقب من أسعد بن سود بن بكر بن بديل بن حشم بن جذام من فخذين : السَّلْم والهُون آبنى أسعد . وفى سود أيضا : السَّلْم بن مالك بن سود بإسكان اللام فخذ .

والعقب من عمرو بن سود من لَهَبَة وحُبَيش وعِدًا : أولاد عمرو .

فهذا مختصر من نسب جذام .

وأما عائذة : وهم ولد الحارث بن عدىّ بن الحارث بن مرة بن أدد بن يشجب وهو أخو جذام ولخم ، فالعقب من الحارث بن عدىّ المذكور من فخذين : الزهد ومعاوية آبنى الحارث : وهما آبنا عاملة كما تقدم ؛ وزهد : فعل ، من « وهم : شىء زهيد أى قليل .

والعقب من الزهد بن الحارث بن عدىّ من ثلاث أفخاذ : عَوْكَلان وزَحْفان وسَلْمان : بنى الزهد . ومن بنى عَوْكَلان المذكور السَّلم بن ظِبْيان بن أبى عزم بن عوكلان المذكور .

والعقب من معاوية بن الحارث بن عدىّ أخو الزهد خمس أفخاذ لصلبه : ثعل ، وعِجْل ، وسلمة ، وقُرَّة ، وثعابة . قال : وهذا النهاية فى آختصار نسب مرّة بن أدد .

وأما الأشعر بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان ، فأعقب من جُماهير بن الأشعر وله عدد ، وعبد الثريّا بن الأشعر وعبد شمس والأدغم ونُعَيْم : أولاد الأشعر . وأعقب جُماهير وهو جُماهِر بن الأشعر من ناجية بن جماهير له عدد . وأعقب ناجية من وائل بن ناجية وهو البيت .

وهذا مختصر نسب الأشعريّين . ومنهم من الصحابة : أبو موسى وأبو عامر وأبو بُرْزة ؛ وهم فخذ متسع وفيه عدّة أفخاذ وعشائر يطول الكتاب بشرحها .

قال : وهـذا نسب بنى مالك بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب ابن قحطان .

فالعقب من مالك بن زيد من بطنين : همـ نبت والخيار ابنا مالك . والعقب من نبت من الغوث ابنه . والعقب من الغوث بن نبت من عمرو والأزد ، وإلى هذا الأزد يُنسب كلّ أزدىّ .

فمن ولد عمرو بن الغوث : بَجيلة : وهم ولد أنمـار بن أراش بن عمرو بن لحيان ابن عمر وأم الغوث وبجيلة بن أنمـار : وهى بنت صعب بن سعد العشيرة بن مذحج ، وقد قيل : بل هى أم ولد أنمـار .

والعقب من أنمار بن أراش بن عمرو بن لحيان بن عمرو بن مالك بن زيد : خمس قبائل : الغوث وعَبْقر وصُهَيْبة ووَدَاعَة وأفْتَل : وهو خَثْعَم : بنو أنمار بن أراش . قال : وذكر علماؤنا فى النسب أن بَجيلَة هو عَبْقر والغوث وصُهَيبه ، وسُمُّوا بذلك لأجل أمهم بَجيلة ، وأن خَثْعم هو أفتلُ وأمه هند بنت الغافق الأزدىّ ، وسُمِّىَ خثعم باسم جمل كان لآل أنمـار أو لآل أفتل بن أنمار ، وكانوا يسمّونه خثعم . ويقال : بل قيل خثعم لأنهم تَخَثْعموا بالدم ، والأوّل أقرب إلى الصحيح .

والعقب من الغوث بن أنمار من ثلاث أفخاذ : وهم زيد وأَحْمَس وقيس كندة : بنو الغوث . وفى أحمس هذا : أسلم بن أحمس : نخذ ، وفى أسلم بن أحمس بن الغوث : دُهْن . معاوية بن أسلم بن أحمس ، نخذ : رهط عَمّار بن أبى معاوية الدُّهنىّ الصحابىّ .

والعقب من عبقر : بجيلة بن أنمـار بن أراش بن عمرو من ثلاث أفخاذ : قَسْر وعَلَقَة وقَطَن : أولاد عبقر . وفى قسر : عُرَيْنة بن زيد بن قسر ، يقال له : قَسْرىٌّ فى النسب ، ويقال : عُرَنىّ . والى عَلَقَة يرجع كلّ عَلَقِىّ .

والعقب من صهيبة بجيلة بن أنمار بن أراش بن عمرو: أُتَيْد بن خِطام بن صهيبة ابن أنمار : نخذ .

والعقب من زُرعة بن أنمار بن أراش بن عمرو بن لحيان بن عمرو من ثلاث أنخاذ : حُزْرُق وسِمْط وحبيب : أولاد زرعة .

والعقب من خثعم وهو أفتل بن أنمار بن أراش بن عمرو بن لحيان من ثلاث أنخاذ : شَهْران وربيعة وناهِش: أولاد عَقْرَس بن خَلَف بن أفتل وهو خثعم . وفى ربيعة بن أفرس : بنو أكلُب بن ربيعة .

فهذا مختصر كاف فى بجيلة وخثعم .

وأما الأزد بن الغوث (واسمه دِراء : مثل رِداء وقيل : دِرء مثل درع ،) فالعقب من ولده أربع أبطن : وهم مازن وغَسّان ، وغسّان ماء بسدّ مأرب باليمن وقيل : بالمُشَلَّل نزلوا به فنُسبوا اليه . والى غسّان هذا يُنسب كلّ غسّانىّ ، ونصر وعبد الله والهِنوُ بنو الأزد بن الغوث . والى غسّان هذا يرجع الأنصار ، وقد يكون من غسّان من ليس أنصاريّا كثيرا ، ويكون من مازن من ليس غسّانيا .

والذى نزل على غسان من الأزد بعضُ بنى امرئ القيس البِطريق بن ثعلبة البُهْلول ابن مازن وماوية وربيعة وامرؤ القيس : بنو عمرو بن الأزد ، وكُرْز وعامر ابنا ثعلبة البهلول بن مازن بن الأزد .

والعقب من عبد الله بن الأزد بن الغوث من ثلاث أنخاذ : الحارث وقرن وعُدْثان : أولاد عبد الله بن الأزد

والعقب من عدثان[1] هذا من عَكّ وسود ومالك وغالب وكعب . ومن بنى سود آبن عدثان : طاحِيةُ بن سود : نخذ .

والعقب من عك بن عدثان نخذان : الشاهد وصُحارٌ آبنا عَكّ .

(١١١) والعقب من الشاهد بن عكّ : غافق، وإليه يُنسب كلّ غافقىّ، قال : ولهم خطّة بمصر، وساعدة آبنا الشاهد . وقيل : بل هو غافق بن الحارث بن عك بن الحارث آبن عدثان .

والعقب من صُحار بن عك بن عدثان : بَولان وعَبْس وغسّان : أولادصُحارٍ هذا .

وأما نضر بن الأزد ، فأعقب من مالك بن نصر من أربع قبائل : عبد الله وراسب ومَيْدَعان وأكفر من حِمارٍ : أولاد مالك بن نصر بن الأزد . والى راسب ينسب كلّ راسبىّ . وفى بنى مالك راسبيّون أُخَر يأتى ذكرهم إن شاء الله تعالى .

والعقب من عبد الله بن مالك فى كعب بن عبد الله . ومنه فى الحارث بن كعب .

والعقب من الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك من ثلاث أفخاذ : كعب ومالك ونُبَيْشة وهو فاسخة . فمن ولد فاسخة بن الحارث بن كعب : بنو غراء بن شُرَيْق آبن فاسخة ؛ ومن ولد مالك بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر : بنو مَجَاعَة وبنو الأرنب : آبنى مالك .

والعقب من كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر : زَهْران وأَحْجَنُ وعبد الله : أولاد كعب بن الحارث . والى زهران ينسب كلّ زَهرانىّ .

---

(١) ورد فى كل كتب النسب التى تحت أيدينا باسم (عدنان) بالنون وقال عنها صاحب القاموس ما يأتى : « وعك بن عدثان بالثاء المثلثة آبن عبد الله بن الأزد ، وليس آبن عدنان أخا معدّ » .

ومن أفخاذه: دَهْمان بن نصر بن زهران، وغاضرة بن زهران، ودَوْس بن عدثان من زهران، منهم: أبوهريرة الدوسىّ الصحابىّ؛ واسمه عمرو بن عامر، وفى اسمه خلاف.

والعقب من أحجن بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر من ثلاث: أسلم ولِهْب وقرن، أولاد أحجن فمن أفخاذ أسلم هذا: بنو ثُمالة وهو عوف بن أسلم بن أحجن: رهط محمد بن يزيد المبرّد النحوىّ؛ وفيه يقول عبد الصمد ابن المعذّل.

سألنا عن ثُمالة كلّ حىّ * فقال القائلون: ومن ثُمالة؟

فقلت: محمد بن يزيد منهم * فقالوا: زدتنا بهم جهالة.

وأما مَيْدَعان بن مالك بن نصر فمنه أربع أفخاذ: راسب واليه يُنسب الراسبيّون أيضا، ومُنْهِب وحبيب ومعاوية: بنو مالك بن ميدعان.

فهذا مختصر نسب بنى نصر الأزديّين.

وأما الهُنو بن الأزد، فأعقب من سبع أفخاذ: الهُون وبُدَيد ودَهْنة وبَرْقا وعَوْجا وأفكه وحُجْر: أولاد الهنو. فأعقب الهُونُ من فخذين: النَّدَب ونَكل.

وأما مازن بن غسّان بن الأزد فأعقب من فخذين لصلبه: وهما عمرو وثعلبة العنقاء، سُمّى بالعنقاء: لطول عنقه.

فالعقب من عمرو بن مازن بن الأزد فى عدّة أولاد، كلّهم فى الأزد، من جماجمهم: عَدىّ والعاص. فأما العاص فمن ولده: بنو بُقَيلة بن سُنَين بن زيد بن سعد بن عدىّ ابن نمير بن صوفة بن العاص بن عمرو بن مازن، وسُمّى بُقَيلة: لأنه لبس ثوبين أخضرين.

وأما عدىّ بن عمرو بن مازن بن الأزد، فأعقب من عدّة أولاد، من جماجمهم: هند بن هند بن عمرو بن عدىّ وصَبِرة بن عمرو بن صبرة بن حارثة بن عدىّ ومسعود بن مازن بن ذئب بن عدىّ؛ اليه يرجع سَطِيح الكاهن وكلّ مسعودىّ فى الأزد، وجميع بنى عدىّ بن عمرو ينزون الى الأزد.

وأعقب ثعلبةُ العنقاء بن مازن بن غسّان من آمرئ القيس البطريق بن ثعلبة؛ فأعقب آمرؤ القيس البطريق: حارثة الغِطْريف؛ فأعقب الغطريف من عامر ماء السماء؛ فأعقب عامر ماء السماء من عمران وعمرو وهو مُزَيْقِياء سُمّى بذلك: لأنه كان يمزّق فى كلّ يوم [حلّتين] لئلا يلبسهما غيره.

والعقب من عمرو مُزَيْقِياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن آمرئ القيس البطريق بن ثعلبة العنقاء بن مازن بن غسّان وهو السَّراج بن الأزد بن الغوث فى ست أفخاذ: ثعلبة: بطن الأنصار، وحارثة: بطن خزاعة، وجَفْنَة: بطن، وعمران من أزد عُمان، ومحرِّق: بطن، سُمّى بذلك لأنه أوّل من حَرَّق بالنار، وكعب: أولاد عمرو مزيقياء واليهما يرجع نسبُ الأنصار. فأما الأوس بن ثعلبة بن عمرو فأعقب من مالك بن الأوس، وأعقب مالك من خمس قبائل: النَّبِيت، وعوف، وجشم، وآمرئ القيس، ومرّة: أولاد مالك بن الأوس.

قال: وسُمّى النَّبِيت نَبِيتًا لكثرة ولده، فأعقب النبيت من فخذين: الحارث وكعب وهو ظَفَر بن الخزرج بن النبيت الأوسىّ. فأعقب الحارث بن الخزرج بن النبيت من آبنيه: جشم وحابية. فأعقب جشم من رَعْوان وآنقرض، ومن عبدالأشهل: آبنى جشم. وأعقب حابية بن الحارث من مجدَعَة وجويرَة وجشم بنى حارثة. ومن بنى جشم بن حارثة: بنو خديج بن رافع بن عدىّ بن جشم، وظُهَير بن رافع بن عدى.

وأما ظَفَر وهو كعب بن الخزرج بن النبيت بن مالك بن الأوس — وبنو ظفر البطن المشهورة فى الأوس — فأعقب من أربع أفخاذ : وهم بنو مُرة وهَيْثم وعبد رَدَاح وسواد : بنى ظفر بن الخزرج . ومن بنى سواد : بنو الحَطِيم بن عدىّ بن عمرو ابن سواد : فخذ ؛ فهؤلاء بنو النبيت .

(١١٢) أما عوف بن مالك بن الأوس ، فأعقب من عمرو ، وأعقب عمرو من لَوْذان ، فخذهم بنو السَّمِيعة وثعلبة وحبيب وعوف : أولاد عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس .

والعقب من عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس من بنيه : مالك وجِلْس وكُلْفَة . فأعقب مالك بن عوف من بنيه : عُزَيز ومعاوية وزيد . وأعقب زيد بن مالك هذا من ضُبَيْعة : الفخذ المشهورة ، وأميَّة الفخذ المشهورة فى الإسلام ، وعُبَيد أولاد زيد . وبنو ضُبَيعة بن زيد بن مالك ، يقال لولده : بنو كِسْر الذهَبِ ، منهم : بنو حارثة بن عامر بن مُجَمِّع بن عِطاف بن ضبيعة بن زيد : بطن معروفة . ومن أفخاذ كلفة بن عمرو بن عوف : جُلَاح بن حَرِيش بن جَحْجَبَى من كُلفة : بطن .

وأما جشم بن مالك بن الأوس بن حارثة ، فأعقب من خَطْمَةَ : بطن ؛ واسم خطمة عبدالله ، وإنما سُمّى خطمة : لأنه خَطَم رجلا بسيفه على خَطْمه فسُمّى به ، وأعقب خطمة بن جشم من ثلاث أفخاذ : الحارث وعامر ولوذان : بنى خطمة .

وأما امرؤ القيس بن مالك بن الأوس ، فأعقب من فخذين : بنى السَّلْم وبنى واقف ، وإليه يرجع كلّ واقفىّ فى الأوس .

وأما مرّة بن مالك بن الأوس بن حارثة ، فأعقب من ثلاث أفخاذ : عامر وسعيد ومازن .

وهذا نهاية الاختصار فى ولد الأوس .

وأما الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو مُزيقياء، فأعقب من خمس أفخاذ : الحارث وعمرو وعوف وجشم وكعب : بنى الخزرج .

والعقب من الحارث هذا من سبع أفخاذ : عوف وحُرَيش وجشم وصخر وجديم والخزرج وزيد : أولاد الحارث، ومن عوف بن الحارث بن الخزرج : خُدْرة وخُدَار ابنا عوف؛ ولخدرة يرجع أبو سعيد الخدرىّ، وهو لفخذ بنى خدرة .

وأما عمرو بن الخزرج فمن ولده : بنو النجّار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج : البطن المشهورة؛ واسم النجار : تَيْم الله يدعى التِّرّ، وإليه يرجع حسّان بن ثابت ابن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدىّ بن عمرو بن مالك بن النجار الشاعر : أعنى بالشاعر حسّان، وقد انقرض عقب حسّان .

وأما عوف بن الخزرج فمن أفخاذه : بنو غنم قَوْقل : لفخذ، وهو أُطُمٌ كان لبنى غنم، وسالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج، وغنم : رهط عُبَادة بن الصامت الصحابىّ . ومن بنى عوف بن الخزرج : سالم الحُبْلَى بن غنم بن عوف، سُمّى بذلك لعظم بطنه .

وأما جشم بن الخزرج، فأعقب من لفخذين : وهما تَزيدُ وغَصْب ابناه لصلبه؛ فمن أفخاذ تزيد بن جشم هذا : بنو سَلِمة وربيعة ابنا سعد بن علىّ بن راشد بن ساردة ابن تزيد . وسَلِمة رهط معاذ بن جبل الصحابىّ بكسر اللام .

وأما غصب بن جشم بن الخزرج، فمن أفخاذه : بنو زُرَيق وبَيَاضَة : ابنى عامر ابن زريق بن عبد بن حارثة بن مالك بن غصب بن جشم بن الخزرج .

وأما كعب بن الخزرج فمن أفخاذه: سعيد وقيس ٱبنا سعد بن عبادة بن دُلَيم بن حارثة ٱبن أبى جَذِيمة بن طَرِيف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج؛ وقد ٱنقرض قيس بن سعد بن عبادة .

ومن كعب بن الخزرج المذكور غير طريف هذا: ثلاث أفخاذ أخر إخوة طريف ٱبن الخزرج هذا : وهم ثعلبة وعامر وعمرو؛ كان لعامر هذا ٱبن الخزرج بن ساعدة ٱبن كعب بن الخزرج الأول : بنو قَسِيَّة بن عامر وقد ٱنقرضوا عن آخرهم .

فهذا مختصر كاف فى أنساب الأوس والخزرج .

وأما حارثة بن عمرو مزيقياء، فأعقب من أربع أفخاذ : عمرو بن ربيعة بن حارثة وهو أبو خُزاعة؛ وإنما قيل لهم خزاعة: لأنهم ٱنخزعوا من بنى عمرو مزيقياء بن عامر، والٱنخزاع التقاعس والتخلف، فأقاموا بمَرِّ الظَّهْران بجنبات الحرم ووُلُّوا حجابةَ البيت دهرا وهم حلفاء بنى هاشم؛ وقد ٱختلف النسَّابون فى خزاعة بعد إجماعهم على أنهم ولد عمرو بن لُحَيٍّ وأنّ خزاعة هو كعب بن عمرو بن لحىّ بن قَمَعَة بن خِنْدِف، وهو ٱبن الياس بن مضر؛ وعمرو بن لحىّ : هو الذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [فيه] لأكثم بن أبى الجون الخزاعىّ: "يا أكثم رأيتُ عمرو بن لحىّ بن قمعة بن خندف يجرّ قُصْبه فى النار، ما رأيت رجلا أشبهَ منه برجل منك"، فقال أكثم : أيضرّنى شبهه يارسول الله؟ فقال : "لا، لأنك مسلم وهو كافر" والقُصْبُ: الحشوة من الأمعاء وهو المصران؛ وكان عمرو بن لحىّ أوّلَ من غيَّر دين إسماعيل عليه السلام، فنصب الأوثان وسيَّب السائبةَ وبحَر البحيرةَ ووصل الوصيلةَ وحمى الحامىَ . قال عبد الله ٱبن عباس رضى الله عنهما : نزل القرءان بلغة الكعبيْن : كعب بن لؤىّ وكعب بن

عمرو بن لحيّ ، وذلك أن دارهم كانت واحدة، وأفصى بن حارثة بن عمرو مزيقياء وعديّ بن حارثة وعمرو بن حارثة .

(١١٣) فأما عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو مزيقياء، قال شيخنا شيخ الشرف : عمرو هو خزاعة نفسه أعقب من خمس أفخاذ : كعب وسعد وعديّ ومُلَيح وهو لحيّ : بطن كثيّر بن عبد الرحمن الشاعر، وعوف بن عمرو خزاعة .

فأما كعب بن عمرو خزاعة بن ربيعة، فأعقب من ستّ أفخاذ : وهم مُنْقِذ وسَلُول وحُبْشِيَّة ومطرود ومازن وسعد : أولاد كعب بن عمرو خزاعة .

فأما سلول بن كعب ، وإليه ينسب كلّ سلوليّ، فأعقب من ثلاث أفخاذ : حبشيّة وعديّ وحِرمِز ، فأعقب حبشيّة بن سلول من قُمَيْر وضَاطِر وكليب وحُلَيل وغاضرة : بنيه لصلبه . وأعقب عديّ بن سلول من حَبِير وهَيْنه وحُرَيز : بني عديّ .

وأما حبشيّة بن كعب بن عمرو خزاعة، فأعقب من ابنيه لصلبه : غاضرة وحرام .

وأما سعد بن عمرو وهو خزاعة، فأعقب من ثلاث قبائل : بني المُصْطَلِق ، وبني عامر وبني الكاهن .

وأما أفصى بن حارثة بن عمرو مزيقياء، فإنه أعقب من أسلم : بطن في آخرين : وهم مَلْكَان وزيد وعمرو وعديّ وجُهَادة وحَطّاب وسَوادة وجُرَيش وامرؤ القيس وصهيبة وجشم . فمن بني أسلم بن أفصى : سلامان : نخذ، وهَوزن : نخذ : ابنا أسلم بن أفصى، ومن ملْكَان، بالفتح، بن أفصى : غبْشَان بن ملكان : نخذ، منهم : ذو الشّمالين المقتول ببدر .

وأما عدىّ بن حارثة بن عمرو مزيقياء، فأعقب من سعد بارق، نزل بماء بالسراة أيام سدّ مأرب يسمّى بارق، وقيل: هو جبل. وقيل: بل تبعوا البرق فسُمّوا بذلك، وعمرو وعوف: بنى عدىّ.

وأما عمران بن عمرو مزيقياء، فأعقب من الأَسْد والحُجْر آبنيه لصلبه؛ فأعقب الأسد من ثلاث أفخاذ: العَتِيك وشُهَيل والحارث: بنى الأسد. فمن ولد العتيك: أسد بن الحارث بن العتيك: نخذ، ووائل بن الحارث، واليه ينسب المُهلَّب بن أبى صُفْرة.

وأما الحجر بن عمران بن عمرو مزيقياء، فأعقب من أربع أفخاذ: زيد مناة ومرحوم وعمرو وسُود: أولاده لصلبه؛ فأعقب عمرو بن الحجر من آبنه رَباب.

وأما كعب بن عمرو مزيقياء، فأعقب من خمس أفخاذ: السموءل وحنظلة وثعلبة ومالك وقاتل الجوع: أولاد كعب بن عمرو.

وأما عمرو بن حارثة بن عمرو مزيقياء، فأعقب من ثلاث أفخاذ: حارثة والرُّبَعة وملادس: بنى عمرو.

وأما جفنة بن عمرو مزيقياء، فهم ملوك الشام. والعقب من جفنة من ثلاث أفخاذ: كعب ورِفاعة والحارث: بنى جفنة فى آخرين.

فالعقب من كعب بن جفنة بن مزيقياء، من أُمام والحارث: آبنيه لصلبه؛ ومن ولد أُمام: جَبَلَة بن الأَيْهم بن عمرو بن جبلة بن الحارث الأعرج بن جبلة بن الحارث الأوسط بن ثعلبة بن الحارث الأكبر بن عمرو بن حجر بن هند بن أمام هذا آبن كعب بن جفنة بن عمرو مزيقياء. وقيل: بل هو جبلة بن الأيهم بن جبلة

آبن الحارث الأكبر بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة، وفيه آختلاف ؛ وجبلة هو الذى تنصّر فى خلافة عمر بن الخطّاب رضى الله عنه ، ومن رفاعة بن جفنة : السموءل آبن أوفَى بن عادياء بن رفاعة بن جفنة : بطن؛ وأعقب الحارث بن جفنة من المنذر آبن النعمان بن الحارث : بطن، ومن الحسحاس ومنارة : آبنى عوف بن الحارث: بطن. وجماعة من قبيلة الأزمن نصارى يزعمون أن جدّهم هَيْرٌ يرجع الى جفنة غسّان.

وأما الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان، فالعقب من ولده فى هَمْدان : وهو أَوْسَلَةُ آبن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة بن الخيار المذكور . وقيل : هو الجبار بالجيم والباء الموحدة .

والعقب من همدان : آبن مالك بن جشم بن خَيْران بن نَوْف بن همدان هذا ، ومن جشم : آبن بَكِيل وهو الحبك : نخذ، وحاشد آبنا جشم لصلبه . فأعقب الحبك من دَوْمان وسَوْران وخَيْران . فمن ولد دومان بن الحبك وهو بَكِيل : أرحب ومرهِنه : آبنا عامر بن مالك بن معاوية بن صعب بن دومان ، اليه يُنسب كلّ أرحبىّ . ومن حاشد آبن جشم بن خيران : سَبِيع : نخذ، آبن سبع بن صعب آبن خيران بن معاوية بن كبير بن خيران : وهو مالك بن زيد بن مالك بن جشم بن حاشد بن جشم بن خيران : رهط أبى إسحاق السَّبِيعىّ؛ وفى ذلك خلاف بين النسّابين فى الأسماء .

وذكر بعض النسّابين أنّ ألهانَ بن مالك : أخا همدان بن مالك، اليه يرجع ويُنسب كلّ ألهانىّ : وهم قليل، ويَامُ بن أُحىّ بن نافع بن خيران وهو مالك بن زيد : رهط زُبَيد اليامىّ شيخ التَّوزىّ .

وذكر بعض النسابين : أن الأوزاع ، وهم من مَزِيدة بن زيد عددهم فى همدان وهم من حمير، واليه يرجع كلّ أوزاعىّ . ومن ولد سَدَد بن زُرعة وهو حمير الأصغر : الأوزاع بن سعد بن عوف بن عدىّ بن مالك بن زيد بن سَدَد، والأوزاع بن زيد آبن سدد، والأوزاع بن سدد، والأوزاع بن شُقْران بن المعلّل بن سَدَد . (١١)

قال : وهذه النهاية فى آختصار أنساب اليمن . وقد آحتوت على الغاية فى حسن إيصال البطون وتبيينها فى الترتيب؛ فلنرجع الى عمود النسب المحمدىّ فنقول :

إن عمود النسب من عابر بن شالخ فى آبنه : فالغ بن عابر، وأمّه ميشاخا، وكان له من الولد غير عمود النسب الجبابرة، مثل تميم وقينان وسيرى[1] ومُدبّر وغيرهم آنقرضوا كلّهم لم يعقب منهم إلا أرغو بن فالغ ، وهو الجدّ الذى يرجع إليه كلّ قرشىّ وكلّ قيسى ،وهو أحد شعبى النسب .

والعقب من ولده فى أرغو بن فالغ[1] وكان منه جبابرة آنقرضوا . وعقبه فى آبنه ساروغ بن أرغو . وكان له غير عمود النسب من العقب عشائر وأولاد جبابرة . منهم يَعْصُم ،ويَعْظُم ،ونعمان ،وبعلاك ،وبَهران ،وكاشَم ،وطولان ،وغيرهم هلكوا دارجين .

والعقب منه فى آبنه ناحور بن ساروغ ، فالعقب من ناحور فى آبنه تارَح : وهو آزَر بن ناحور .

ومن تارح غير عمود النسب : هاران بن تارح وناحور بن تارح ، فولد هَارَانُ : لوطا النبىّ صلى الله عليه وسلم .

وعمود النسب من آزر فى آبنه :

(١) الاسمان المرقومان برقم ١ وردا فى الأصل هكذا ، وفى التوراة : (سِرُوج) . (رَعُو بن فالَج) .

إبراهيم خليل الله عليه الصلاة والسلام

وهو الجد الحادى والثلاثون لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم! وأمه أدبا بنت تمر بن أرغو بن فالغ بن عابر. وله من الولد غير إسمعيل عمود النسب: إسحاق عليه السلام ويشْباق: وهو طالب، وسَوَاح: وهو خاضع، وزِمْرَان: وهو نَجدان، ومَدَان، ويُقْشان: وهو مصعب؛ فهؤلاء ولد إبراهيم عليه السلام لصلبه، والعقب منهم غير عمود النسب وهو إسماعيل لإسحاق لا غير. فولد إسحاق صلى الله عليه وسلم: يعقوب إسرائيل الله صلى الله عليه وسلم والعِيصُ وهو عيصُو،[1] وُلدا فى بطن واحد، فخرج عيصو أوّلا وخرج يعقوب بعده، ويده عالقة بعقبه فسُمّى يعقوب. وأمّهما رِفْقَا[1] بنت ناحور بن تارح بنت عم أبيهما إسحاق. فولد العيص بن إسحاق: رَعْوَال[1] ويَعُوس وأَلِيفَاز ويَعْلام وقُورَح ورُوم. فولد أليفاز بن العيص: عَمَالق[1] وغيره. وولد رعوال بن العيص: ناجب وغيره. وولد رُوم بن العيص بن إسحاق: بنى الأصفر لأن روم كان رجلا أصفر فى بياض فلذلك سُمّيت الروم: بنى الأصفر.

قال: وعمّر عيصو مائة وسبعا وأربعين سنةً. وكذلك يعقوب؛ ودفنا معا عند قبر ابيهما إبراهيم الخليل عليه السلام فى مزرعة حَبْرُون. وقيل: هى مزرعة عَفْرُون كان إبراهيم اشتراها لقبره، وفيها دُفنت سارَةُ.

ومن ولد العيص: أيوب النبىّ عليه السلام، قيل: هو أيوب بن أَموص بن تارَح آبن رفو بن عيصان بن إسحاق، وأمّه من ولد لوط بن هاران عليه السلام.

وولد يعقوب عليه السلام: آثنى عشر سِبْطا. منهم يوسف النبى عليه السلام: عزيز مصر وصاحبها، وإخوته: كاد[1] وبَنْيامِين ويهوذا ونَفْتَالى وزَبُولُون وشِمْعون

(١) الأسماء المنسرة بغرة ١ وردت كذا فى الأصل؛ وفى التوراة: عيسو. رِفقَةُ. رَعُوئيل. يَعُوش. عَماليق. جَادٌ.

ورأوبين، وكشاحا، ولاوى، ودان، وياشير[1]. جاء من ولد يهوذا : سليمان النبيّ عليه السلام، وجاء من سليمان : مريم ابنة عمران أمّ المسيح عليهما السلام . وجاء من لاوى بن يعقوب : موسى كليم الله وهارون عليهما السلام ابنا عمران بن قاهث، وجاء من ولد هارون : يحيى بن زكريّا والياس واليسع والعزير. وقد روى: أن الياس بن ياسر نبيّ، وأنه المعنيّ بقوله تعالى وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ. سَلَامٌ عَلَى آلِ يَاسِينَ في قراءة نافع وابن عامر، وأن آلَ ياسين آلُ محمد صلى الله عليه وسلم .

والعقب من يوسف الصدّيق عليه السلام : أفرائيم ومَنَشّا[2] ابنيه لصلبه، فمن ولد أفرائيم : يُوشَع بن نُون وصيّ موسى عليه السلام : وهو الذى رُدّت عليه الشمس فى حربه : وهو يوشع بن نون بن عازر بن شوتالح بن داباد بن تاحب بن العاد ابن تاحب بن يارد بن شوتالح بن أفرائيم بن يوسف بن يعقوب . وفى ولد منشا ابن يوسف : موسى بن منشا بن يوسف . وولد لمنشا ابنة اسمها رَحْمة : وهى امرأة أيوب عليه السلام .

قال : وزعم أهل التوراة أن الله تعالى نبّأه وأنه صاحب الخضر. وذكر المؤرّخون أنه لما مات يعقوب، فشا فى الأسباط الكهانة فبعث الله تعالى موسى بن منشا (١١٥) يدعوهم الى عبادة الله تعالى، وهو قبل موسى بن عمران بثمانمائة سنة والله تعالى أعلم.

ونرجع إلى عمود النسب ؛ وهو من إبراهيم فى ولده إسماعيل : الذبيح بن إبراهيم الخليل عليهما السلام . وأمه أم ولد، تدعى هاجَر، من قبط مصر، من قرية يقال لها : أمّ العرب نحو الفرما .

(١) فى التوراة : أشير .

(٢) فى التوراة : مَنَسّى .

وآختلف العلماء فيما بين عدنان إلى إسماعيل فى ذكر الآباء: فمن العلماء من ينسب اليمن إلى إسمعيل عليه السلام ويقولون : إنهم من ولد يَمَن بن نَبْت بن إسماعيل ، وآفترق باقى ولد إسماعيل فى أقطار الأرض فدخلوا فى قبائل العرب ودرج بعضهم فلم ينسب النسابون لهم نسبا إلا من كان من ولد قَيْدار آبنه عمود النسب .

قال : وآتفق أهل العلم بالنسب كما وجدوه فى التوراة وكما حملوه عن علماء أهل الكتاب، وكما روى عن عبدالله بن عباس : أن النسب فيما بين آدم وإسماعيل صحيح على ماأوردناه لاخلف فيه بينهم ولا خلاف إلا فى الأسماء لتنقل الألسنة، وإنما الخلاف فيما بين إسماعيل وعدنان ، وذلك أن قدماء العرب لم يكونوا أصحاب كتب يرجعون إليها، وإنما كانوا يرجعون إلى حفظ بعضهم من بعض ، فمن أجل ذلك حدث الآختلاف فيما حفظوه ، فقال قوم برواية وقال آخرون برواية . قال: وهذه الرواية التى أوردها فى هذا التأليف هى أحسن الروايات، وهى عمدة أكثر النسّابين الأجلّاء، وعليها كان يعتمدشيخ الشرف محمد بن أبى جعفر الحسينىّ العُبَيدلىّ النسابة، وهى رواية عبد الله بن عباس، وآختيار أبى بكر محمد بن عبده العبقسىّ النسّابة الطرسوسى وغيره .

وكان لإسماعيل عليه السلام من الولد غير قَيْدار عمود النسب أحد عشر ولدا : وهم مَسًّا ويَطُورومِسماع ودُوماء،وقيل: هو الذى بنى دُومَة الجَنْدل، ومبشام وإديال ونَعَابوا وتِيما ، وحُداد ونافيس وقَيدَما .

وعمود النسب من إسماعيل عليه السلام فى آبنه قيدار بن إسماعيل ، وأمه هَالَةُ بنت الحارث بن مُضَاض الجرهمىّ ويقال: آسمها سلمى، وقيل: الحنفا، وقيل: هى أم أولاد إسماعيل كلهم .

والعقب منه فى ٱبنه حَمَل بن قيدار ، وأمه الغاضريّة بنت مالك الجرهمىّ .

والعقب منه فى نبت بن حمل وأمّه هَامَة بنت زيد بن كهلان بن سبإ بن يشجب ٱبن يعرب بن قحطان ، وتدعى حُرَيرة .

والعقب من نبت فى ٱبنه سلامان بن نبت .

والعقب من سلامان فى ٱبنه الهميسع بن سلامان ، أمّه حارثة بنت مراد بن زرعة ذى رُعَيْن الحميرىّ .

والعقب منه فى ٱبنه اليسع بن الهميسع .

والعقب من اليسع فى ٱبنه أدد بن اليسع ، وأمّه حيّة من قحطان .

والعقب منه فى ٱبنه أذ بن أدد ، وأمّه النعجا بنت عمرو بن تُبَّع سعد ذى فَائش الحميرىّ .

والعقب منه فى ٱبنه عدنان بن أذ ، وأمّه المتَمَطِّرة بنت عدى الجرهميّة : وهو الجدّ الحادى والعشرون لسيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد قال أكثر النسّابين : إن العقب من عدنان غير معدّ عمود النسب من عكّ : وهو الحارث والذئب والنعمان والضحّاك لاعقب له : وهو المُذْهَبُ الذى يقال فى المثل : « أحسنُ من المُذْهَبِ » وعدىٌّ دَرَجَ ، والغنىّ وأبىّ وعَكّ : وهو صاحب عدن ، وعمرو ونبت وأذ وعدًا ٱنقلبت فى اليمن .

فأما عكّ بن عدنان فكلّ من كان منهم بالمشرق فهم يُنسبون الى الأزد ، والذى فى الأزد أيضا عكّ بن عدنان بالثاء المثلّثة ٱبن عبد الله بن الأزد .

وقال شيخ الشرف النسّابة : عكّ بن عدنان بالنون . وقال الأفطسيّ النسابة : عكّ بن الحارث بن عدنان بن عبد الله بن الأزد، وكلّ من كان منهم بالشام ومصر واليمن والمغرب فهم مقيمون على نسبهم فى عدنان .

وأما الذئب بن عدنان فيزعمون أن الأوس والخزرج من ولده . قال عبّاس بن مرداس :

وعكّ بن عدنان الذين تلعّبوا ❊ بغسّان حتى طرّدوا كلّ مُطرَدِ

نرجع . وعمود النسب من عدنان فى ٱبنه معـدّ بن عدنان، وأمّه مَهْـدَدُ بنت اللّهَيْم الجرهميّة .

قال(١) النسابون فى أولاده لصلبه فقالوا : إن ولده أحد عشر رجلا : وقالوا : ثمانية، وزاد آخرون، وقال قوم : لم يكن له غير نزار .

قال : فالذى أورد له أحد عشر ولدا قال : والعقب من معدّ بن عدنان : عُبَيد الرَّمّاح أعقب، وجُنَيد وجُنَادة وحَيد وقبضة، وقيل : بل ٱسمه قَنَصٌ ٱنقرض، وقُنَاصة وحَيدان أعقب، وشَطّ وعوف وسَنام وقُضاعة، قال العلماء : وكلّهم ٱنتقلوا فى اليمن وغيرها إلا نزارا . وقد قيل : إن حيدان هذا هو أبو مَهْرة : القبيلة . وقال النسّابون : والقَحْم أعقب ، وسنام أعقب، وحبيب والضحّاك أعقب . وأَوْد أعقب : أولاد معدّ .

فأما عبيد الرَّمّاح فانتسب فى بنى مالك بن كنانة . ومنهم كان إبراهيم بن عربىّ صاحب اليمامة .

وأمّا سنام بن معدّ فإنه ٱنتسب فى سعد العشيرة بن مالك فى اليمن .

(١) لعله : قال وٱختلف النسابون الخ .

وأمّا حَيدَةُ بن معدّ فانتسب فى الأشعريّين .

وأمّا القحم بن معدّ فانتسب فى مالك بن كنانة .

وأمّا أود بن كعب فانتسب فى مذحج .

وأمّا قَنَصٌ فانقرض عقبه، وقيل : كان منهم النعمان بن المنذر .

وروى عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال : ذو القرنين عبد الله بن الضحاك بن معدّ بن عدنان .

نرجع . وعمود النسب من معدّ بن عدنان فى ابنه نزار بن معدّ وأمّه مُعَانَةُ بنت جَوشُم(١) الجرهميّة، ومنه غير مُضر الذى هو عمود النسب ثلاث بطون : ربيعة الفَرَس وإياد وأنمار : بنو نزار . والصّريحان من ولد إسماعيل عليه السلام : مُضَر الحمراء وربيعة الفرس . وقولهم : ربيعة الفرس ومضر الحمراء، فزعموا أنه لما مات نزار تقسم بنوه ميراثه واستهموا عليه ؛ وكان له فرس، مشهور فضله فى العرب فأصابه ربيعة فقيل : ربيعة الفرس ؛ وكان له ناقة حمراء، مشهورة الفضل بين العرب فأصابها مضر فقيل : مضر الحمراء ؛ وكان له جَفنةٌ عظيمة يطعم فيها الطعام فأصابها إياد ؛ وكان له قدح كبير يسقى فيه اللبن إذا أطعم فأصابه أنمار . هذا أحد ما قيل فى ذلك ، وسنذكر ما قيل فى قسمة ميراث نزار وما اتفق لأولاده مع الأفعى الجرهمىّ فى أمثال العرب فى حرف الهمزة وفى قولهم : "إن العصا من العُصَيّة"، وهو فى الباب الأوّل من القسم الثانى من هذا الفن فى أوّل السفر الثالث من كتابنا هذا إن شاء الله تعالى .

(١) كذا فى الأصل وفى الطبرىّ : جَرْهُم .

نرجع . فأما أنمار بن نزار فإنها انقلبت فى اليمن، قال : كذا روينا عن شيوخنا فى النسب ومن قال : إنها انقلبت فى اليمن يقول فيه : إن خثعم وبجيلة ابنا أنمار بن نزار، وإنما لحقا باليمن وانتسبا عن جهل منهما إلى أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث ابن النبيت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبإ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

وأما إياد بن نزار وهى القبيلة التى يرجع اليها كلّ إيادىّ، فمنها فخذان : بنو دُعْمِىّ ابن إياد، وبنو زَهْر بن إياد؛ ومن زهر بنو حُذَاقة بن زهر : عشيرة فى إياد، اليها ينسب الحذاقيّون .

وأما ربيعة الفرس بن نزار بن معدّ، فأعقب من ثلاثة أبطن : أَسَد، وهو البطن الأعظم من ربيعة، وضُبَيعة بن ربيعة، وأكلب . وضبيعة يقال له : ضبيعة الأَنْجم : لأنه كان مائلَ الفم . ومن أكلب أفخاذ : منها لصلبه : هُرَير وعوف ومَعْن ومُبَشّر وجليلة .

والعقب من ضبيعة بن ربيعة بن نزار من ثلاث قبائل : جُلّى وعوف وبدر : بنو أَحْمَس بن ضبيعة؛ ومن بنى جلّى : بنو مُجَمِّع الشعوب : ربيعة بن سَلَمَة بن سعد بن بلال ابن بُهْثة بن حرب بن وهب بن جلّى : بطن .

وأما أسد بن ربيعة فمنه ثلاث بطون : أفصى بن دعمىّ بن جديلة بن أسد، وعَنَزة ابن اللهازم بن أسد، واسمه عمرو، وعميرة بن أسد؛ و إلى عَنَزة يُنسب كلّ عنزىّ محرّك النون .

والعقب من عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار فخذان : وهما أسلم ويَقْدُم : ابنا يَذْكُر ابن عنزة بن أسد . فمن أسلم فخذان : بنو صُباح، وهو قرالليل والنهار، وبنو حُلّان :

أبنى العتيك بن أسلم . ومن يقدم بن يذكر نخذان : تيم ونصر : أبنا يقدم . ومن بنى تيم : بنو هَميم بن عبد العُزّى بن ربيعة بن تيم بن يقدم .

والعقب من عَميرة بن أسد بن ربيعة بن نزار نخذان : هما مبشّر وعدىّ : أبنا عميرة بن أسد بن ربيعة .

وأما أفصى بن دعمىّ بن جديلة بن أسد، فمنه بطنان : هنب وعبد القيس : أبنا أفصى بن دعمىّ بن جديلة ؛ وإلى عبد القيس هذا ينسب كلّ عبقسىّ .

والعقب من عبد القيس بن أفصى بن دعمىّ بن جديلة بن أسد من افصى بن عبد القيس، واللّبود بن عبد القيس . والعقب من أفصى بن عبد القيس من لُكَيز بن أفصى وشَنّ بن أفصى . فمن لكيز بن أفصى ثلاث عشائر : وَديعةُ وصُباح ونُكْرة .

فمن ولد نكرة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس : دُهن بن عذرة بن منبّه بن نكرة بن لكيز (١١٧)
أبن أفصى بن عبد القيس ؛ وليس دهن هذا نخذ عمارة الدهنىّ، إنما نخذه دهن التى فى بجيلة .

والعقب من وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس بن أفصى بن دعمى من عمرو بن وديعة ودهن بن وديعة وغنم بن وديعة .

والعقب من عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى — و قال لولده : العُمُور — أنمار وعِجل ومُحارب والدِّيل : أولاد عمرو بن وديعة .

والعقب من هنب بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة من قاسط أبن هنب وعمرو بن هنب، فمن ولد عمرو بن هنب هذا : عتيب بن عمرو، ومن عَتيب فى دهن : نخذ، وخفاجة : أبنى عتيب .

والعقب من قاسط بن هنب من النمر بن قاسط؛ واليه ينسب كل نمرى، وعمرو وهو غُفَيلة بن قاسط: قبيلة، ومعاوية بن قاسط فى عاملة، ووائل بن قاسط: البطن الأعظم من قاسط.

فالعقب من النمر بن قاسط من تيم الله ويقال: تيم اللات، وأوس مناة: آبنى النمر؛ ومن النمر بن قاسط: بنو الضَّحْيان وهو عامر بن سعد بن الخزرج بن سعد بن تيم الله آبن النمر. واليه كانت الرياسة واللواء والحكومة والمِرْباع. وقيل له الضحيان لأنه كان يحكم بين العرب فى الضُّحَى.

وأما وائل بن قاسط بن هنب، فأعقب من أربع أبطن: تغلب بن وائل: البطن المشهورة، اليها يرجع كلّ تغلبىّ معدّىّ. (وفى قضاعة أيضا تغلب بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة جدّ بنى كلب)، وبكر بن وائل، وعَنْز بن وائل ساكنة النون كما يُنسب فى نزار إلى عنزة بن أسد كلّ عنَزىّ محرك النون، وعمرو بن وائل. فمن عنز بن وائل بن قاسط نخذان: وهما رُفَيدة بن عنز وأَرَاشة بن عنز، وفيهما عدّة أفخاذ وعشائر.

والعقب من بكر بن وائل بن قاسط بن هنب من الحارث وعلىّ ويشكر وجشم وبَدَن: بنى بكر؛ وإلى علىّ هذا يُنسب كلّ علوىّ فى نزار؛ وإلى يشكر هذا يُنسب كلّ يشكرىّ.

والعقب من يشكر بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب من ثلاث قبائل لصلبه: وهم حرب وكنانة وكعب؛ فأعقب حرب بن يشكر من جشم وذُهْل: ولدَىْ كنانة بن حرب؛ ومن بنى جشم بن حرب: بنو عُصَيم بن سعد بن عمرو بن جشم؛ وبنو الحُمَيّر: حُبيّب بن كعب بن جشم، وإلى جشم هذا يُنسب كلّ جشمىّ فى نزار.

وأعقب كنانة بن يشكر من ذبيان بالكسر بضد ذبيان عبس الذى هو بالضمّ ، وأعقب ذبيان من نخـذ وائلة وعامر : آبنى ذبيان بن كنانة بن يشـكر . فمن بنى عامر بن ذبيان : بنو جشم بن عامر : نخذ يقال لهم : الجشميّون أيضا .

وأما بنو علىّ الوائلى فالعقب من علىّ بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى آبن دعمىّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة من صعب بن علىّ وحده ، وإليه يرجع كلّ صعبىّ فى نزار . والعقب من صعب من ثلاث بطون : عُكَابة ولُحَيم[1] ومالك : أولاد صعب بن علىّ بن بكر بن وائل ، فأعقب مالك بن صعب فى بنى زِمّان بن مالك : نخذ ، وإليه ينسب كلّ زِمّانىّ .

وأما لُحَيم بن صعب ، فأعقب من حَنيفة بن لحيم : البطن المشهورة ، ومن عجل آبن لُحَيم .

قال الزبير بن بكّار : وحَنيفة آمرأة نُسب اليها ولدها : وهى حنيفة بنت كاهل بن أسد بن خُزيمة . فأعقب حنيفة من ثلاث قبائل : الدُّؤَل بن حنيفة : القبيلة المشهورة فى بنى حنيفة ، ويقال فى النسبة إليـه : دؤلىّ كذا بضد النسبة الى دؤل كنانة ، وعامر آبن حنيفة وعدىّ بن حنيفة ؛ وفيهم عدّة عشائر وقبائل ، والعزوة إلى حنيفة تغنى عنها ؛ منها بنو يَربوع بن الدؤل بن حنيفة إليه يُنسب كلّ يربوعىّ : وهم قبيلة خَولة بنت جعفر بن قيس بن سـلمة بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع المذكور أم أبى القاسم محمد بن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنـه المعروف بابن الحنفيّة ؛ وهو الذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه لعلىّ "سيولد لك ولد وقد نحلته آسمى وكنيتى" .

(١) كذا بالأصل وفى كتاب المعارف لآبن قتيبة : "لُجَيم" بالجيم المعجمة .

قال : ولعبيد بن ثعلبة بن يربوع غير سلمة خمس أفخاذ لصلبه : مَسلَمة وشَيْبان وزيد ووهب وأرقم ؛ ولهم عدد فى بنى مَسلَمة المذكور : عمرو بن معدى كرب بن الحارث بن مسلمة ، إليه يُنسب كنز الدولة حامى أسوان .

وأما عجل بن لجيم فأعقب من أربع أبطن : وهى سعد وكعب وهم قليل ، وربيعة وضبيعة أولاد عجل ؛ وإليه ينسب كلّ عجلىّ . وفيهم عدّة أفخاذ وعشائر ، وإلى ضبيعة يُنسب كلّ ضبعىّ .

(١١٨) وأما عكابة بن صعب بن علىّ فأعقب من بطنين : ثعلبة وفيه العدد ، وقيس : آبنى عكابة .

والعقب من ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على من خمسة : قيس من اللّهازم : بطن ، ومالك وتيم الله من اللهازم : قبيلة أولاد ثعلبة بن عكابة ، وشَيبان وذُهْل وهما الذّهلان : آبنا ثعلبة ؛ وإلى شيبان هذا يرجع كلّ شيبانىّ ، وإلى ذهل يرجع كلّ ذُهلىّ .

فأما قيس آبن ثعلبة فأعقب من ضُبَيعة وسعد : آبنيه لصلبه . والعقب من ضبيعة آبن قيس بن ثعلبة بن عكابة من ربيعة وهو جُحْدَر ، وإليه يرجع كلّ جَحدرىّ ، وسعد وتيم وعُبَاد ومالك : بطن .

وأعقب تيم الله بن ثعلبة بن عكابة من سبع أفخاذ : وهم الحارث وذُهْل وعدىّ ومالك وعامر وزِمّان وحَاطِبة ؛ ومن بنى مالك بن تيم الله : بنو عائش بن مالك : أفخاذ .

فأما شيبان بن ثعلبة بن عكابة فأعقب من ثلاث بطون لصلبه : ذهل ، وإليه يرجع الذهليّون ، وتيم وثعلبة ؛ وثعلبة هذا : هو الفخذ الذى يُنسب إليه ويرجع أبو الصقر محمد بن إسماعيل وزير المعتمد . وفيه يقول آبن الرومىّ الشاعر :

قالوا: أبو الصقر من شيبان، قلت لهم: * كلّا لعَمرى ولكن منه شيبانُ
وكم أبٍ قد علا بابنٍ له شرفا * كما علا برسول الله عدنانُ

وأعقب ذهل بن شيبان من أولاده لصلبه: وهم مُرّة، وإليه يرجع المزيون الشيبانيّون وأبو ربيعة ومُحلِّم وصُبح(١) والحارث وعمرو: وهو جِذْرة وعوف وعبد غنم، ومن ولد أبى ربيعة بن ذهل: المُزدلِفُ: وهو عمرو بن أبى ربيعة: فخذ كبيرة.

وفى مرة بن ذهل بن شيبان عدّة أفخاذ: وهم سعد ودُبّ وسيّار وكثيّر وجندب وبُجَير وجسّاس ونضلة وهمّام: قبيلة الأحلاف أولاد مرة. قال: وهمام بن مرة ابن ذهل هو بيتُ ذهلٍ وقعددُ فخرهم. وأعقب لصلبه الأحلاف من مازن وعوف وثعلبة خمسين بيتا، وعمرو وعائشة والأسعد وحبيب: هؤلاء هم الأحلاف ومرّة وعبد الله والحارث.

وأما ذهل بن ثعلبة وهو أحد الذهلين فمنه بطنان لصلبه: شيبان وعامر، فأعقب شيبان بن ذهل بن ثعلبة من سبع أفخاذ لصلبه: وهم سَدُوس ومازن وعمرو الأعمى وعلْبَاء ومالك وعامر وزيد مناة. وإلى سدوس هذا يُنسب كلّ سدوسىّ. ومن ولد مازن هذا: أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حَيّان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن. وإليه أيضا يُنسب أبو عثمان المازنىّ النحوىّ وكلّ مازنىّ، وفى مذحج فى بنى سُلَيم: زُبَيد مازن المعروفة.

نعود إلى باقى نسب وائل.

وأما تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب، واسم تغلب دِثار وكان أكثرهم نصارى، فالعُقب منه فى ثلاث أفخاذ لصلبه: عِمران وهم قليل، وأوس وغنم، وفيه العدد

(١) كذا بالأصل وفى كتاب المعارف لابن قتيبة: صُبيح.

والبيت ؛ ومن قبائل غنم الخناقون : بكر ورزاح ومالك وعدىّ : بنو معاوية ابن عمرو بن غنم بن تغلب ، والأراقم الستة : جشم ومالك وعمرو والحارث ومعاوية وثعلبة : أولاد بكر بن حبيب بن غنم بن عمرو بن تغلب ، ومن جشم هذا : بنو عطيف مجزئة بن حارثة بن مالك بن جشم بن بكر بن حبيب : رهط سيف الدولة ابن حمدان . فهذا نهاية الاختصار فى نسب بنى نزار .

وعمود النسب منه فى ابنه مضر بن نزار ، وأمه سودة بنت عك العدنانية . ومنه غير عمود النسب وهو الياس ابنه قيس بن عيلان بن مضر ، واسم عيلان : الناس ، وهو أخو الياس . ويقال : قيس عيلان بن مضر ، وعيلانُ حاضنٌ كان لقيس فنُسبَ إليه كما نُسب غير واحد من العرب إلى الحضان : كسعد هذيم حضنه هُذَيم فنُسب إليه ؛ والصحيح : أن عيلان بن مضر ، واسمه الناس ، وقيسا ولده . وقد قيل فى الناس : الناسّ بتشديد السين .

ذكر نسب قيس وبطونها

والعقب من قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ثلاثة نفر : خَصَفَة وسعد وعمرو . وقال قائلون : وَبْر بن قيس وإنه ولد طوائف من البربر ، وفى ذلك خلاف عند النسّابين .

فالعقب من خصفة هذا من بطنين : عِكْرِمة ومُحارِب ابنى خصفة بن قيس . وقيل : إن خصفة بن عكرمة غلب اسمها عليه فنُسب إليها كما قيل فى خندف . أعقب عكرمة بن خصفة من منصور بن عكرمة : البيتَ الأول من بنى قيس ، فيه العدد ، وسعد بن عكرمة وأبى مالك وعامر : بنى عكرمة . أعقب منصور بن عكرمة من هوازن

آبن المنصور : القبيلة المشهورة، ومن سُلَيم بن منصور : القبيلة المشهورة، وسلامان آبن منصور : قبيلة ، ومازن بن منصور : قبيلة .

فأما هوازن فأعقب من بكر بن هوازن لا غير، وأعقب بكر بن هوازن من ثلاث أفخاذ : معاوية بن بكر، وفيه العدد. وقَسِيّ وهو ثقيف ، وآسمه منبّه بن بكر، وإليه يرجع كلّ ثقفىّ ؛ وسعد بن بكر ؛ وإليه يرجع كلّ سعدىّ من عشيرة حليمة بنت أبى ذؤيب السعديّة : ظئر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهى حليمة بنت أبى ذؤيب عبد الله بن الحارث بن شِجْنَة بن جابر بن رِزام بن ناصرة بن قُصيّة بن نصر ابن سعد المذكور، وآسم زوجها وهو والد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة : الحارث بن عبد العزّى بن رفاعة بن مَلّان بن ناصرة بن قصيّة بن نصر بن سعد ؛ وكنيته أبو كبشة ؛ وبه كانت العرب تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم : آبن أبى كبشة . وقيل فى أبى كبشة [أقوال] منها أن جدّه لأمّه السيدة آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زُهْرة كان يكنى أبا كبشة فنسبوه إلى ذلك ليتمه وموت أبيه . وكان أيضا عمرو بن زيد أبو أسد النجارىّ أبو سلمى بن عبد المطّلب جدّ النبىّ صلى الله عليه وسلم يكنى : أبا كبشة . وقيل : بل لحظوا لقولهم : أبا كبشة يعنون أبا كبشة جرير بن غالب بن الحارث، وهو أبو قَيْلة أمّ وهب بن عبد مناف والد آمنة أمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال آبن قتيبة : إنه كان يعبد الشعرى دون العرب، فلما جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة الله دون عبادة الأصنام، شبّهوه فى شذوذه عنهم بشذوذ بعض أجداده من قبل أمّه بعبادة الشعرى وآنفصاله منهم .

وأما معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان، فأعقب من صعصعة بن معاوية : القبيلة العظمى، وجشم بن معاوية ؛ وإليه ينسب

كلّ جشميّ فى هوازن . وله ثلاث أفخاذ : عُصَيمة وزِمّان وبنو جشم ونصر ابن معاوية جدّ النصريّين القيسيّين . ومنه فخذان : بنو دهمان وبنو عوف : أبنى نصر، وجحش بن معاوية : فخذ، وسيّار بن معاوية : فخذ، وكلاب بن معاوية، ومنجاب ابن معاوية، وعمرو بن معاوية، وأُدحيّة بن معاوية، ودُحَيّة بن معاوية ، ودَحْوَة ابن معاوية ، والسبّاق : وهو يعيش بن معاوية ، وعوف بن معاوية، وجحّاش بن معاوية : هؤلاء كلّهم أفخاذ قليلو العدد، يقال لهم : الهوازنيّون .

وأما صعصعة بن معاوية فأعقب لصلبه عامر : القبيلة المشهورة، ومرّة : وهم سَلول، وكلّ سلولىّ ينسب إلى مرّة هـذا، وأمّ ولده سلول الشيبانيّة : وهى سلول ابنة شيبان بن ذهل بن ثعلبة، وولده عشرة أفخاذ : وهم عمرو وضبيعة ونهار وصُحَيم : وهو أعيا، وغاضرة وعُدَيّة وجابر ومعاوية وجنى ودهى . وباقى ولد صعصعة لصلبه قبائل صغار : عبد الله وعائذ وعمرو وقيس وكبير وسيار ومساور وزبيبة وربيعة وغالب ووائل ومازن وعوف ومنجور والحارث : خمس عشرة قبيلة ؛ وفى هذه القبائل : بنو عادية وبنو عُدَيّة بالضم، فأما بنو عادية فهى أم عبد الله عادية والحارث. وأما بنو عدية فهى أم قيس عدية وعوف عدية . والى عمرو بن صعصعة بن معاوية تُعزَى الطائفة المعروفة بالأكراد . ومن النسّابين من ذكرهم إلى كرد بن مرد بن عمرو بن صعصعة المذكور . ومنهم من نسبهم إلى أكراد بن فارسان بن أهلوا بن إرم بن سام بن نوح ، وعليه أعتمدوا . ومنهم من قال : كرد بن مرد بن يافث ابن نوح .

وأما عامر بن صعصعة فأعقب من أربع بطون : وهم نمير وسُوَاءة وهلال وربيعة .

فأما نمير بن عامر - واليه يُنسب كلّ نميريّ، ففيهم عدّة أفخاذ : بنو المقشّب : وهو ربيعة بن عبد الله بن الحارث بن نمير، وبنو خُوَيلفة بن عبد الله بن الحارث ابن نمير، وبنو أسقع : وهو مالك بن عامر بن نمير .

وأما سواءة بن عامر بن صعصعة فمنه عدّة أفخاذ : منها بنو حُبَيب بن سواءة وبنو جسّاس بن سواءة وبنو حرثان بن سواءة .

وأما هلال بن عامر بن صعصعة فالبطن المشهور، وقد نزلوا المغرب من تلمسان إلى طرابلس، فأعقب هلال من إحدى عشرة قبيلة وهم أولاده لصلبه .

أولهم البيت المقدّم عبد الله ونَهيك وربيعة وعائذة وعبد مناف ورُوَيْبة وصخر (١٢٠) وشعبة وشعَيبة وناشرة وحضرة .

وفي هلال عدّة أفخاذ وعشائر : كزُغبة ورياح وفادع والأثيج وحُوثة، وقُرّة وغيرهم .

فأعقب عبد الله : وهو البطن الأولى من بني هلال من ثلاث أفخاذ : رُوَيْبَة ابن عبد الله وحوثة وحارثة : ابني عبد الله، فأعقب رويبة بن عبد الله من أربع عشائر : زغبة ورياح وهزوم ومعاوية : بني رويبة بن عبد الله، فمن بني الهزم بن رويبة بن عبد الله : ميمونة بنت الحارث بن حَزْن بن بُجَير بن الهزم بن رويبة بن عبد الله أمّ المؤمنين زوج النبي صلى الله عليه وسلم، ومن بني رياح : بنو مُجيّة بن علّ ابن فادع : نفذ أعقب، إليه يرجع جنادة بن كامل مقدّم بني هلال .

وأما نَهيك بن هلال فأعقب من خمس قبائل لصلبه : وهم معشر وأبو ربيعة وأبو معاوية وسهل وأبو جشم .

وأما عبد مناف بن هلال فأعقب من أربع قبائل : الحارث وعمرو وربيعة ويَعْمر : بنى عبد مناف لصلبه . فمن بنى ربيعة بن عبد مناف بن هلال : قرّة بن عمرو بن ربيعة : نفذ مشهورة كبيرة ، إليه يرجع كلّ قرىّ . ومن بنى عمرو بن عبد مناف بن هلال : زينب بنت خُزَيمة بن الحارث بن عبدالله بن عمرو بن عبد مناف أمّ المساكين زوج النبي صلى الله عليه وسلم أمّ المؤمنين . فهذا مختصر قبائل هلال .

وأما ربيعة بن عامر بن صعصعة ، فأعقب من خمس قبائل : وهم الحارث وكليب وعامر وكلاب وكعب : بنوه لصلبه .

أما الحارث بن ربيعة فأعقب من نفذين لصلبه : عوف وعُوَيف .

وأما كليب بن ربيعة فأعقب من خمس أنفاذ لصلبه : أبان وجَهْم وجشم وخلف ومسروق .

وأما عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة فأعقب من أربع أنفاذ لصلبه : عمرو وعوف والبَكّاء ومعاوية .

وأما كلاب بن ربيعة بن عامر فأعقب من عشر أبطن ، قال الشاعر :

وإن كلابا هذه عشر أبطن * وأنت برىء من قبائلها العشر

يعنى شُمَير بن ذى الجَوْشن الضِّبَابىّ ، والعشر أبطن لصلب كلاب : وهم جعفر وأبو بكر واسمه عبيد ، ومعاوية : وهو الضِّبَاب بن كلاب وعامر وربيعة والأضبط وعمرو وعبد الله ورؤاس "قيل : بالفتح وواو بدل الهمز" ، وكعب .

فأما جعفر بن كلاب فأعقب من أربعة أنفاذ لصلبه : مالك والأحوص وخالد وعُتْبة ، وفيهم عدّة عشائر .

وأما أبو بكر عبيد بن كلاب فأعقب من ثلاثة أفخاذ لصلبه : عبْد وكعب وعبد الله . فأما عبيد بن أبي بكر فمن العشائر التي لصلبه : بنو قُرْط وبنو قُرَيط .

وأما كعب بن أبي بكر فمن العشائر التي لصلبه : بنو جَحْش بن كعب .

وأما عبدالله بن أبي بكر فمن عشائره لصلبه : بنو المجنون : وهو ربيعة بن عبدالله .

وأما معاوية بن كلاب وهو الضِّباب فمنه ثلاث عشرة قبيلة : وهم ضَبّ ومُضِبّ وضِباب ؛ ولأجلهم عرف هذا البطن أعني بني معاوية بالضِّباب ، وحُسَيل وحِسْل وعمرو وأنس والأعور وزفر وأنيس ومالك وربيعة وزهير : أولاد عمرو بن معاوية . ومن ولد الأعور هذا شمر بن شُرَحْبيل بن الأعور قاتل الحسين بن عليّ رضي الله عنه .

وأما عامر بن كلاب فمنه أربع قبائل لصلبه : وهم بنو الأصمّ ، وهم قليل ، وبنو كعب وهو البيت من عامر بن كلاب وطَريف بن عامر وعقيل بن عامر . فأعقب كعب بن عامر من الوَحِيد : وهو عامر بن كعب ، من أفخاذه : خالد بن ربيعة بن الوحيد بن كعب بن عامر بن كلاب ، منه أمّ البنين بنت حِزام بن خالد المذكور زوج عليّ بن أبي طالب ، وهي أمّ ابنه العباس السقّاء ؛ عرف بذلك لأنه سقى الحسينَ الماءَ بكربلا .

وأما ربيعة بن كلاب فمنه ثلاثة أفخاذ لصلبه : وهم بُجَير وعُبَيْد وقَيل أبو نمير .

وأما الأضبط بن كلاب فمخذه : بنو وَبْر بن الأضبط ؛ ومن بني وَبْر سبع عشائر : وهم وَهْب الأكبر ووهب الأصغر وواهب وإهاب ووَهْبان وخالد وأبو ربيعة : أولاد وبر بن الأضبط .

وأما عمرو بن كلاب فمنه فخذان : نقيل وأبو عوف : ابنا عمرو بن كلاب .

وأما عبد الله بن كلاب فأعقب من ثلاثة أفخاذ : عامر وعمرو والصَّمُوت : أولاده لصلبه . ومن عشائر الصموت بن عبد الله : ضُبَيعة الأغرّ بن عبد الله ابن الصموت .

(١٢١) وأما رؤاس بن كلاب فأعقب من ثلاثة أفخاذ : بِجَاد وبُجَيد وعُبَيد : أولاده لصلبه ؛ ومن بُجَيد : عُفَيف بن بُجَيد : فخذ ، وإلى رؤاس هذا ينسب كلّ رؤاسيّ .

وأما كعب بن كلاب فأعقب من أربعة لصلبه : عامر ووهب وربيعة وأوس .

فهذا مختصر بنى كلاب وأبطنها — نعود إلى باقى ولد ربيعة بن عامر .

وأما كعب بن ربيعة بن عامر فأعقب من ستة أبطن لصلبه : وهم جَعْدَةُ بن كعب : البطن المشهورة ، إليها يرجع كلّ جَعْدىّ ؛ وفيها عدّة قبائل وعشائر ، وحبيب ابن كعب : البطن المشهورة ، وإليها يرجع كلّ حبيبىّ ؛ وفيها أفخاذ ، وعبد الله بن كعب منه العَجلان بن عبد الله : بطن ، وربيعة بن عبد الله ، ونُهَم بن عبد الله ؛ وفيهم أفخاذ ، وقُشَيْر بن كعب ، وإليه يرجع كلّ قُشَيرىّ ؛ وفيها عدّة أفخاذ وعشائر ، والحرِيش بن كعب ، وإليه يرجع كلّ حَرَشِىّ : كعبد الله بن الشِّخِّير بن عوف بن كعب بن وَقْدان بن الحريش الحرشىّ الصحابىّ وغيره ، وعُقَيل بن كعب : البطن المشهورة ، إليها يرجع كلّ عُقَيلىّ بالضم . والعقب من عقيل بن كعب : بن ربيعة ابن عامر من خفاجة بن عمرو بن عقيل : البطن المشهورة ، وعبد الله وربيعة ومعاوية وعامر وعُبادة ، كلّ هؤلاء أبطن . والعقب من خفاجة من أحد عشر فخذا لصلبه : وهم بنو معاوية ذى القَرْح : فخذ ، وبنو كعب ذى الثُّويرة ، وبنو الأقرع : فخذ ، وبنو كعب الأصغر ، وبنو عامر ، وبنو مالك ، وبنو الهيثم ، وبنو الوازع ؛

إليه ينسب كلّ وازعىّ ، وبنو عمرو ، وبنو حَزْن ، وبنو خالد . والفخذ العظمى من بنى عقيل بعد بنى خفاجة : بنو يُزِيد بضم الياء بن عبد الله بن يزيد بن قيس بن حوثة بن طَهْفَة بن حزن بن عبادة : عشيرة الأمير أبى المنيع شرف الدولة محمد بن مرداس ، ودرج شرف الدولة ، وهو ملك العرب .

فهذا مختصر من نسب بنى عقيل . وهؤلاء هوازن وهم بكر . والله سبحانه وتعالى أعلم .

وأما سُلَيم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان : وهو البطن المشهورة ، فأعقب من بهثة بن سليم ، وأعقب بهثة من خمسة أفخاذ لصلبه : معاوية وعوف وآمرئ القيس والحارث وثعلبة . ومن بنى آمرئ القيس بن بهثة : بنو عُصَيّة بن خُفَاف بن آمرئ القيس : بطن .

وأما محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان ، فأعقب فخذين لصلبه : طريف وجَسْر ، ويقال لبنى جسر : بنو علىّ لأن العقب من جسر بن محارب فى علىّ بن جسر لاغير .

انقضى ذكر بنى خصفة بن قيس بن عيلان .

وأما سعد بن عيلان فأعقب من بطنين لصلبه : وهما غَطَفَان ، ومنبه : وهو أَعْصُر ، والعقب من رَيْث بن غطفان من أربع أبطن لصلبه : بَغِيض ومازن وأشجع وإليه يرجع كلّ أشجعىّ ، وأَهْون : بنو ريث .

والعقب من بغيض بن ريث [من عَبْس وذُبيان] وهما القبيلتان المشهورتان .

وذكر بعض النسّابين أنمار بن بغيض منهم أبو كبشة الأنمارىّ . وقيل : إن أبا كبشة الأنمارىّ إنما هو من مذحج .

والعقب من عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان من نخـذين : قَطِيعة ووَرَقة آبنى عبس .

والعقب من قَطِيعة بن عبس من الحارث، ومُعتمِر : قبيلة قليلة، وعوف : قبيلة، وغالب : قبيلة الخُطَيئة، ومُرَيْطة : قبيلة من ولد خالد بن سنان بنى أهل الرَّمْل بن جابر آبن غيث بن مريطة .

والعقب من الحارث بن قطيعة بن عبس من جِرْوَة وعامر ومازن : قبيلة وذَكْوان وشـداد : بنى الحارث بن قطيعة . ومن مازن بن الحارث أنخاذ : منهم جَذِيمة بن رَوَاحَة بن ربيعة بن مازن : نخذ؛ إليه يرجع الجذميون بالجيم : منهم عشيرة بنى زهير آبن جذيمة فى آخرين .

وأما ذبيان بن بغيض ، فأعقب من فَزَارة : البطن المشهورة ، وسعد ؛ فأعقب فزارة بن ذبيان من مرّة وظالم وروميّ ، دَرَجَ وشَمْخ وعدىّ ومازن : أولاد فزارة ؛ وفيهم قبائل وعشائر وأنخاذ .

وأما سعد بن ذبيان فمن بطونه المزيون : بنو مرّة بن عوف بن سـعد ، وفيهم (١٢٢) أنخاذ ، وبنو عقال بن سـعد : نخذ ، وبنو بَجَالَة بن ثعلبة بن سعد وبنو عَجب بن ثعلبة وبنو رِزَام بن ثعلبة .

وأما عبد الله بن غطفان بن سعد فالعقب منه فى بهثة بن عبد الله وقُطْبَة وعدىّ وعُذرة وكلب وباعث وشَبَابة وغنم وعوف ومنبّه؛ عشرة أنخاذ .

وأما أَعْصُر : وهو منبّه بن سعد بن قيس فأعقب من باهلة : وهم ولد مالك بن أعصر ، وهى باهلة بنت صعب بن سعد العشيرة أخت بَجِيلة بن مذحج؛ ولد سعد

ابن مالك بن يَعصُر ومَعْن بن مالك بن يعصر فغلب اسمُها عليهم ونُسبوا إليها ؛ وكلّ باهلىّ ينسب إلى باهلة وهم ولد مالك بن أعصر بن معن بن مالك ، وغنىّ بن أعصر بن سعد بن قيس أعقب من غنم وجعدة ، إليها ينسب كلّ غَنَوىّ والطُّفَاوة ، اسمه الحارث بن أعصر إليه ينسب الطُّفَاوِيّون ، وعامر بن أعصر .

وأما عمرو بن قيس بن عيلان ، فمنه بطنان لصلبه : وهما عَدْوَان واسمه الحارث ، وفَهْم : ابنا عمرو بن قيس ؛ وإنما قيل له عَدْوان : لأنه عدا على أخيه فَهْم فقتله . وفهم وعدوان يقال لهما : جَدِيلة قيس ، وهى أمهم جديلة بنت مرّ بن أدّ : أخت تميم بن مرّ . ومن قبائل عدوان : بنو يشكر وبنو دَوس : ابنى عدوان : القبيلتان المشهورتان .

هذا آخر مختصر نسب قيس بن عيلان بن مضر .

فلنرجع إلى عمود النسب . وعمود النسب من مضر فى ابنه :

الياس بن مضر بن نزار

وأمه الرِّباب بنت إياد المَعَدية ؛ ومنه غير عمود النسب (وهو مُدْرِكة) بطن واحد وهو طابخة بن الياس ؛ قال : لأن قمعة بن الياس فيه خلاف كثير ، وأكثر مشايخ النسب يذكرون أنه دَرَجَ ولا عقبَ له ؛ وذكر آخرون : أنه أبو خزاعة ، وخزاعة ليست بأب ولا أمّ وإنما هم انخزعوا من مضر الى اليمن ببطنِ مَرّ ، وذلك حين أقبل بنو عمرو بن عامر يريدون الحجاز ؛ ألا ترى قول عون بن أيوب الأنصارىّ (١) :

ولما هبطنا بطنَ مَرٍّ تخزّعتْ * خُزاعةُ منّا فى حُلولٍ كَرَاكِرِ
حمتْ كلَّ وادٍ من تِهامةَ واحتمتْ * بصُمّ القنا والمرهَفاتِ البواترِ

(١) كذا بالأصل وفى اللسان أن القائل : حسان بن ثابت .

وقد أوردنا نسب خزاعة فى بنى عمرو بن عامر ماء السماء الغسانى فى نسب اليمن، ومن قبائل طابخة بن الياس خمس : بنو مُرّ بن أدّ بن طابخة . وبنو ضبّة بن أدّ ابن طابخة، وبنو عمرو، وبنو خميس، وبنو عبد مناة : أولاد أدّ بن طابخة .

فأما بنو مُرّ بن أدّ بن طابخة، فمنه بنو تميم بن مرّ . وبنو ثعلبة بن مرّ : ظاعنة من الشُّعَيراء، وبنو صوفة : وهم ولد الغوث : وهو الرَّبيط بن مرّ وبكر بن مرّ من الشعيراء، ومحارب بن مرّ، فهم عدّة أفخاذ وقبائل . وقبائل تميم : وهم ثلاث : زيد مناة والحارث وعمرو : أولاد تميم لصلبه . فمن قبائل زيد مناة بن تميم : نَهْشَل بن دارم ابن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، وبنو سَدُوس بن دارم : قبيلة . وبنو عبد الله بن دارم : منهم عُطارد : قبيلة حاجب بن زُرارة بن عُدُس (وكلّ من عداه بفتح الدال) ابن زيد بن عبد الله بن دارم مجوس، وبنو أبان بن دارم : قبيلة . وبنو ثعلبة بن يربوع بن حنظلة : قبيلة . وبنو كليب بن يربوع : قبيلة . وبنو رياح بن يربوع : قبيلة . وبنو غُدَانة بن يربوع : قبيلة . وبنو جارية بن سَليط بن يربوع . وبنو البَرَاجم : وهم ظُلَيم وعمرو وقيس وغالب وكلفة : أولاد حنظلة بن مالك؛ فهؤلاء بنو حنظلة بن مالك؛ سموا بَرَاجم لتجمُّعهم كالأصابع . ثم قبيلة الجوع : وهم ولد ربيعة بن مالك بن زيد مناة؛ والكُرْدُوسان من بنى زيد مناة : معاوية وقيس ابنا مالك بن زيد مناة بن تميم . ومن زيد مناة : بنو سعد بن زيد مناة، منه عدّة قبائل، منهم قبائل الأبناء : وهم عبشمس وعُوَافة وعوف وجشم ومالك وعمرو : بنو سعد بن زيد مناة . ومن بنى سعد بن زيد مناة : بنو الحرام : وهو من الحُدَعة بن كعب ابن سعد، وبنو حِمّان بن عبد العُزّى بن كعب بن سعد، وبنو الأعرج : وهو الحارث

ابن كعب بن سعد، وبنو قُرَيْع بن عوف بن كعب بن سعد، وبنو بَهْدَلَة بن عوف ابن كعب. وبنو بُرْنِيق بن عوف بن كعب، وبنو عطارد بن عوف بن كعب قليلون.

ومن قبائل كعب بن سعد المذكور: بنو مِنْقَر بن عبيد بن مُقاعِس: وهو الحارث ابن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم وهم المِنْقَرِيُّون. ومن بنى زيد مناة: بنو امرئ القيس بن زيد مناة. له عدد ومدد. منه ثلاثة أفخاذ: بنو عُصَيَّة وبنو مالك وبنو الحارث: أولاد امرئ القيس المذكور. ومن بنى زيد مناة: بنو عامر الصحيح بن زيد مناة؛ فهؤلاء بنو زيد مناة بن تميم.

وأما الحارث بن تميم فمنه شَقِرة بن الحارث: قبيلة، اسمه معاوية، وسُمِّى شقرة ببيت قاله:

وقد أحمل الرمح الأصمّ كُعوبُه ... به من دماء القوم كالشقِرات

والشقرات: شقائق النعمان. والنعمان: الدم؛ والله أعلم.

وأما عمرو بن تميم فمنه سبعة أفخاذ. وهم بنو مالك وبنو العنبر وبنو الهُجَيْم وبنو أُسَيِّد وبنو الحَبَطَة: وهو الحارث. وبنو القُعَيْب: وهو أُلَيْهَةُ [وزن عَلَيَة] وكعب: بنو عمرو ابن تميم؛ وولى كعب هذا البيت قبل قريش.

فأما مالك بن عمرو بن تميم فمنه فخذان: مازن. منهم أَوْفَى بن مَطَر المازنىّ جلىّ العرب، والحِرْماز: وهو الحارث بن مالك. فمن بنى مازن بن مالك بن عمرو بن تميم: أنمار بن مازن: فخذ قليلون. ورِئَال بن مازن: قبيلة، وحُرْقوص بن مازن، ورزام بن مازن: قليل، وخزاعىّ بن مازن: قليل.

وأما بَلْعَنبر بن عمرو بن تميم فأعقب من ثلاثة: كعب وجندب ومالك: أولاد العنبر، وكلّ بلعنبرىّ ينسب إلى بلعنبر هذا: وهى قبيلة مشهورة.

وأما بَلْهُجَيْم بن عمرو بن تميم وهو الهُجَيْم فأعقب من خمسة : عامر وسعد وعمرو وربيعة وأنمار . ويقال لبلعنبر وبلهجيم : الخَبَطَات[1] . وكذلك أخوهما الحارث الخَبِطُ ؛ وهو الذى عُرِفوا بذلك من أجله ، يقال : إنه أكل خَبَطًا فسُمِّى به[2] .

وأما أُسَيدُ بن عمرو بن تميم فأعقب من ستة لصلبه : عقَيل ونمير وجروة : قبيلة ، وعمرو والحارث . فمن بنى جروة بن أسيد بن هند بن أبى هالة : نَبَّاشُ ابن زرارة ابن وقدان بن حبيب بن سلامة بن غوىّ بن جروة بن أسيد بن عمرو بن تميم : ربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وأمّه خديجة بنت خويلد .

وأما الحارث الخبط بن عمرو بن تميم فمنه قبيلة سعد بن الحارث ، وهى قبيلة الخبطات ، ومشَادة بن الحارث الخبط ونضلة بن الحارث الخبط : فهؤلاء بنو تميم فى مُرّ بن أدّ بن طابخة .

وأما بنو ضبة بن أدّ فثلاث قبائل : سعد وسُعَيد وباسل . ولسعد وسعيد المثل السائر "أسعد أم سُعَيد" . أما سعيد بن ضبة فقليل عددهم . وأما سعد بن ضبة فأعقب من اثنين : ثعلبة وبكر : ابنى سعد ؛ فأما ثعلبة بن سعد ، فمن قبائلها : بنو مسعود بن دُلْجة بن نُعَيم بن قُرَامة بن كعب بن ربيعة بن ثعلبة بن سعد : قبيلة يُنسب إليها كلّ مسعودىّ ، وبنو مبذول بن عامر بن ربيعة بن كعب بن ربيعة بن ثعلبة

(١) كذا فى الاصل الكوبريلى بإعجام الخاء . والصواب بالمهملة كما فى كتب الأنساب واللغة ، أنظر القاموس واللسان فى مادة : ح ب ط .

(٢) إنه أكل خبطا فسمّى به كذا فى الأصل ، وجاء فى القاموس : أن الذين سموا بهذا الاسم هم سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم جاعوا فى الطريق حتى أكلوا الخَبَط وهو الورق المضروب بالمخابط يجفف ويطحن ، فسموا بسَرِيَّة الخَبَط أو جيش الخَبَط وعليه يكون اسم الحارث الخبط بالحاء المهملة .

آبن سعد: قبيلة . ومن بنى بكر بن سعد بن ضبة: صبح وبجالة : آبنا ذهل بن مالك آبن بكر بن سعد : نخذان، وعائذة[1] بن مالك بن بكر بن سعد: نخذ، ونصر بن عبد الله آبن بكر بن سعد : نخذ .

وأما باسل بن ضبة فإنه خرج مغاضبا لابيه فوقع بأرض الدَّيْلم فتزوج آمرأة من الديلم، فولدت له الديلم بن باسل: جدّ القبيلة المشهورة؛ ومن رجالها فى الجاهلية : زيد الفوارس بن حصين . وفى الإسلام آبن شُبْرُمَة القاضى . وأعقب من الديلم (١٢٤) نخذان : الأبيض بن معاوية بن الديلم، وبُجَيْر بن معاوية بن الديلم . فأعقب الأبيض آبن معاوية من الضحاك ولار وشهريار وإيران وناشر : أولاد الأبيض بن معاوية آبن ديلم من بهرام بن الضحاك؛ وفيروز وزربوران وبريانوس : أربعة أنخاذ. وأعقب بَرْيانوس بن الضحاك من قابوس بن بريانوس . وأعقب قابوس من شاه مرد . وأعقب لار بن الأبيض من كامياد بن لار . وأعقب كامياد من آبنه جور .

وأعقب بجير بن معاوية بن ديلم من باسل بن تيداذما، فأعقب تيداذما من دادوه .

فهذه النهاية فى آختصار نسب الديلم؛ والله سبحانه وتعالى أعلم .

وأمّا عمرو بن أدّ بن طابخة فهو مُزَيْنة، ومزينة أُمه : وهى بنت كلب بن وَبَرة آبن ثعلب بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، وكلّ مزنىّ ينسب إلى مزينة هذا . ومن مزينة : عثمان وأوس : ولدا عمرو؛ فمن عثمان بن عمرو بن أدّ بن طابخة بطنان : عدا ولاطم : آبنا عثمان . ومن مزينة : النعمان بن مقرّن وزهير بن أبى سُلْمَى؛ وليس فى العرب سُلْمَى بالضمّ سواه، ورؤبة بن العجّاج . قال رسول الله

(١) وردت فى بعض كتب الأنساب بالذال المهملة وفى بعضها بالذال المعجمة فتنبه .

صلى الله عليه وسلم! "أسلَم وغِفَار ومزينة وجهينة (أو قال : مَن كان من جهينة) خيرٌ من بنى تميم و بنى عامر بن صعصعة ومن الحليفين أسد وغَطَفان" .

وأما عبد مناة بن أدّ بن طابخة فمنه ثورُ أطحل بن عبد مناة : بطن — رهط سفيان الثورى رحمه الله، (وأطحل جبل) ، وبنو الرباب : ولد تيم بن عبد مناة وعدىّ بن عبد مناة وعوف بن عبد مناة : سُمُّوا الرَّبَاب : لأنهم غمسوا أيديَهُم فى رُبٍّ إذ تحالفوا على بنى تميم .

قال : ومن النسّابين من يجعل الرباب بنى تيم وعدىّ وثور وعُكْل : وهم بنو عبد مناة وضبة بن أدّ .

فأما عدىّ بن عبد مناة، فإليه ينسب كلّ عدوىّ ليس من عدىّ قريش؛ ومنهم : أبو قتادة العدوىّ : تابعىّ؛ وإلى عوف بن عبد مناة ينسب كلّ عوفىّ؛ ومنهم : عطيّة العوفىّ . قال : وشيخ الشرف النسابة يقول : إن عكلًا هو عوف بن وائل ابن قيس بن عوف بن عبد مناة، وعُكْل : أَمَةٌ لامرأةٍ من حمير يقال لها : بنتُ ذى اللِّحْيَة، تزوّجها عوف بن وائل، فولدت له جشما وسعدا وعليّا، ثم هلكت، فضمتْ عُكْلٌ ولدَها فغلبت عليهم ونُسبوا اليها .

وأما تيم بن عبد مناة بن أدّ بن طابخة ففخذه : عمرو بن الحارث بن التيم بن عبد مناة وفيه العدد .

انقضت خندف فلنرجع الى عمود النسب من الياس فى ابنه :

مُدرِكة بن الياس بن مضر

واسمه عمرو، وأمه خندف : وهى ليلى بنت حلوان القضاعيّة؛ وإنما سُمّى مدركة : لان أباه الياس خرج متجعا ، ومعه أهله وماله، فدخلتْ بين إبله أرنب، فنفرت

الإبل . فخرج أولاد الياس ، فأدركها عمرو ، فسمّاه أبوه الياسُ : مدركة ؛ وخرجتْ لَيلَى بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة أمّه تهرول فقال لها الياس : مالك تخندفين؟ والخندفَةُ : الهَرْوَلة ، فسمّيت خندف ، وخرج عامر بن الياس أخو مدركة في طلب الأرنب فاصطادها وطبخها ، فقال له أبوه الياس : أنتَ طابخة ، ورأى عَمْرا أخاهما قد ٱنقمع في الظلّة فهو يخرج رأسه منه ، فقال له أبوه الياس : أنت قَمَعَة .

ومن مدركة غير عمود النسب : بنو هذيل بن مدركة ، ومن هُذيل : بُطنان لصلبه : بنو لِحيان وسعد ؛ ومن قبائل سعد بن هذيل : بنو خُنَاعة بن سعد ، وبنو (١٢٥) صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل ؛ منهم : عبد الله بن مسعود ٱبن غافل بن حبيب بن شَمْخ بن قار بن مخزوم بن صاهلة الصحابيّ : أحد القرّاء رضي الله عنه . ومن شعراء هذيل : أبو ذؤيب الهذليّ وأبو كبير وأبو المثلّم وغيرهم .

وعمود النسب من مدركة في ٱبنه خزيمة بن مدركة ، وأمّه سلمى بنت اسلم القضاعية ؛ ومنه غير كنانة عمود النسب قبيلتان : وهما الهون وأسد . فأما الهون ٱبن خزيمة ، فأعقب من عَضَل والدِّيش ٱبني بليغ بن الهون ، وهم القارَة : سُمّوا قارة : لأن يَعْمَر بن عوف بن الشدّاخ أحد بني ليث لما أراد أن يفترقهم في بطون كنانة ، قال رجل منهم : دعوا قارة لا تنفرونا فنجفل مثل إجفال الظليم فسمّوا قارة : وهم رماة العرب وفيهم قيل "قد أنصفَ القارَةَ من رَامَاها" وسبب هذا المثل أن رجلين ٱلتقيا ، أحدهما من القارة ، فقال القاريّ للآخر : إن شئتَ صارعتُك ، وإن شئتَ سابقتُك ، وإن شئتَ راميتُك ، فقال خصمُه : قد ٱخترتُ المراماةَ ، فقال القاريّ :

قد أنصف القارة من راماها * إنا إذا ما فئـــةٌ نلقاها

* نردّ أولاها على أخراها *

ثم انتزع له سهما فسلّ فؤاده، وقيل غير ذلك .

ومن أسَد بن خزيمة أربع عشائر : بنو كاهل وصعب وعمرو ودودان : بنى أسَد .

فمن دودان : بنو عمرو بن دودان : قبيلة : وهم وجوه بنى أســد، منهم : زينب بنت جحش بن رئاب بن يَعْمَر بن صبرة بن مرّة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة، زوّجت النبيّ صلى الله عليه وسلم : وهى بنت عمّته أميمة بنت عبد المطلب.

وبنو سعد بن الحارث بن ثعلبة بن دودان : قبيلة . من شعرائهم : بشر بن أبى خازم الوالبيّ الجاهليّ . وبنو قُعَيْن بن الحارث بن ثعلبة بن دودان : قبيلة، منهم : نخذ بنى نصر بن قعين، ومنهم بنو قعس بن طريف بن عمرو بن قعين بن الحارث بن ثعلبة ابن دودان : قبيلة . وبنو أعيا بن طريف : قبيلة، وبنو قيس بن طريف : قبيلة، وبنو كعب بن عمرو بن قعين : قبيلة، وبنو سُواعة بن سعد بن مالك بن ثعلبة بن دودان : نخذ، وبنو ناشرة بن نصر بن سواعة بن سعد بن مالك بن ثعلبة بن دودان .

وعمود النسب من خزيمة بن مدركة فى ابنه كنانة بن خزيمة، وأمّه عوانة بنت سعد القيسية . وبنو كنانة أوّلُ عربٍ تلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نسبه .

ومن بنى كنانة غير عمود النسب وهو النضر : خمس قبائل لصلبه : بنو عبد مناة وعمرو وعامر وملكان ومالك منهم : بنو حداد بن مالك بن كنانة : نخذ .

فأما عبــد مناة بن كنانة، فمنهم : بنو بكر وبنو عامر وبنو مرة : بنى عبد مناة، ومن بنى بكر بن عبد مناة : بنو الدُّئِل بن بكر بن عبد مناة : رهط أبى الأسود الدؤلىّ .

وهو ظالم بن عمرو بن سفيان بن عمرو بن حلس بن نهامة بن عدىّ بن الدئل بن بكر المذكور: وهو تلميذ علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فى النحو، ويقال فى النسبة إلى هذا الفخذ: دؤلى مهموز مفتوح.

ومن بنى بكر: بنو الحارث بن بكر: فخذ، وبنو ليث بن بكر: فخذ، منهم: بنو حدج بن ليث بن بكر فخذ، وبنو ضَمْرَة بن بكر: فخذ. منهم: بنو غِفار بن مُلَيْل بن ضمرة بن بكر: رهط أبى ذرّ الغفارىّ: وهو جندب بن جنادة بن قيس بن عمرو بن مذيل بن مُعَيْص بن حرام بن غفار، وقد أقرض أبو ذرّ الغفارىّ رضى الله عنه.

وأما عامر بن عبد مناة بن كنانة، فمنه: قَيْن بن عامر: قبيلة أهل الغُمَيْصاء، قتلهم خالد بن الوليد رضى الله عنه.

وأما مرّة بن عبد مناة بن كنانة، فمنه: بنو مُدْلِج بن مرّة: قبيلة سراقة بن مالك (١٢٦) ابن جعشم وهم المدلجيّون، قالوا: وهم قافة العرب وأعلمهم بالزجر والقيافة.

وأما عمرو بن كنانة، فهم العَمْريّون. وأما عامر بن كنانة، فهم العامريّون، وأما ملكان بن كنانة فهم الملكانيّون، وأما مالك بن كنانة فمنه فى الحارث، ومن الحارث فى ثعلبة، ومن ثعلبة فى فخذين: بنو عامر وبنو غنم. أما غنم فمنه: فِراس بن غنم: وهم الفراسيّون. ومن بنى غنم: أمّ رومان بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتّاب بن أُذَينة بن سبيع بن دهمان بن الحارث بن غنم: وهى أم عائشة بنت أبى بكر الصدّيق رضى الله عنها زوج النبىّ صلى الله عليه وسلم.

ومن عامر عشيرتان: بنو مُحْدَج بن عامر بن ثعلبة المُحْدَجيّون، وبنو تُمَيْم بن عدىّ بن عامر النسأة. فهؤلاء أفخاذ كنانة، والله أعلم.

وعمود النسب من كنانة بن خزيمة فى ابنه النَّضْر بن كنانة، واسمه قيس، وأمه برّة بنت مرّ الأدّية، والنضر: الذهب؛ وكان له: يخلد[1] بن النضر، منه: بدر بن الحارث بن يخلد الذى سُمّيت به بدرٌ بَدْرا. قال: وليس له ولد باق

والعقب من النضر بن كنانة فى ابنه عمود النسب وهو:

مالك بن النضر

وأمه عِكْرِشة بنت عَدْوان القيسيّة، ولا عقب لمالك إلا من عمود النسب وهو ابنه:

فِهر بن مالك

وهو قريش، وأمه جَندلة بنت عامر الجرهميّة، وكلّ من لم يلده فهرٌ فليس بقرشىّ. وقد قيل فى تسميته بقريش أقوال: منها أنه اسم دابّة فى البحر، وأنه اسم للقبيلة، وأحسن ما قيل فيه: إن التقريش: التفتيش، فكان يقرش عن خَلّة كلّ ذى خَلّة فيسدّها بفضله: فمن كان محتاجا أغناه، ومن كان عاريا كساه، ومن كان طريدا آواه، ومن كان خائفا حماه، ومن كان ضالا هداه. قال الحارث بن حِلِّزة اليشكرىّ عفا الله تعالى عنه:

أيها الناطق المقرّش عنا * عند عمرو، وهل لذاك بقاء؟

وقيل: التقرّش: التجمّع، وسُمّيت قريش لتجمّعها، فإنها لما تجمّعت بمكة وجمعت خصائل الخير سُمّيت قريشا؛ وتُسَمّى أيضا الخُمْس من الحماسة؛ وذلك أنها تحمّست فى دينها فقالت: لا نطوف بالبيت عراةً، ولا نسلأ نساؤنا سَمْناً، ولا نغزل وبَرا، ولا نخرج إلى عرفات، ولا نزايل حرمنا، ولا نعظّم غيره، ولا نطوف بين الصفا والمَرْوة.

(١) كذا بالاصل ووردت فى مكان آخر منه "مخلد".

وكانوا يقفون بالمزدلفة ومن سواهم من العرب يقال لهم : الحُمَّةُ : كانوا يطوفون بالبيت عراةً ويقولون : نكرم البيت أن نطوف فيه بثيابنا التى أجترحنا فيها الآثامَ .

قال : ومن بنى فهر غير غالب عمود النسب : بنو الحارث بن فهر وبنو محارب ابن فهر . فمن بنى الحارث بن فهر : قيس بن الخُلُج[1] بن الحارث . ويقال : الخلج بلاد قيس ، سمّوا بذلك : لأنهم نزلوا الخلج بالمدينة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم السلام . منهم آل هَرْمة الشاعر : وهم هرمةُ بن الهذيل بن ربيع بن عامر ابن صبح بن عدىّ بن قيس .

ومن بنى الحارث بن فهر : أبو عبيدة أمين هذه الأمة : وهو عامر بن عبد الله ابن الجراح بن هلال بن أُهَيب بن الحارث بن فهر ، لا عقب له .

ومن بنى محارب بن فهر : ضِرَار بن الخطّاب بن مرداس بن كثير بن حبيب بن شيبان بن محارب بن فهر وهو القائل :

ونحن بنو الحرب العَوان نشبّها * وبالحرب سُمّينا فنحن محاربُ

وعمود النسب من فهر بن مالك فى ابنه غالب بن فهر وأمه ليلى بنت الحارث الهذلية ، منه فخذ واحد غير عمود النسب ، وهم الأُدْرَميون : ولد تيم بن غالب . والأدرم : الناقص الذقن ، وهم قليل وقد ولدوا فى العرب ولادات . وعمود النسب من (١٢٧) غالب بن فهر فى ابنه لؤى بن غالب ، وأمه عاتكة بنت مَخلد الكنانية النضرية ، وقيل بل هى سلمى بنت عمرو الخزاعية ؛ وهو تصغير اللأى وهو ثور الوحش مهموز ، وقال أبو حنيفة : اللأى البعرة ، وقيل لؤىّ تصغير لُؤْي وهو البطء : نقيض العجلة .

(١) وردت فى القاموس بضمتين وفى كتاب المعارف لابن قتيبة بتسكين اللام .

وأنشد أبو أسامة :

فدونكُمُ بنى لأبي أخاكم * ودونك مالكا يا أمّ عمرو

وقال ابن دريد : هو مشتقّ من لِوَاء الجيش وهو مهموز ، وإن كان من لِوَى الرمل فهو مقصور، قال امرؤ القيس :

* بسَقْطِ اللِّوَى بيْنَ الدَّخولِ فحَوْمَلِ *

واللوى : أعوجاجٌ فى ظهر الفرس . قال : ومن قبائل بنى لؤى غير كعب عمود النسب : بنو عامر وبنو أسامة وبنو خزيمة : وهم عائذة قريش وسعد، وإليه ينسب بنو نُبَاتة بفتح النون وضمها : وهى أمّ سعد بن لؤىّ ؛ بها يعرفون ، وإليها ينسبون ، وقيل : نُسبوا إلى حاضنةٍ لهم اسمها نباتة من بنى القيْن بن جَسْر بن شَيْع الله ؛ ويقال : سبع الله ابن الأسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن الحاف بن قضاعة . والحارث بن لؤىّ ، وعوف وجشم : أولاد لؤىّ .

فأما عامر بن لؤىّ ، فمنهم ابن أمّ مكتوم الأعمى الذى نزل فيه ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ وهو مؤذّن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ؛ واسمه عمرو بن قيس بن زائدة ابن الأصم بن رواحة بن حجر بن عبد بن مُعَيْص بن عامر بن لؤىّ ؛ ومنهم عمرو ابن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حسْل بن عامر ، الذى قتله علىّ بن أبى طالب يوم الخندق .

وأما بنو أسامة بن لؤىّ ، فيزعم من نسب بنى ناجية إلى قريش أنهم يلقون بنى لؤىّ عند أسامة بن لؤىّ ، وقد كان علىّ بن أبى طالب سباهم حين أقاموا على النصرانية ثم باعهم فيمن يريد ، فاشتراهم مَصْقَلة بن هُبَيْرة الشيبانىّ بمائة ألف درهم ، فقدم منها

ثلاثين ألفا وأعتقهم، فأنفذ علىّ عتقهم، وهرب مصقلة ببقيّة المال إلى معاوية. وقد قيل عن علىّ إنه قال: ماأعقب عمّى سامة بن لؤىّ.

وأما خزيمة بن لؤىّ، فإليه يُنسب القوم الذين يزعمون أنهم عائذة قريش. قال: وشيخ الشرف بن أبى جعفر النسابة يدفعهم عن النسب؛ وهم قوم تكثر بهم معاوية فأدخلهم فى قريش، وعائذة هى ٱبنة الخِمس بن لُحَافة بن خثعم، بها يُعرَفون: وهم بنو الحارث بن مالك بن عُبَيد بن خزيمة بن لؤىّ، وعائذة أمّ الحارث هذا؛ ويقال: الحارث بن مالك بن عوف بن حرب بن خزيمة بن لؤى، وهم بمالك خمسُ أفخاذٍ من عوف: بنو جذيمة، وبنو عامر، وبنو سلامة، وبنو معاوية: أولاد عوف، وعائذة مع بنى مَحْلَب بن ذهل بن شيبان، باديتهم مع باديتهم، وحاضرتهم مع حاضرتهم يد واحدة.

فلنرجع إلى عمود النسب، وهو من لؤىّ بن غالب فى ٱبنه:

كعب بن لؤىّ بن غالب

وأمّه مارِيَة بنت كعب القضاعيّة. ومنه غير مُرّة عمود النسب وهما بطنان: بنو عدىّ وبنو هُصَيْص؛ فأما بنو عدىّ، فمنهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه، ٱبن نُفَيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدىّ بن كعب. وسعيد بن زيد بن نفيل المذكور أحد العشرة. ومن بنى عدىّ: عبد الله بن مُطِيع ٱبن الأسود بن نضلة بن عوف بن عبيد بن عُوَيج بفتح العين وضمها، بن عدىّ بن كعب، وهو وأبوه من الصحابة، وهو الذى أمره أهل المدينة حين أخرجوا بنى أميّة منها فى وقعة الحرّة.

وأما بنو هُصَيْص بن كعب فمنه فخذان : بنو جُمَح وبنو سهم : أبنى عمرو بن هصيص .

فأما بنو سهم : فمنهم عمرو بنُ العاصُ بن وائل بن هاشم بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص .

وأما بنو جمح ، فمنهم عثمان بن مظعون بن حُبَيْب بن وهب بن حُذافة بن جمح : هاجر الهجرتين وشهد بدرًا . ومنهم صفوان بن أميّة بن خلف بن وهب بن حذافة المذكور، (١٢٨) كناه رسول الله صلى الله عليه وسلم ! "أبا وهب". ومنهم أبو محذورة : أوس بن مَعين ابن لوذان بن سعد بن جمح ، مؤذن المسجد الحرام لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

ويرجع إلى عمود النسب وهو كعب بن لؤى فى ابنه :

مرّة بن كعب

وأمه وحشيّة بنت شيبان الفهرية . ومنه غير كلاب الذى هو عمود النسب : بطنان وهما : بنو تَيْم ، منهم أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه ويكنى بعتيق ، ابن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة : صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنيسه فى الغار بنصّ القرءان بقوله تعالى ﴿ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ فشهد له القرءان بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وناهيك بذلك شرفا ، وصهره ، وخليفته صلى الله عليه وسلم و رضى عن أبى بكر وأرضاه .

ومن بنى تيم : عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم أحد العشرة ، وبنو يَقَظَة بن مرّة ، منهم : ام سلمة الصادقة : زوج النبى صلى الله عليه وسلم ،

وهى بنت أبى أميّـة بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة بن مرّة ، وخالد بن الوليـد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم الملقّب بسيف الله . قال وقد انقرض ولد خالد بن الوليد فلم يبق منهم أحد شرقا ولا غربا ، وإن انتمى إليهم أحد فهو مبطل فى انتمائه ، وكلّ من ادّعى إليه ، فقد كذب . قال الشريف : وكان شيخنا الفقيه مجلّى بن جميع بن نجاء الشافعىّ قاضى مصر يدعى إليه ، وهو على كتبه بخطه وشافهنا به ولا صحّة لذلك

وعمود النسب من مرّة بن كعب فى ابنه :

كلاب بن مرة بن كعب

وأمّه هند بنت بَهْز بن حكيم . وقيل عُروة . ومنه غير قصىّ عمود النسب : بطن واحد : وهم زهرة بن كلاب ؛ منهم : السيّدة آمنة بنت وهب بن عبد مناف ، ابن زهرة : أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعبد الرحمن بن عوف بن الحارث ابن زهرة : أحد العشرة ، وسعد بن أبى وقّاص .

ويرجع عمود النسب منه فى ابنه قصىّ بن كلاب بن مرّة .

وأمّه فاطمة بنت سَيْل الأزديّة ، واسمه زيد ، ويُدعَى مجمِّعا : لجمعه أمر قريش بالرحلتين وأوّل من جمع يوم الجمعة . وقيل : إنما سُمّى قصىٌّ "مجمِّعا" : لأنه لما أخرج خزاعة من مكة ورأى أنه من صريح ولد إسماعيل عليه السلام ، وأنه أحقّ من خزاعة بالبيت الحرام ، وبنَى دار الندوة . وجعل بابها إلى البيت الحرام ، وتجمّعت قريش بمكة ، فسمى بذلك "مجمِّعا" ، لأنه جمعهم ولم يجعل معهم غيرهم ، وكان يجمعهم فى دار الندوة .

وأما الرحلتان ، فأوّل من سنّهما هاشم : فكان يرحل فى الشتاء إلى اليمن و إلى الحبشة إلى النجاشىّ فيكرمه ، و يرحل فى الصيف إلى الشام إلى غزّة ، و بها مات ؛ و ربما وصل إلى أنقرة و يدخل على قيصر فيكرمه . وقد قال ابن الزِّبَعْرَى :

عمرو العلا هشمَ الثريدَ لقومه * و رجالُ مكّةَ مسنتون عجافُ
سُنّت إليه الرحلتان كلاهما : * سفر الشتاء و رحلة الأصيافِ (١)

وأما أوّل من جمع يوم الجمعة فهو كعب بن لؤىّ ، وكان يُسمّى : يومَ العَروبَة ؛ فكان يجمعهم و يعظهم و يحثّهم على اتّباع نبىّ من صلبه .

و إنما سمّىَ قصيًّا : لأن أمّه فاطمة بنت سعد بن سيل لما تقصّت به مع زوجها ربيعة بن جذام القضاعىّ ، فأحملها إلى بلاده من أرض عُذْره من بلاد الشام سُمّىَ بذلك . قال : ومنه غير عمود النسب وهو عبد مناف بطنان : بنو أسد بن عبد العُزّى ابن قصىّ ، وبنو عبد الدار بن قصىّ .

فأما بنو أسد ، فمنهم خديجة بنت خويلد بن أسد : زوج النبىّ صلى الله عليه وسلم ؛ ومنهم : الزُّبير بن العوّام بن خويلد بن أسد أحد العشرة وحوارىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأما بنو عبد الدار بن قصىّ ، فمنهم الحَجَبَة ، فيهم : بنو شَيْبة بن عثمان بن أبى طَلْحة عبد الله بن عبد العزّى بن عثمان بن عبد الدار . وفى بنى عبد الدار : هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار . قال . وهى مسألة فى النسب يُمتَحَنُ بها من يدّعى علم النسب : يقال له : من يعلم فى بنى قصىّ جدّ رسول الله صلى الله عليه وسلم هاشم بن عبد مناف غير هاشم بن عبد مناف بن قصىّ ؟

نرجع إلى عمود النسب من قصىّ بن كلاب فى ابنه :

(١) يلاحظ القارئ أن قافيتى البيتين غير متجانستين والعرب يفعلون ذلك فى أشعارهم ، ويسمى "الإقواء" وهو اختلاف إعراب القوافى .

عبد مناف بن قصىّ

وأمه حُبَّى بنت حُلَيل الخزاعيّة ، وٱسمه المغيرة والقمر . ومنه غير هاشم عمود (١٢٩)
النسب ثلاث بطون : بنو المطّلب : وهو العِيص ، وبنو عبد شمس وبنو نوفل : أولاد عبد مناف . فمن بنى عبد شمس : أميّة الأصغر ، يقال لولده : العَبَلَات : لأن أمّ أميّة هذا عَبْلَة بنت عبيد من البراجم بن تميم ، وبنو أميّة الأكبر بن عبد شمس ، منهم : ذو النورين : عثمان بن عفّان بن العاص بن أميّة بن عبد شمس أحد العشرة وزوج ٱبنتى النبىّ صلى الله عليه وسلم ورضى عنه . ومن بنى عبد شمس : أبو العاص بن الربيع بن عبد العزّى بن عبد شمس زوج زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان النبىّ صلى الله عليه وسلم يُثنى عليه فى صهارته خيرا . ومن بنى عبد المطّلب بن عبد مناف : رهطُ بن عبيدة بن الحارث بن عبد المطّلب البدرىّ ، ٱنقرض ، وشافع ٱبن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطّلب جدّ الشافعىّ رضى الله عنه : وهو محمد بن إدريس بن العبّاس بن عثمان بن شافع . ومن بنى نوفل : جُبَيْر بن مُطعِم ٱبن عدىّ بن نوفل . وكان ممّن قام فى أمر الصحيفة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكر له ذلك ، وهم يدٌ مع بنى أميّة .

وعمود النسب من عبد مناف فى ٱبنه هاشم بن عبد مناف ، وأمه عاتكة بنت مُرّة السلميّة ، وٱسمه عمرو العُلَا ، وسُمّى هاشما لكرمه وهشمه الثريدَ فى الجدبِ مبتدئا بذلك ، ٱنقرض جميع ولده من الذكور إلا عمود النسب عبد المطّلب ، وكان له أسد ٱبن هاشم ، منه : فاطمة بنت أسد أمّ علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ؛ وهى أوّل هاشميّة تزوّجت هاشميّا فولدت له ، وٱنقرض أسد إلا منها ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هى أمّى بعد أمّى . والعقب من هاشم فى ٱبنه :

عبد المطّلب بن هاشم

وأمه سَلْمى بنت زيد النجّارية : وهو شَيْبة الحمد ، أعقب من غير عبد الله عمود النسب من بنى أبى طالب عبد مناف بن عبد المطّلب والعباس بن عبد المطّلب والحارث بن عبد المطّلب وأبا لهب بن عبد المطّلب وهو عبد العزّى .

فأما بنو أبى طالب فهم ثلاث بطون : بنو علىّ بن أبى طالب بن عبد المطّلب : وهم العلويّون ، وبنو جعفر الطيّار : وهم الجعفريّون ، وبنو عَقِيل بن أبى طالب : وهم العَقيليّون .

فالعلويّون خمس أفخاذ : بنو الحسن بن علىّ ، وبنو الحسين بن علىّ ، وبنو محمّد ابن الحنفيّة : وهم المحمّديون ، وبنو العباس السقّاء بن علىّ : سمّى بذلك لأنه كان قد سقى أخاه الحسينَ الماءَ بالقربة فى الطَّفّ ، وبنو عمر الأطراف بن علىّ . وفى كلّ فخذ منهم عدّة عشائر .

وأما الجعفريّون فثلاث أفخاذ : بنو علىّ بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، وهم الزينبيّون ، لأن أمّ علىّ هذا زينبُ بنت فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بنت علىّ رضى الله عنه ، وبنو إسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، وبنو إسحاق العِرْضىّ بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب . والعرضُ : موضع بالمدينة . وفى كلّ فخذ عدّة عشائر .

وأما العَقيليّون ، ففخذان : بنو محمّد ومسلم : ابنى عبد الله الأحول بن محمد بن عقيل بن أبى طالب : فهؤلاء بطون بنى طالب .

وأما العباسيّون ، فبطنان : بنو عبد الله الحَبْر ومَعْبَد : ابنى العبّاس بن عبد المطلب .

فأما عبدالله، فمنه ثمانى أفخاذ: بنو عبدالله وأنقرض، وبنوعيسى، وبنو عبدالصمد، وبنو داود، وبنو إسماعيل، وبنو صالح : صاحب الشام، وبنو سلمان : صاحب البصرة، وبنو محمد الكامل: جدّ الخلفاء أولاد علىّ السجّاد بن عبد الله بن العبّاس.

وأما مَعْبد، فمنه فخذان : بنو داود ومحمد : أبنى ابراهيم بن عبد الله بن معبد بن العبّاس : فهؤلاء بنو العباس بن عبد المطّلب . .

وأما الحارث بن عبد المطّلب، فمنه ثلاث أفخاذ : وهم الحارثيّون : بنو ربيعة، وبنو نوفل، وبنو أبى سفيان: أولاد الحارث بن عبد المطلب: فهؤلاء بنو الحارث.

وأما أبولهب عبد العزّى، فمنه فخذان : بنوعُتْبة وبنو مُعَتِّب: ولدىْ أبى لهب.

وعمود النسب الشريف فى عبدالله بن عبد المطّلب، وأمّه آمنة بنت عمرو المخزوميّة، (١٣٠)
ولا عقب لعبدالله بن عبد المطّلب إلّا من سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محمد النبيّ العربىّ، ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصىّ ابن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤىّ بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر (واسمه قيس) ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان ابن أدّ بن أدد بن اليسع بن الهميسع بن سلامان بن نبت بن حمل بن قيدار بن إسماعيل الذبيح بن إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم ابن تارح: وهو آزر بن ناحور ابن ساروع بن أرغو بن فالغ بن عابر : وهو هود النبيّ عليه السلام ؛ وهو جماع قيس ويمن ونزار وخندف بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام ابن لَمَك بن مَتُوشَلَخ(١) بن أخنوخ : وهو إدريس النبيّ عليه السلام ابن يَارَدَ بن مَهْلَائِيلَ(٢)

(١) فى التوراة : مَتُوشَالَخ .

(٢) فى التوراة : مَهْلَئِيل .

ابن قَيْنان بن أَنُوشَ بن هبة الله شيث بن أبى البشر آدم عليه الصلاة والسلام وعلى سائر أنبياء الله تعالى أجمعين .

نسبٌ كأنّ عليه من شمس الضحى * نورًا ومن فلَق الصباح عَمودا

وروى عن عبدالله بن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لما خلق الله تعالى آدم، أهبطنى فى صلبه إلى الأرض، وحملنى فى صلب نوح فى السفينة، وقذف بى فى النّار فى صلب إبراهيم، ثم لم يزل ينقلنى من الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة، حتى أخرجنى من بين أبوين لم يلتقيا على سِفاح قطّ". والى هذا أشار العبّاس بن عبد المطلب رضى الله تعالى عنه بقوله حيث يقول :

مِنْ قبلِها طِبتَ فى الجنانِ، وفى * مستودَعٍ، حيث يُخصفُ الورقُ
ثم هبطتَ البلاد، لا بشرٌ * أنتَ، ولا مُضْغةٌ، ولا عَلَق
بل نطفةٌ، تركبُ السفينَ وقد * ألجم نسرًا وأهلَه، الغَرَقُ
تُنقَلُ من صالَبٍ إلى رحِمٍ * إذا مضَى عالَمٌ، بدا طَبَقُ

اللهم صلّ على أسعد الخلق سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلم أفضلَ صلواتك وسلامك عددَ خَلْقك، وأجْرِ لطفَك فى أمورنا فى الدنيا والآخرة، حسبُنا الله ونعم الوكيل!

كمل الجزء الثانى

من كتاب نهاية الأرب فى فنون الأدب،

يتلوه إن شاء الله تعالى فى أوّل الجزء الثالث : "القسم الثانى من الفن الثانى فى الأمثال"

وحسبنا الله ونعم الوكيل

وصلّى الله وسلّم على أشرف الخلق أجمعين

تراثنا

نهاية الأرب

في

فنون الأدب

تأليف

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري

٦٧٧ - ٧٣٣ هـ

السفر الثاني

نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب
مع استدراكات وفهارس جامعة

وزارة الثقافة والإرشاد القومي
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

فهرس

السفر الثانى

من كتاب نهاية الأرب فى فنون الأدب

للنويرى

الفن الثانى

صحيفة

فى الإنسان وما يتعلق به ١

القسم الأول

فى اشتقاقه، وتسميته، وتنقلاته، وطبائعه، ووصفه، وتشبيهه، والغزل، والنسيب، والهوى، والمحبة، والعشق، والأسباب؛ وفيه أربعة أبواب

الباب الأول :

فى اشتقاقه وتسميته وتنقلاته وطبائعه، وما يتصل بذلك ٥

فصل قال أحمد بن محمد بن عبد ربه ٧

فصل وأما ترتيب أحواله ١٠

فصل فى ظهور الشيب وعمومه ١٢

النفس الغضبية ١٣

النفس البهيمية ١٣

صحيفة

الباب الثانى :

فى وصف أعضاء الإنسان وتشبيهها ١٦
الشعر وما قيل فيه ١٦
فصل فى تفصيل أوصافه... ... ... ١٧
ومما وصف به الشعر ١٨
ومما وصفت به شعور النساء ١٩
ذكر ما قيل فى الشيب والخضاب من المدح والذم... ... ... ٢١
فأما مدح الشيب ٢١
وأما ما ورد فى ذم الشيب ٢٤
ومما قيل فى الخضاب من المدح... ... ... ٢٩
ومما قيل فى ذم الخضاب ٣٠
وأما ما وصف به الوجه ٣١
ومن ذلك ما قيل فى المؤنث ٣٤
ومما وصف به صفاء الوجه ورقة البشرة ٣٥
ومن ذلك ما قيل فى المؤنث ٣٦
ومما قيل فى صفرة الوجه ٣٧
ومن ذلك ما قيل فى المؤنث ٣٧
ومما قيل فى السمرة... ... ... ٣٨
ومما قيل فى السواد... ... ... ٣٨
ومما وصف به أثر الجدرى فى الوجه ٤٠

صحيفة

ومما قيل فى الحواجب ٤١
ومما وصفت به الحواجب ٤١
ومما قيل فى العيون ووصفها... ... ... ٤٢
فصل فى عوارض العين ٤٤
فصل فى كيفية النظر وهيئته ٤٤
ومما وصفت به العيون على لفظ التأنيث... ... ... ٥٠
ومما قيل فى أدواء العين... ... ... ٥٢
ومما قيل فى أرمد ٥٣
ومما قيل فى أرمد غطى عينيه بشعريّة ٥٥
فصل فى ترتيب البكاء ٥٦
فصل فيما قيل فى الأنف ٥٧
ومما قيل فى الشفاه والفم... ... ... ٥٧
فصل فى تقسيم ماء الفم ٥٨
فصل فى ترتيب الضحك ٥٨
ومما قيل فى طِيب الريق والنكهة على لفظ التذكير... ... ... ٥٩
ومما وصف به على لفظ التأنيث... ... ... ٦١
ومما قيل فى طِيب عَرف النساء... ... ... ٦٢
ومما قيل فى الأسنان ٦٤
فصل فى مقابحها... ... ... ٦٥
فصل فى ترتيب الأسنان ٦٦
ومما قيل فى السواك ٦٧

صحيفة

ومما قيل فى اللسان ٦٨
فصل فى عيوبه ٦٨
فصل فى ترتيب العِىّ ٦٩
ومما وصف به حسن الحديث والنغمة ٧٠
ومما قيل فى الأذن ٧٢
فصل فى ترتيب الصمم ٧٢
ومما وصف به الصدغ ٧٣
ومما وصفت به الخدود والوجنات ٧٤
ومما وصفت به على لفظ التأنيث ٧٧
ومما وصفت به الحِيلان ٧٨
ومما وصفت به على لفظ التأنيث ٨١
ومما قيل فى العذار ٨١
ومما وصف به العذار على طريق الذم ٨٧
ومما قيل فى العنق ٩٢
ومما قيل فى اليد إذا باشرت ما يعلق بها ٩٣
ومما مدحت به اليد ٩٤
ومما قيل فى النهود ٩٥
ومما قيل فى البطن ٩٧
ومما قيل فى الأرداف والخصور ٩٧
ومما وصفت به على لفظ التأنيث ٩٩
ومما قيل فى السُّوق ١٠٠

صحيفة

ومما وصفت به القدود ١٠١
ومما قيل فى العناق ١٠٣
ومما ورد على لفظ التأنيث ١٠٥
ومما قيل فى وصف مشى النساء ١٠٦
ماجاء من الأمثال فى الإنسان ١٠٨
ومما يتمثل به فى ذكر النفس... ... ... ١٠٩
ومما يتمثل به من أعضاء الإنسان الظاهرة والباطنة ١١٠
ما قيل فى الرأس والشعر... ... ... ١١٠
مايتمثل به من ذكر الوجه ١١٠
ما يتمثل به من ذكر العين ١١١
ما يتمثل به من ذكر الأنف ١١٢
ما يتمثل به من ذكر الفم واللسان والأسنان... ... ... ١١٢
ما يتمثل به من ذكر الأذن ١١٣
ما يتمثل به من ذكر العنق ١١٣
ما يتمثل به من ذكر اليـــد ١١٣
ما يتمثل به من ذكر الصدر والقلب ١١٥
ما يتمثل به من ذكر الظهر والبطن والجنب ١١٦
ما يتمثل به من ذكر الكبد والدم والعروق ١١٦
ما يتمثل به من ذكر الساق والقدم ١١٧
من ضرب به المثل من الرجال على لفظ أفعل للتفضيل ١١٧
وأما من ضرب بها المثل من النساء ١٢٣

صحيفة

الباب الثالث :

فى الغزل والنسيب والهوى والمحبة والعشق ١٢٥

ذكر شىء مما قيل فى الهوى والمحبة والعشق ١٢٥

فأما كلام الحكماء والفلاسفة ١٢٦

وأما كلام الإسلاميّين وما قالوه فيه ١٢٦

ذكر مراتب العشق وضروبه ١٢٨

ذكر ما قيل فى الفرق بين المحبة والعشق ١٣٠

وأما سبب العشق وما قيل فيه ١٣١

فصل ومن أسباب العشق ١٣٥

فصل وذكر بعض الحكماء ١٣٥

فصل ويتأكد العشق بإدمان النظر ١٣٧

وأما ما قيل فى مدحه وذمه والممدوح منه والمذموم ١٣٨

فأما الممدوح منه ١٣٨

وأما القسم المذموم منه ١٤٥

ذكر شىء من الشعر المقول فى ذم العشق والحب ١٥٠

وأما من خاطر بنفسه وألقاها إلى الهلاك لأجل محبوبه ١٦٠

ومن خاطر بنفسه فى هواه وعرّضها للتلف فنجا ونال خيرا ١٦٥

وأما من كفر بسبب العشق ١٧٣

وأما من قَتَل بسبب العشق ١٧٥

وأما من قُتِل بسبب العشق ١٧٦

وأما من قتله العشق ١٨٤

صحيفة

وأما من قتل نفسه بسبب العشق ١٩٥

ذكر شيء مما ورد فى التحذير من فتنة النساء وذم الزنا والنظر الى المردان

والتحذير من اللواط وعقوبة اللائط ١٩٨

أما ما ورد من التحذير من فتنة النساء ١٩٨

وأما ما جاء فى ذم الزنا ٢٠١

وأما ما جاء فى النهى عن النظر الى المردان ومجالستهم ٢٠٢

وأما ما جاء فى التحذير من اللواط وما ورد فى سحاق النساء ٢٠٤

وأما ما ورد فى عقوبة اللائط والملوط به فى الدنيا والآخرة ٢٠٥

أما عقوبة الدنيا ٢٠٥

وأما عقوبته فى الآخرة ٢٠٨

ذكر نبذة مما قيل فى الغزل والنسيب ٢١٠

فما قيل فى المذكر ٢١٢

ومما قيل فى المؤنث ٢٢٦

ومما قيل فى المطلق والمشترك ٢٣١

ومما قيل فى طيف الخيال ٢٣٧

ومما قيل فى الرد على العذول ٢٤١

ومما قيل فى رجوع العذول ٢٤٢

ومما قيل فى الوصال ٢٤٢

ومما قيل فى الفراق والبين ٢٤٣

ومما قيل فى مفارقة الأصحاب ٢٤٦

صحيفة

ومما قيل فى التوديع ٢٤٦
ومما قيل فى الصدّ والهجران ٢٥٠
ومما قيل فى الزيارة ٢٥١
ومما قيل فى تخفيف الزيارة وموانعها ٢٥٣
ومنها التأخر عن عيادة المرضى ٢٥٤
ومما قيل فى المدامع ٢٥٥
ومما قيل فى الرضا من المحبوب باليسير ٢٥٨
ومما قيل فى النحول ٢٥٩
ومما قيل فى المحبوب اذا اعتلّ ٢٦١
ومما يناسب هذا الفصل ما قيل فى شرب الدواء ٢٦٢
ومما قيل على لسان الورقاء ٢٦٣
ومما قيل فى المراجعات ٢٦٥
ومما قيل فى المردوف ٢٦٧
ومما قيل فى الجناس ٢٦٨
ومما قيل فى الموشّحات ٢٧٢

الباب الرابع :

فى الأنساب ٢٧٦
الطبقة الاولى الجذم ٢٧٧
وأما غزوة العرب الى يمن ٢٨٣
والطبقة الثانية الجماهير ٢٨٤

صحيفة
والطبقة الثالثة الشعوب ٢٨٤
والطبقة الرابعة القبيلة ٢٨٤
والطبقة الخامسة العمائر ٢٨٤
والطبقة السادسة البطون... ... ... ٢٨٤
والطبقة السابعة الأفخاذ ٢٨٥
والطبقة الثامنة العشائر ٢٨٥
والطبقة التاسعة الفصائل... ... ... ٢٨٥
والطبقة العاشرة الرهط ٢٨٥
أصل النسب أبو البشر آدم عليه السلام ٢٨٦
إبراهيم خليل الله عليه الصلاة والسلام ٣٢٢
ذكر نسب قيس وبطونها ٣٣٤
الياس بن مضر بن نزار ٣٤٣
مدركة بن الياس بن مضر ٣٤٨
مالك بن النضر ٣٥٢
فهر بن مالك ٣٥٢
كعب بن لؤى بن غالب ٣٥٥
مرة بن كعب ٣٥٦
كلاب بن مرة بن كعب ٣٥٧
عبد مناف بن قصيّ ٣٥٩
عبد المطّلب بن هاشم ٣٦٠